

عبد الله كمال

الدعارة الحلال

**المؤسسة الحديثة للزواج
في مصر والسعودية وإيران**

الكتبة الثقافية
بيعت

الدعارة الحلال

الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٧

رقم الإيداع: ٩٦/٩٥٧١

الترقيم الدولي: 9-1581-97-19

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة الثقافية

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

لوحة الغلاف: تفصيل من «امرأة من الحريم»

للفنان الفرنسي «بوجيه ديلاكروا»

جرافيك: محمد كامل مطاوع

خطوط الغلاف: لمى فهميم

كمبيوتر: دار جهاد

الإهداء

إلى عادل حمودة

إلى أستاذي

إلى الرجل الذي لم يتخل عنى، وساندنى بقوة فى معركة مصادرة كتابى: « التحليل النفسى للأنبياء ».

إلى أهم صانع صحف ومبادئ ومعارك فى مصر التسعينيات.

عبد الله كمال

قبل أن تقرأ

بين الدعارة الحلال والدعارة المقدسة

ليس طبعياً أن نبدأ كتاباً مثل هذا برواية نكتة.. فالأمر جاد للغاية.. وليس به أى نوع من المزاح.. لكن هذه النكتة ضرورية جداً فى البداية لأنها بالفعل تلخص أزمة حقيقية وواقعاً مرأً وتناقضاً فادحاً تعاني منه العديد من المجتمعات المسلمة يحاول هذا الكتاب أن يرصده ويرسم ملامحه.

نقول النكتة: إن مجموعة من المصلين فاجأت رجلاً يضاجع امرأة تحت منبر أحد المساجد.. فهاجت مشاعرهم.. واستفزتهم هذه المهزلة الأخلاقية الدينية وهجموا على الرجل وكادوا يفتكون به.. لكنهم قبل أن يضربوه، صرخوا فيه: ويحك.. أليس لك دين؟.. فأجاب الرجل الذى كان يلطم ثيابه المبعثرة: بلى.. ولكن ليس لدى منزل!!

إنها نكتة دينية جريئة.. قرأتها فى كتاب عن زواج المتعة فى إيران. ورغم أنها ساخنة لاذعه قاسية.. إلا أن فى الواقع ماهو أسوأ وأطرف وأهم منها.. وهى بالإجمال - أى النكتة- قلب وعقل وهدف ومنهج هذا الكتاب.. فهى تعبر عن مشكلة مزمنة فى مصر وإيران والسعودية وغيرها من الدول الإسلامية.. منذ سنوات طويلة.. مشكلة الفارق الزمنى الشاسع بين مرحلة البلوغ الجسمانى ومرحلة النضج الاجتماعى.. بين المرحلة الأولى التى يصل إليها أى إنسان- ذكر أو أنثى- مرغماً لأسباب فسيولوجية وبين المرحلة الثانية التى يجد كثيرون صعوبة فى بلوغها بسبب الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الطاحنة.

بين نقطة نمو الإلحاح الجنسي وضغوط الحاجة الفريزية، والقيود التي يفرضها الواقع الأخلاقي والعقيدة الدينية والحصار الاجتماعي والاقتصادي.. ذلك الفارق الشاسع بين المرحلتين الذي خلق هذه النكتة، وخلق بالتالي مؤسسة «الدعارة الحلال».. مؤسسة الزواج غير التقليدي في مصر وغيرها.

وقد يكون تعبير «الدعارة الحلال» مثيراً إلى حد بعيد.. فضلاً عن أن كلمة «مؤسسة» تثير بدورها الدهشة.. ولكن هذا هو الواقع بعينه، وبدون أية رتوش، أو إضافات، فالمؤسسة موجودة، ورغم أنه لا يوجد لها إطار شرعي، أو رسمي، لكنها موجودة لأن لها عقيدة، ورؤية، وشريعة، وموظفين، وزبائن، ومحامين، ومحاكم، وضحايا، وأبناء، ويعترف بها الكثيرون، ولموسة رغم أن هناك من ينكرونها ويهاجمونها.

ولا أعتقد أن دور هذا الكتاب سوف يقف عند حد الرد على علامات الاستفهام التي يثيرها عنوانه، ولن تنتهي مهمته عند نقطة إثبات منطقيته.. ولكن وظيفة الكتاب هي شرح هذا التناقض في العنوان.. التناقض الذي يجعل الدعارة، بكل ما فيها من حرمانية، أمراً حلالاً في رأي من يمارسونها.. وأن يضع يد القارئ- الذي قد يكون زبونا من زبائن هذه المؤسسة- على موضع الجرح الدائم، رغم أن السياسيين يتجاهلونه، ورغم أن السماسرة يتحايلون عليه، ورغم أن الشيوخ يتفاوضون عنه.

غير أنني قبل أن أمضي في سرد قصة هذه المؤسسة أتوقف أمام جزء تاريخي، أظنه هاماً، حول الدعارة حين كانت مقدسة، وحين كانت مقبولة دينياً، وقبل أن تصبح مرفوضه اجتماعياً ودينياً، وقبل أن يوافق البعض على ممارسة نوع منها، بدعوى أنه حلال.

إن الدعارة، مهنة بيع الجسد، هي كما يعرف الجميع أقدم مهنة في التاريخ، وعلى الرغم من أن هناك من يعتقد أن الدعارة وتجارة بيع الجسد كانت تحدث دائماً وتروج لأسباب اجتماعية واقتصادية، بحثاً عن لقمة العيش ورغبة في تلبية الحاجة، إلا أن التاريخ يؤكد أن هناك أيضاً أسباباً دينية أدت إلى انتشار الدعارة في العصور القديمة، باعتبارها سلوكاً دينياً محموداً.. بل ومرغوباً أيضاً، وهاماً وضرورياً في طريق الارتقاء الديني بالأنثى والرجل.

تقول سلام خياط فى كتابها «البغاء عبر العصور» - دار رياض الرئيس : كانت المعابد منتشرة فى مدن الحضارات القديمة، بابل وآشور وأثينا وروما ومصر، وكانت المعابد آنذاك تحمل شتى الأسماء وتدين بالولاء للآلهة ذاتها مع تحوير فى الأسماء.. فهى أفروديت حيناً، وهى نانا وهى عشتار حيناً آخر، وكان للمعابد بغايا يمارسن الدعارة بنفس طقوسها المعروفة.. وكان الهدف هو جمع المال من أجل هذه المعابد وبهدف خدمة الرب.. وكانت الفتاة تدخر لنفسها القليل لينفعها فيما بعد، بينما الباقي يذهب للكهنة، كى تعزز مكانة المعبد والعاملين فيه.. وكثيراً ما كانت النسوة يفضلن البقاء فى المعبد وخدمة الرب من خلال هذا الطريق لما يوفره لهن من أمان وما يشيعه حولهن من قدسية.. وقد كان يطلق على داعرة المعبد فى بلاد وادى الرافدين - مثلاً - لقب: المقدسة، أو المضحية، أو مانحة الحصوية للأرض.

بهذا المنطق - تقول سلام خياط - : لم يكن عمل البغايا فى المعابد معيياً، أو مخجلًا، وإنما على العكس أضفى عليهن من الاحترام ما يوازى أو يفوق احترام النساء المتزوجات وكان نخبهن يشرب إثر كل انتصار حرب، أو فى أعقاب كل وباء تتخلص منه المدينة. بل وكان الآباء الذين يقدمون بناتهم للمعابد يعتبرون آباء مثاليين ويحظون أكثر من غيرهم بالاحترام والتبجيل.. وكان الاعتقاد السائد أن فض بكاراة البنت العادية - من العوام - جالب للجنة والأمراض، بينما إذا تم فضها فى المعابد عن طريق الكهنة أو الملك وخدام الإله فإنها بهذا تكون قادرة على صد اللعنات ومقاومة الأمراض.

فى هذا السياق يزعم المؤرخ هيرودوتس أن الأهرامات بنيت فى مصر من أموال هؤلاء البغايا، ويدعى أن خوفو نفسه بنى هرمه من أرباح ابنته البغيا المقدسة والتي كانت إحدى كاهنات الرب الجميلات.

فى المقابل توجد روايات تاريخية تؤكد أن الفراعنة هم أول من حرّموا البغاء، كما يقول أنطون ذكرى فى كتابه «تحريم البغاء عند قدماء المصريين» - مكتبة مدبولى - وينقل بدوره عن هيرودوتس كيف أمر خوفو بأن يأكل تمساحاً عاشقاً لاحدى زوجات كبار مسئولى قصره بعد أن ضبطا فى حالة خيانة .

لكن هذه القصة التى جرى نشرها فى نهاية الأربعينيات فى مصر كنوع من

تأييد قرار إلغاء البغاء فى ذلك الوقت، لاتنفى على الإطلاق أن «الدعارة المقدسة» كانت لها مؤسسة فى العصور القديمة خاصة عند الفراعنة، وفى ص ٧ من كتاب «البغاء عبر العصور» لمحمد صادق صبور- المكتبة الثقافية ببيروت- يرصد المؤلف طبيعة هذه المؤسسة الى درجة أنه كانت هناك مؤسسات للطبقة العليا وأخريات للطبقة الدنيا فى المعابد.

يقول: «لقد سُجِّلَ هذا التقسيم فى كتابات بابل القديمة التى سادت بين الكاهنات الراقيات للإله عشتار- وأرقى الكهنة. كانت الكاهنات الراقيات هن اللاتى يقمن بطقوس الزواج المقدس للملوك والكهنة.. وكان حفل الزواج المقدس يبدأ بأن تتزين الكاهنة بمعقود من البلح الطازج تعبيرا عن استمرار الثروة والخير- ثم تنتظر زوجها الملك فى الحجرة الداخلية بالمعبد حيث تكون باقى الكاهنات قد أعددن الفراش.. وكان هذا الزواج المقدس يعبر عن طلب الملك للبركة من الإله بزواجه من إحد الكاهنات لكى يكتسب حكمة الشرعية اللازمة.. وهكذا اكتسبت مومسات المعابد الراقيات القوة والمركز».

وفىما بعد سوف نجد أن فرعا من مؤسسة «الدعارة الحلال» كان يؤمن بنفس المنطق.. ويرى أن ممارسة المتعة هو نوع من العبادة.. وأن كل نقطة ماء يتم الاغتسال بها بعد المضاجعة فى زواج الدعارة الحلال يكتب بها حسنة للزوجين يوم القيامة، كما زعم أحد أئمة الشيعة، وكما سترى فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

وحسب مايقول محمد صادق صبور، الذى نعود معه إلى مؤسسة الدعارة المقدسة، فإن الكاهنة الراقية من طبقة «إنتو» تليها كاهنة مومس من طبقة «ناديتو».. وكانت كاهنات هذه الطبقة ممنوعات من الزواج ومن الحمل.. ثم تأتى بعدهن طبقة «قاديشتو» و «إيشتاريتو» اللاتى كن يعملن ويمضين كل وقتهن فى خدمة الإله عشتار.. ولكن كان بعضهن يعملن فى الرقص واللعب على الآلات الموسيقية.. بينما الطبقة التالية «حديمتو» كانت تضم مومسات حقيقيات، يعملن بعض الوقت فى المعابد وبعض الوقت فى الطرقات.

وكن يعتبرن مقدسات فى حماية الإله عشتار، وكان الناس يتقربون لهن طلبا للبركة.

ويقول هيرودوتس فى نفس السياق - نقلا عن سلام خياط - كان يتحتم على كل فتاة تبلغ سن الحلم فى بلاد بابل أن تهب نفسها ولو مرة واحدة للمعبد، حيث تجلس الفتاة فى فناء معبد عشتار وتنتظر الغرباء يأتون إليها ليصحبوها. وكان الكثيرون من ذوى النفوذ والاثرياء يأتون المعبد وهم على عربات فخمة يتبعهم العبيد والخدم، وتتخذ الفتيات أماكنهن قرب الهيكل وكن يضعن عقودا من اللؤلؤ حول رؤوسهن لتمييزهن عن عداهن ويجلسن فى صفوف متقاربة ومن تختار الجلوس فى الموقع لايحق لها مغادرته قبل أن يختارها شخص ما، ويلقى بالقطعة الفضية فى حضنها ثم يصطحبها إلى المكان المخصص للاضطجاع الذى عادة مايكون ملحقا بالمعبد.

وتقول سلام خياط: بعد المرة الأولى كان يحق لأهل الفتاة أن يبقوها فى المعبد حينما من الدهر أو تعود إلى البيت.. وكان كلما زاد عدد الذين ضاجعوا الفتاة كان ذلك أدعى إلى احترامها وإشارة إلى جمالها وجاذبيتها ودافعا قويا لطلبها للزواج.

هكذا كان حال «بغايا الرب» فى عصور ما قبل الأديان السماوية، حين كانت «الدعارة المقدسة» لها مؤسسة، تتمتع بقدر كبير من الاحترام، يشرف عليها الكهنة، وتعتبر المومس فيها مبروكة، وتوجه أربابهن إلى بناء المعابد وخدمة الرب.. وهى حالة كان بها اقتران كبير بين الدين والدعارة.

ثم ألغيت الدعارة، وحرمت وصارت الداعرة التى كانت تتمتع بقدر من المكانة الاجتماعية فى أسفل درجات السلم الاجتماعى.. ولكن بقيت فى التاريخ فترات من حين لآخر تقترب فيها التصرفات الجنسية ببعض الأفكار الدينية، ويخلق لها اطار عقيدى داهم، يوفر الشرعية.

وفى الحالة الإسلامية يمكن رصد مثل هذا من خلال حالتين، الأولى: خاصة بالتفسير الذى يسوقه البعض لفكرة الرقيق «وما ملكت أيمانكم».. الثانية: تتعلق بقيام بعض محترفى الدين بتوظيف الجهل والخرافة فى سبيل ممارستهم للدعارة.. حتى جاءت مؤسسة «الدعارة الحلال» فى العصر الحديث.

ولتوقف قليلاً أمام الحالة الأولى.

فقد كانت واحدة من أشكال الدعارة والممارسة الجنسية التى تحاول أن تغطى نفسها بالدين - بينما هى بعيدة عنه وفى هذا السياق نستعين ببحث كتبه الدكتور أحمد صبحي

منصور عن « الرق والاسلام » تحت عنوان: ماذا يعنى تعبير « ماملكت أيما نكم » ونشرته مجلة روز اليوسف فى ٦ مارس ١٩٩٥ .

يقول: ليس صحيحا أن تشريعات التراث عن الرقيق وملك اليمين لا تدخل ضمن دين الاسلام، لانها فى الحقيقة اجتهادات بشرية وفتاوى فقهية تعبر عن واقع العصور الوسطى التى كانت تنفس الظلم والاستغلال، ثم تكسبه مشروعية زائفة بأن تصله بالدين عن طريق نسبته للنبي ﷺ فى احاديث كاذبة تخالف القرآن.

ووفق وجهة نظر أحمد صبحى منصور فإن « الرقيق » كان هو الآخر - حسب فهمنا - مؤسسة للدعارة فى العصور الوسطى.. وهو يبنى رؤيته هذه على عدة نقاط:

- ليس صحيحاً أن القرآن اكتفى بالدعوة إلى عتق الرقيق دون أن يحل الموضوع من جذوره، صحيح أن القرآن جعل تحرير الرقيق ضمن بنود الكفارات عن الذنوب، وأنه جعل تحرير الرقيق ضمن الصدقات التى يستقرب بها المؤمن إلى ربه.. ولكن القرآن عالج الموضوع من جذوره.

- إن الاسترقاق أثر للاستغلال والظلم، وإقامة العدل هدف تشريعى عام فى الرسالات السماوية، وإذا تم تطبيق هذا لامجال للاسترقاق.

- تشريعات القرآن تحارب الاستغلال عموماً، وتمنع تكوين طبقة مترفة تحتكر الثروة والسلطة وتؤدى لانفجار المجتمع، وآيات القرآن تحذر من المترفين.

حتى إذا تم استيراد رقيق من الخارج ولم يسعفه الحظ بأن يكون حراً فإن تشريعات الإحسان ترعاه وتحفظ كرامته. والمؤمن مأمور بالإحسان إلى ماملكت يمينه .

- تشريعات القرآن قامت بتخفيف منابع الاسترقاق.. فالقرآن يرفض استرقاق الأسير أو قتله، ولم يتحدث القرآن عن سبائا الحروب أو العبيد.

- عقلية العصور الوسطى هى التى أفرزت فكرة السبايا، والنبي لم يتخذ سبايا، وإنما حين هزم قوم جويريه بنت الحارث فى غزوة بنى المصطلق، تزوجها النبي ﷺ، وتزوج صفيه بعد هزيمة قومها فى خيبر ولم يتخذ سبايا.

- المنبع الوحيد الذى أبقاه القرآن للاسترقاق هو الشراء والهبة من الخارج، وإذا كان

هدف تشريعات القرآن هو العدل فليس منه بالطبع فتح الباب أمام عصابات خطف الرقيق ونجارتهم الآثمة.

- إن العصر العباسى هو الذى جعل العلاقات مع المملوكة هى المعاشرة الجنسية والزواج.. والقرآن يرى أنه إذا أراد أحد أن يتزوج مملوكة له فعليه أن يعلن عن هذا النكاح.

- والقرآن يسمى مالك الجارية بالاهل، ويشترط لزواجها من غير صاحبها مهرا.

- الجارية ليست مباحة لآى أحد، وإذا أرادها صاحبها فليتزوجها، وإذا لم يرد وتزوجها آخر فعليه مهرا.

هذا هو الفهم الدينى لموضوع الرقيق.. لكننا نلاحظ بالطبع أن عكس هذا هو الذى كان يحدث فى الواقع، حين تصور البعض أن «ملك اليمين» يعنى جواز المعاشرة الجنسية إلى مالا نهاية مع العبيد.. وحين قصر دائما الحديث عن الرقيق علي أنهم إناث وليسوا ذكورا.

وبشكل عام فإن هذا التحريف الدينى لم يكن مقصوراً فقط على حالة العبيد، ولكنه أيضاً امتد إلى حالات أخرى كثيرة يشرحها هذا الكتاب، لكننا قبل هذا نرصد الحالة الثانية التي اقترنت فيها التصرفات الجنسية بأفكار دينية فى الإسلام.

فالواقع يقول: إن التاريخ الإسلامى شهد محاولات عديدة من بعض رجال الدين والسلطة لتوظيف جسد المرأة فى خدمة أغراض جنسية بحته تحت غطاء من الحلال، بعضها كان فى إطار العلاقة الموصوفة بالشرعية، وبعضها الآخر عبارة عن علاقات بنيت على الخديعة، وإيهام الفقهاء بأن مايفعلونه هو الحلال بعينه.

وفى هذا السياق ولد شيوخ هتك الأعراض.. محترفو التجارة بالدين الذين لم يتوقفوا عن أن يجدوا فى كل يوم وسيلة يمكن أن يضاجعوا بها النساء، ويقربوا بها من أجسادهن حتى لو كان هذا باستخدام الدين والفتاوى والحيل الفقهية.. وقد رصد الباحث الدكتور أحمد صبحى منصور فى رسالته لنيل درجة الدكتوراه عن التصوف والمتصوفين حالات من هذا النوع.

يقول: لقد تخصص بعض الدجالين فى نوع من الدجل السام، أولئك كانوا ولازالوا

يمشون، ينتهكون الأعراض والحرمات، ويتخصصون فى خداع النساء لاسيما من الطبقات الثرية والمترفة.. حيث يخفى النعيم عقولا هشة وأجسادا بضرة. ويتحدث الشيخ الجويرى الدمشقى فى كتابه «المختار فى كشف الأسرار» عن هؤلاء: «اعلم ان هذه الدرجة لم يتعلق بها إلاكل من يأكل الدنيا بالدين، ويدخل الشبه على قلوب المسلمين، وكل واحد من أهل هذه الطائفة ظاهرة صديق وباطنه زنديق، يستحلون المحارم ويجهلون المعالم، منهم الاباحية الذين يبيحون مؤاخاه النساء واللعب مع المردان و يختلون بالنسوان.. ومنهم من يظهر فى جسد المرأة شيئا من الكتابة من تحت ثيابها فيقول قد ظهر لى فيك علامة على العضو الفلانى، وهذه علامة على كذا وكذا، فاكشفى عن هذا العضو نجليه مكتوبا بما ذكرت، فإذا كشفت بانث له الكتابة.

ومع أحد هؤلاء الدجالين حدثت حكاية غريبة نرويهها نقلًا عن أحمد صبحى منصور..

يقول: كانت ليلة شاتية باردة عندما طرق شيخ غريب أحد بيوت قرية، رحب به صاحب البيت، لكنه وجده يتجه ناحية البيت يكبر ويهلل، وقال لصاحب البيت: إن هنا كنزاً مرصوداً. وإن الهاتف أخبره بذلك، وطلب منه أن يأتى بقطعة من حلى الزوجة ليفتح بها شبيهة خادم الكنز المكلف بحفظه.. ففعل صاحب البيت.. وامسك الشيخ فأساوحفر، وكلما مضى فى ذلك القى الاسورة وهو يتمتم بتعاويز غريبة.. إلى أن خرج بيديه مملوءتين ذهباً. وبينما كان أهل القرية يكبرون فرحاً قال الشيخ ان هذا الذهب قشرة بصلّة، اما الكنز الحقيقى فلم يزل مرصوداً.. وانه لا بد من مضاعفة كمية الذهب ليرضى الجنى خادم الكنز فيترك لهم الكنز كله. وأن عليهم أن يجمعوا هبة الجنى، وسوف يتبرع هو بنصيبه لبناء مسجد فى القرية. وسيكون نصيب كل منهم بحسب ما يتبرع به. وحين اجتمع له كل ذهب القرية.. هرب.

هذا الشيخ لا يختلف عن ذلك الذى اقنع أحدهم بأن فى بيته كنزاً، لا يمكن فتحه إلا بعد أن يختلى بزوجه سبعة أيام، وأكثر.. وقد قبل صاحب البيت.. وتنازل عن امراته للرجل الغريب، وظل صاحب البيت ينام ويصبح خادماً للشيخ الذى ينام م زوجته كل يوم مقابل فتح الكنز الذى لا يفتح أبداً.

وهذا الشيخ الدجال لا يختلف كثيرا عن أمراء التطرف الذين أقنعوا السذج بفتاوى من نوع خاص فى الثمانينيات والتسعينيات.. فتاوى هدفها الحصول على جسد امرأة أو أكثر.. مقابل كنز غير موجود فى الدنيا.. ويزعمون أنه موجود فى الآخرة.. ونحت غطاء من الحلال ومحاولات نيل الثواب ولدت دعارتهم التى قالوا عنها لأعضاء جماعاتهم : إنها حلال.. ولد «زواج الهبة» .. وظهرت علاقات شفهية بدون عقود.. وكانت الضحية فى كل مرة هى القيم التى تنتهك، والأجساد والأعراض التى تنتهك أيضاً.

وهذه الظاهرة يعالجها الكتاب فى الفصل الخاص بمجتمعات التطرف حين نتحدث عن «حريم الخليفة» كواحدة من بنود «مؤسسة الدعارة الحلال» فى مصر.. الذى يمتد ليشمل أبعادا أكثر انتشاراً فى جوانب كثيرة أخرى من الحياة.. وبعد أن نضع يدك على إباحية بدون قيود، وعلى زواج شفهي، وعلى طلاق بدون عدة، وعلى فتاوى تبرر العلاقات الجنسية المحرمة، خلقوا لها إطاراً وهمياً من الحلال، وعلى جنس يصل إلى حد القتل، وعلى زواج غريب الأطوار يستخدم أحياناً ليكون وسيلة لتجنيد لعضو جديد فى تنظيم أو لإرضاء رغبات الأمير.. سوف ندلف بك إلى أهم وأقوى كيان فى مصر فى مؤسسة «الدعارة الحلال».

هذا الكيان هو «الزواج العرفي» والذي يرصده الكتاب كمؤسسة بديلة طرحها الناس فى مواجهة المؤسسة التقليدية للزواج، وفى محاولة للهروب من الضغوط الاجتماعية وإشباع الاحتياجات الجنسية، أو اللجوء إلى هذه الصفة بحثاً عن الكسب، وارتزاقاً من الدعارة، ولكن بإدعاء أنها حلال.

وحين نرصد صورة هذا الجانب من المؤسسة فإننا سوف نقف طويلاً امام تناقضين حاديين يجعلان من الزواج العرفي فى مصر.. زواجاً.. ويجعلانه أيضاً دعارة.. هذا لتناقص الذى نلمسه بين رفض المجتمع لهذه الصيغة وممارستها، وبين موافقة علماء الدين عليه باعتباره زواجاً، وفى نفس الوقت رفضهم له.. فضلاً عن أن القانون لا يحرمه. لا يعترف به.

والواقع أن عقد الزواج العرفي يعتبر فى الإسلام مثل أى «عقد رضاء»، وكما يقول بد الوهاب عمر البطراوى فى رسالة دكتوراه عنوانها: «النظرية العامة لجريمة الزنا»-

كلية الحقوق جامعة عين شمس - فإن الاسلام يعتبر أن على الزوجين الالتزام بأحكام العقد فور انعقاده، مكتمل الشروط الموضوعية، سواء كان رسمياً أو عرفياً.. بينما فى المقابل تعتبر الشريعة اليهودية والمسيحية الزواج بلا وثيقة، أو مايسمى بالزواج العرفى ليس باطلا فحسب.. وانما تراه خطيئة، وذنباً جسيماً، وخطأ عمتاً.

هذا الاعتراف الدينى بالعقد العرفى فى مصر، لايقارن بوضعه القانونى.. لأن الفقرة الرابعة من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية لا تنظر دعوى الزوجية إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة رسمية.. وبالتالي فهو عقد حلال دينياً.. ولكنه غير موجود من الناحية القانونية.. أى أنها تعتبر علاقة أخرى غير الزواج.

والواقع كذلك- كما يقول عبد الوهاب البطاروى:- «إن هذا الإنكار القانونى له حدود.. اذ يشترط وجود الوثيقة فى حالة وجود إنكار لوجود الزواج، اما إذا اعترف به الزوجان فإن دعوى الزوجية تسمع، وبالتالي فإن هدف وجود الوثيقة هو حماية المرأة التى دائماً ماتكون الضحية.. وفى نفس الوقت فإنه لا توجد أية جريمة -بنائية أو مدنية لو ثبت وجود علاقة بين رجل وامرأة بعقد زواج عرفى».

وقد تنبأت المذكرة الايضاحية لهذه المادة فى القانون المصرى بالأوضاع المتناقضة بين الحلال والحرام للزواج العرفى، حين قالت: «هذه المادة لم ترد لإسداء للذرائع، بعد أن انتشرت ظاهرة تنبىء بذاتها عن خراب الذمم وفساد الضمائر وتحجر القلوب بأن يتزوج رجل امرأه طمعا فى مالها أو قاصدا التشهير بها أو هادفا لأى قصد دنىء آخر غير دوام العشرة والنجاب الأطفال.. فإذا بلغ قصده ترك زوجته وبحث لنفسه عن مورد آخر، فإذا مارفت الزوج البائسة ودعواها للقضاء لتثبت زواجها قام بالإنكار، ولهذا تشدد مشرع القانون فى الإثبات عند الإنكار».

وبالتالى فإن القانون كان يدرك أن هناك مؤسسة موازية للزواج، يمكن ان تتم تحت غطاء دينى.. دون سند قانونى.. وهو مانسميه نحن بالدعارة الحلال..

الكتاب يرصد هذا فى مصر بشكل كبير.. ويحدد المنتمين لمؤسسة الزواج العرفى من كافة عناصر المجتمع، من اغنيائه ومشاهيره إلى شبابه وتلاميذه، ومن مثقفيه إلى داعراته اللواتى وجدن فى ورقة الزواج العرفى وسيلة لتغطية الحرام.. وفى هذا السياق سوف

ندخل بيوت الفقراء والأغنياء وكواليس السياسة وأروقة الجامعة وسوف نخرج على المحاكم ونندلف إلى المساجد ونقترب من القرى التى وظفتها مؤسسة الدعارة الحلال وسماصرة المؤسسة ومروجيها وزبائنهما، وسوف نرصد الانفلات الجنسى والضغط الغريزى والحاح الفقر وقيود التقاليد.

ولكننا فى نفس الوقت لن نقف عند أبعاد الصورة الإسلامية لهذه المؤسسة فى مصر، وإنما أيضا سوف نرصد كذلك الحاله القبطية، حيث توجد مؤسسة دعارة حلال موازية، أفرزها الوضع الاجتماعى، ودعمها الوضع الدينى الذى يرفض منح الطلاق لزوجين مسيحيين يرفضان الحياة سويا، ولايسمح به، ويتناسى ان رفضه هذا خلق من جانب آخر مؤسسة دعارة حلال.. تقوم على الزنا وغالبا ما تلجأ إلى التزوير وتشتري الحل الدينى بأى ثمن.

وكما سيتضح من فصول الكتاب فإننا نهتم كذلك بأن نرصد حالات أخرى لمؤسسات موازية فى دول أخرى.. هى السعودية وإيران.. حيث توجد نفس المشكلة: بلوغ جنسى بدون بلوغ اجتماعى وتناقض دينى.. وحيث يوجد فى الأولى زواج المسيار وفى الثانية زواج المتعة.

لكن هذا الكتاب لن يكتمل قبل أن نسجل فى نهايته ملحقين:

الأول: خاص بصراع الفتاوى والنصوص القانونية حول مؤسسة الدعارة الحلال، فى مصر وفى غيرها، حيث تتضح الفوارق بين الاطار الشرعى الدينى والتشريعى القانونى، من جانب، وبين الوضع الاجتماعى من جانب آخر.

الثانى: عبارة عن ملف كامل لنماذج وحكايات من مؤسسة الدعارة الحلال فى مصر وفى غيرها، وحينما نقرأ هذا الفصل سوف نكتشف الهدف منه بوضوح.. ألا وهو أن الخاسر الوحيد فى هذه المؤسسة هى المرأة.. وأن تلك المؤسسة التى أفرزتها أوضاع المجتمع القاسية قد تكون من صناعة الرجل قبل أى أحد آخر.

ولكن ماهو الهدف من كل هذا؟

الهدف.. هو رصد حالة الجرح الذى تعاني منه المجتمعات الإسلامية.. لاسيما صر.. وأن نضع أيدينا على مرض الفصام فى المجتمع.. وعلى التحايل على الدين،

وعلى نسيان الحكومة لأهم المشاكل التي يعاني منها الشباب، والتي إما دفعت بالذكر إلى جماعات التطرف أو دفعت بالإناث في أحضان تجار الرقيق والباحثين العرب عن المتعة.

من هنا فإن هذا ليس كتابا عن الدين فقط.

وليس أيضا كتابا عن الجنس وحده..

وليس كذلك كتابا عن السياسة دون غيرها..

انما هو صفحات عن كل هذا، بطلها الأول والآخر رجل ضائع امرأة تحت منبر جامع لأن ليس لديه منزل.. ثم قالوا: إن هذه «نكتة».

عبد الله كمال

المتعة تحت المنبر

بين غضب الإمام الخوميني والحرب
على عمر بن الخطّاب

هذا هو حل المشكلة على الطريقة الإيرانية.

ولكن ما هي علاقة هذا الكتاب بإيران؟

إن الإجابة تقتضى منا أن نعود للتذكير بالمشكلة.. وهي اتساع الفارق الزمني بين مرحلة النضوج الجنسي والنضوج الاجتماعى، وهى المشكلة التى وجد الإيرانيون أن حلها غير ممكن إلا عن طريق المتعة.

هذا الحل يصفه شيوخ الشيعة أنفسهم بأنه دعارة.. إذ يقول حجة الإسلام أنوارى: «المتعة تشبه الدعارة».. «مع فارق بسيط أن الله أباح الأولى - أى المتعة - وحرّم الثانية - أى الدعارة - بالطبع»!!

مرة أخرى: وما علاقة هذا بمصر؟

هناك علاقة وطيدة واضحة.

فالمصريون سنة، يختلفون تماما مع مذهب الشيعة، على الرغم من أن هذا المذهب الأخير كان يعيش حالة رخاء طويلة فى مصر خلال العصر الفاطمى، وكان الجامع الأزهر منارة مهمة وقوية للفكر الشيعى فى العالم الإسلامى.

وقد كان هذا الاختلاف المذهبى مثار جدل طويل.. لم يحسم حين أفتى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الراحل - بأن من حق أى مسلم أن يتعبد بأى مذهب من مذاهب الإسلام الخمسة - الأربعة السنية والخامس الجعفرى الشيعى - ولم ينته الجدل حين قال الشيخ شلتوت: «إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، ومذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة، وينبغى على المسلمين أن يعرفوا ذلك، ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى».

هذه الفتوى لم تنته الجدل.. وبقي الخلاف ذو الجذور العميقة متأصلا وكان دوما موضوع زواج المتعة أحد عناصر هذا الخلاف، الذى يرى أهل السنة أنه حرام.. على الرغم من أن الشيعة يقرّونه كواحد من أشكال الزواج المقبولة دينيا.

وحين كان أى مصرى يتحدث فى هذا الموضوع، كان دائما كمن يضع نفسه هدفا للعنات الفقهاء من الشيوخ، على اعتبار أنه يطالب بما حرم الله.

و حين خاض الكاتب الراحل الدكتور فرج فودة فى هذا الأمر منذ عدة سنوات سبقت عملية اغتياله، واجه البعض مقولاته بأسلحة من الآيات والأحاديث، وأنهم بأنه يدعو إلى السقوط فى هوة الحرام، ويقول شيئاً يخالف أوامر الله.. وهى قصة سوف نشرها بالتفصيل فى أوراق هذا الفصل..

ذلك الجدل بين أفكار المصريين السُّنة، ومذهب الشيعة، لم يمنع آخرين فى مصر من أن يعقدوا مقارنات مطولة بين صيغة زواج المتعة عند الشيعة، وصيغة الزواج العرفى فى مصر.. وهل هناك تشابه فيما بينهما.. ولماذا يمكن أن يرفض الشيوخ السُّنة «المتعة» ويوافقون فى نفس الوقت على «الزواج العرفى» رغم أن القانون فى مصر يرفض الإثنين معا.

هناك جانب أخير يدفعنا أيضاً إلى الخوض فى تفاصيل هذا النموذج من «الدعارة الحلال» أو «الدعارة المقدسة».. ألا وهو أن الثورة الإسلامية فى إيران كانت نموذجاً مهماً أمام كثيرين من دعاة التأسلم السياسى فى مصر، لاسيما بعد أن نجحت فى أن تصبح دولة فى إيران عام ١٩٧٩.

و حين طبق آيات الله نموذجهم السياسى الدينى هناك، كانت أحد عناصر الثورة الأساسية فى علاج مشاكل المجتمع الاجتماعية إقرار نظام زواج المتعة كحل مقبول للقضاء على الهوة الزمنية الشاسعة بين مرحلة النضوج الجنسى ومرحلة النضوج الاجتماعى.. وفى حين رفضت الثورة السماح بالدعارة المقتنة كما كان فى نظام الشاه رضا بهلوى، أقرت هى ما رأت أنه «حل دينى» متمثل فى زواج المتعة. وعلى الرغم من أن إيران كانت قبله لأتباع الإسلام السياسى الثورى فى مصر، إلا أنهم تجاهلوا هذا النظام فى الزواج تماماً، وحاولوا دائماً التغطية عليه، واتهموا الغرب بأنه يروج الأساطير حوله.. رغم أن الدعارة الحلال حقيقة واقعة فى إيران.

لقد بدا الفرق واضحاً بين دولة الشاه المدنية السابقة، ودولة آيات الله الدينية.. وهذا الفرق لم يكن سياسياً فقط، وإنما أيضاً لأن المبررات التى دفعت الثورة للقيام هى التى جعلتها تغير من شكل الدولة تماماً وعلى كافة المستويات. بداية من إعلان العداء الدائم

لأمريكا التي كانت سندا قويا لنظام الشاه، ونهاية بإقرار «مؤسسة المتعة» كحل إسلامي لامع - كما يوصف في إيران - للمشكلة الاجتماعية.

نظام الشاه كان يرى أنه يتمتع بالانفتاح، يسمح للمجتمع بأن يمارس الدعارة، لكنه كان في نفس الوقت يرفض نظام المتعة، الذي كان يمارس في عدد من المدن المقدسة لدى الشيعة، والذي كان مرفوضا من المثقفين والأغنياء، وغالبية الطبقة المتوسطة.

في المقابل جاءت الثورة، وحاربت الدعارة، وهدمت بيوت العاهرات، لأن هذا نوع من الانحطاط الغربي، يخالف تعاليم الإسلام.

وهكذا اقتحم حراس الثورة حتى الدعارة والعاهرات في جنوب طهران، الذي كان يطلق عليه اسم «شرون» وأحرقوا البيوت، وأعدموا بعض السيدات المتهمات بممارسة هذه المهنة في إطار قانون دولة الشاه.

في هذا السياق تم تنفيذ عقوبة الإعدام أمام أعين سكان الحي في عدد كبير من النساء العاهرات، وكان أبرز اللاتي تم إعدامهن «بري قزويني» و«بري جنده» و«مهن تشيكة».

لكن الثورة التي رفضت الدعارة الحرام، ووجهت كثيرا من جهودها وأنشطتها لحماية الأخلاق والدفاع عن القيم والتقاليد الإسلامية، لم تستطع أن تدفع بدماء الحيوية في شرايين الاقتصاد، خاصة أنها سرعان ما خاضت حربا طويلة وشرسة ضد العراق - عرفت بحرب الخليج الأولى - وبمضى الوقت تزايد الفارق الزمني بين مرحلتى النضوج الجنسى والنضوج الاجتماعي.. ولاسيما أن الحرب أكلت نيرانها عددا هائلا من الرجال، وبقيت هناك نساء كثيرات بلا عائل جنسى أو مادي، يلبي الاحتياجات الجسمية كما يلبي الاحتياجات الاقتصادية.

هنا لجأت الثورة إلى حل الدعارة الحلال.. حل الدعارة المقدسة.. وكان الحل هو زواج المتعة.

باعتباره وسيلة دينية شرعية في رأى علماء الشيعة لعلاج أمراض ومشاكل اجتماعية عديدة. وربما يكون من التسطيط، والتعامل مع القشور، أن يزعم أحد أن ذلك هو السبب الوحيد الذي دفع الثورة الإسلامية في إيران لإقرار نظام المتعة. فهناك أسباب أخرى عديدة.. أسباب أبعد وأعمق.. تتجاوز حتى الثورة وتاريخ نشوبها.

هذه الأسباب لها علاقة بقيم المجتمع نفسه، وإفرازاته الفكرية والاجتماعية وتقاليده، قبل قيام الثورة بسنوات طويلة.

وهنا نحن سوف نعرض صورتين وتحليلين حول أسباب ومبررات وشكل نظام الدعارة الحلال في إيران، قبل أن نخوض في نهاية الفصل في تأثيرات ذلك على الحالة المصرية.

الصورة الأولى: مصدرها معارض إيراني للنظام الإسلامي، يعيش في لندن، اسمه الدكتور علي نور زاده، يكتب في عديد من الصحف البريطانية التي تصدر بالعربية، وقد تناول هذا الموضوع في عدد من مجلة المجلة - التابعة للسعودية - رقم ٨٣١، بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٦ تحت عنوان «زواج المتعة - جوائز لبنات الفقراء.. حرام لبنات رجال الدين».

ونحن هنا نرصد أبعاد الصورة كما التقطها هو قبل أن نرى صورة أخرى.

يقول:

أتوستراد أفريقيا، شارع كان اسمه «جرون» قبل الثورة، واحد من أرقى شوارع طهران، يمتد من «ساحة أرجنتين» إلى «بوليفار فرشته» على بوابة ضاحية شمرا، حتى الأغنياء والمليونيرات الجدد، الذين يمشون في سياراتهم المصفحة عدة مرات في اليوم، جنوبا وشمالا على أتوستراد أفريقيا. ومن بين المباني الفخمة والفيلات التي تقع على طرفي الأتوستراد هناك مبنى يعتبر قديما بالمقارنة مع المباني الواقعة بجواره، مضى على بنائه أكثر من عشرين سنة، وحين شيده رجل الأعمال الإيراني المعروف «حبيب ثابت» في منتصف السبعينيات، لم يكن يخطر بباله أنه سيضطر إلى مغادرة البلاد بعد عامين، وسيتحول هذا البيت المثالي الذي بناه إلى «بيت المتعة».

لكن الثورة جاءت..

ولم تقض على النظام الملكي ورجاله فحسب، بل أدخلت إلى حياة الإيرانيين عادات وتقاليد ومفاهيم جديدة. وبعثت الروح في تقاليد كادت تختفي نهائيا من قاموس حياة الإيرانيين قبل الثورة.. ومنها ما يسمى في إيران بكلمة «صيفة» - أو سيفيه - وهو ما يطلق عليه في العالم الإسلامي «زواج المتعة» وكلمة «صيفة» تعني أن يتزوج رجل امرأة لفترة

قد تكون عشر دقائق أو ٩٩ سنة، مقابل صداق معلوم، بعد أن يردد الزوج عبارة تقول: «تمتعت بنفسى لنفسك لمدة (....) على صداق قدره (.....) فهل قبلت التزويج؟ وبمجرد أن تقول المرأة: نعم. فإن زواج المتعة يصبح جاريا.

هذا التقليد - المتعة - أصبح رائجا فى إيران منذ عهد الصفويين، لكنه ظل مكروها بين العائلات الإيرانية الأصلية، بحيث لا يذكر التاريخ قبول امرأة من الطبقة الأرستقراطية أو المشقة الزواج من رجل بشكل مؤقت، فى نفس الوقت الذى كان لدى رجال الحكم والعلماء حتى نهاية حكم القاجار - الذى حكم إيران فى بداية القرن الحالى - عدة زيجات مؤقتة. بل إن ناصر الدين شاه القاجار - الذى حكم إيران خمسين سنة فى القرن الماضى - كان فى حريمه مالا يقل عن مائة من زوجات المتعة بشكل دائم.

وعادة ما كان الشاه يختار زوجات المتعة من بنات الطبقة الفقيرة، والمستضعفة، ويقال إن أحد رجال الدين البارزين فى عهده اسمه «آفانجفى» كان يفتخر بأن عدد زوجاته المؤقتات يفوق عدد زوجات الشاه وابنه.

وأطاح عهد البهلوى الأول «رضا شاه» بحكم القاجار.

وكانت أهم التحولات فى زمنه أن وزير العدل «داور» أمر بإغلاق المحاكم الشرعية، التى كان يديرها رجال الدين، وباختفاء هذه المحاكم اختفت ظاهرة زواج المتعة من المدن الكبيرة، وظلت موجودة فى داخل المدن الدينية، خاصة مدينة «قم» ومدينة «مشهد»، حيث يدرس عشرات الآلاف من الطلبة ورجال الدين.

وفى عهد البهلوى الثانى «الشاه الراحل» ونتيجة لنضال النساء الإيرانيات من أجل الحصول على الحقوق الاجتماعية والسياسية المتساوية مع الرجال، أبرم مجلس الشورى الوطنى عدة قوانين منها قانون منح النساء حق التصويت والانتخاب، وقانون حماية الأسرة الذى كان بمثابة إطلاق رصاص الرحمة على نظام زواج المتعة.

وحين قامت الثورة لم يكن هناك أى أثر لهذا النظام إلا فى مدينة قم، وربما قليلا فى مدينة مشهد، لكن الثورة ألغت قانون حماية الأسرة، ولم تسمح بتعدد الزيجات الشرعية فقط، ولكن أيضا منحت الرجال حق الزواج بشكل مؤقت.

وحينما دمر الثوريون حيي العاهرات، وأحرقوا بيوت الدعارة، وأعدموا بعض السيدات المعروفات في هذه المهنة، قررت الحكومة الإسلامية نقل مكان الحى إلى البيت النموذجي في أتوستراد أفريقيا، الذى سبق أن صدر حكم بمصادرته من قبل السلجان الثورية. وأطلق القاضى الشرعي المعروف «صادق خلخالى» على هذا البيت اسم «بيت التوابات». حيث تم إخضاع العاهرات اللاتى نقلن إلى هذا البيت لعملية «ريجيم» فكرى وثقافى، وتدريب دينى «لتطهير أجسادهن وأرواحهن».

وبعد فترة قصيرة أعلن أحد حجج الإسلام قبول توبة هؤلاء، وصرن طاهرات مستعدات لزواج المتعة. وهكذا أنشئ أول بيت متعة فى طهران، حيث أصبح فى مقدور أى رجل أن يراجع هذا البيت لاختيار زوجة مؤقتة لمدة ساعة أو أسبوع أو شهر أو حتى سنة

«زواج متعة».. «دعارة حلال».. «دعارة مقدسة».

عرف الإمام الراحل، مفجر الثورة، آية الله خومينى بهذا فغضب، وكشف هذا الغضب عن أنه كان واحدا وحيدا من بين رجال الدين الشيعة الذى يكره زواج المتعة، وأنه كان يتمسك بمبدأ زوجة واحدة دائمة. وهو شخصيا لم يتزوج طيلة حياته إلا من واحدة فقط هى «بتول ثقفى» التى ظلت شريكة عمره طوال حياته.

وأمر الخومينى بإغلاق البيت.

لكن هذا الأمر الذى يتميز بأبعاد قدسية من رجل فى أهمية ذلك الإمام، لم يمنع من انتشار ظاهرة الزواج المؤقت فى جميع أنحاء إيران.

ويقول الدكتور على نور زاده: فرضت الثورة قوانين صارمة تمنع الاختلاط بين الرجال والنساء فى الأماكن العامة. ورأت الحكومة فى الزواج بنظام المتعة حلا مؤقتا لمنع الممارسات الشاذة والعلاقات غير الشرعية بين الجنسين. وأصدرت حكومة الثورة تعليمات إلى المحاضر الرسمية والشرعية التى تسجل الزواج بأن تسجل الزواج المؤقت بشكل رسمى، كى تمنع بروز مشاكل خاصة بالوراثة وإنجاب الأبناء فى هذا النوع من الزواج المؤقت.

وبعد ١٥ سنة من صدور هذا القرار، دعا الرئيس رافسنجاني فى إحدى خطبه أثناء صلاة الجمعة العائلات الإيرانية أن تساعد أولادها وبناتها على الزواج المؤقت لحمايتهم من وسوسة الشيطان.

رئيس دولة مسلمة يدعو للدعارة كما يرى السنة.

هذه الدعوة أثارت موجة من السخط بين الطبقات المثقفة وطلبة وطالبات الجامعات والمدارس، وسُخِرَت الصحف المستقلة من نداء الرئيس رافسنجاني واعتبرته نداء قادما من كهوف القرون البعيدة.

وقالت الدكتورة مهراكيذ دولتشاهى .. وهى أستاذة فى الجامعة الحرة بإيران: زواج المتعة ليس سوى غطاء شرعى لفعل الدعارة الحرام، والفحشاء، هل من الممكن أن يقبل الإنسان زواجا لمدة عشر دقائق ويقول إن هذا فعل شرعى؟ إن رجال الدين يبررون عملا مكروها أخلاقيا وإنسانيا.

وقد نقل نفس الكاتب عن السيدة (دلارام) التى تشرف على صفحات الأسرة فى مجلة «النساء» فى طهران، أنها تتلقى عددا هائلا من الرسائل من نساء تزوجن بطريق المتعة، بسبب الفقر أو لقتل أزواجهن فى جبهات الحرب، وكونهن بلا كفيل أو عائل. ونقول «دلارام»: هذه الحالات فى تزايد مستمر، والرسائل تتضمن حكايات مرعبة ومثيرة حول المعاملة السيئة التى تتعرض لها تلك النساء، سواء من خلال فترة الزواج أو بعدها، وهناك من تحدثت عن زوج غادرها وهى حامل فى الشهر الثامن، وأخرى تتكلم عن علاقة غير شرعية بين زوجها المؤقت وابنة زوجها السابق.. وثالثة تروى كيف كان يضربها الزوج المؤقت فى كل مرة يزورها ويرفض أن يدفع النفقة.

وتضيف السيدة «دلارام» وهى موالبة لنظام الثورة: هذا الزواج المؤقت وصمة عار على جبين للمجتمعات الشيعية، إنه تقليد مكروه، لابد أن نتخلص منه، أو أن نحرقه تعديلا أساسيا فى أصوله، إننى أعارض الزواج المؤقت لمدة ساعة أو أسبوع، يجب ألا تقل المدة - مثلا - عن سنة أو خمس سنوات، وهى مدة أتصور أنها كافية حتى يدرك الزوجان ما إذا كانا قادرين على مواصلة حياتهما فى ظل زواج دائم أم لا..

وهذه المعارضة ليست مقصورة فقط على بعض الكاتبات، ولكنها أيضا ممتدة إلى

بعض النساء المرموقات، ومنهن ابنة الإمام الخوميني السيدة زهرة مصطفوي رئيسة جمعية النساء في إيران التي أعلنت أكثر من مرة معارضتها لزواج المتعة بشكله الحالي. والسيدة فائزة هاشمي ابنة الرئيس رافسنجاني نائبة رئيس اللجنة الأولمبية. والشاهرة الثورية «زهراء هتورد» زوجة رئيس وزراء إيران السابق حسين ميرموسوي التي أكدت في لقاء مع إحدى الصحف أنها تحفظ على «صيغة المتعة» وشددت على أهمية الحياة الزوجية، وضرورة الحفاظ على قيم الأسرة، وعدم تجاوز هذه القيم بإقامة علاقات غير شرعية أو بالزواج المؤقت.

إنها إذن تساوي بين المتعة والدعارة.

لكن على نور زادة يضع ملامح جديدة لصورة زواج المتعة كما رصدتها هو في إيران. هذه الملامح هي:

- لا ينتشر بأكثر من ٥٪ بين عائلات الطبقة المثقفة.

- يصل إلى ٢٠٪ بين المناطق التي بها مدارس دينية.

- النساء البيئات (فوق الخمسين) أكثر طلباً للزواج المؤقت من رجال الدين وطلبة المدارس الدينية. لأنه ليست عليهن «عدة» ولن ينجبن، ويمكن لهن أن يتزوجن عشرة رجال في يوم واحد.

- يرى حجة الإسلام محمدى مستشار وزارة العدل أن هذا النوع من الزواج مقبول، وهو أفضل وسيلة لمنع العمل الحرام، لكنه حين سئل عما إذا كان يوافق على زواج إحدى بناته بهذه الطريقة.. قال: بالتأكيد لا.. وهذا الزواج ليس مقبولا وليس جائزا لبناتنا.

(١١)

هذه هي الصورة الأولى.

الصورة الثانية: ترسمها شهلا حائري

إنها باحثة متخصصة في الدراسات الأنثروبولوجية، وهي إيرانية، حفيدة آية الله حائري، لكنها تعيش في أمريكا وهي متزوجة من أمريكي، أصدرت كتابا عن مؤسسة المتعة في إيران اسمه (Law of Desire) وترجم في الطبعة العربية على أنه «المتعة.. الزواج المؤقت في إيران - حاله ما بين ٧٨ - ١٩٨٢».

والكتاب مؤلفته محابدة تماما، تتمتع بأسلوب موضوعي، هادئ، بعيد عن الإثارة، والترويع لما هو غير حقيقي، ويجوز أن يعتمد عليه باطمئنان في تحديد ملامح أوضاع الدعارة الحلال عند الشيعة، رغم أنه يلجأ لذكر أمثلة ونماذج عن حالات غريبة ومثيرة تم توظيف الدين فيها لحماية ما يمكن أن نطلق عليه البغاء.

من الأمثلة الواردة في الكتاب والتي يمكن أن تصدم الكثيرين، تلك التي تتحدث عن ممارسة المتعة في مواسم الحج عند الشيعة، هذه يطلقون عليها اسم متعة الحج. ويقول مستشرق عن مدينة مشهد الإيرانية: «أروع ما في المدينة ذلك التخفيف عن الحجاج خلال إقامتهم بها، ففي مقابل عناء السفر الطويل، والمتاعب التي تحملوها وبعدهم عن عائلاتهم يحق للحجاج عقد زيجات مؤقتة خلال فترة إقامتهم في المدينة».

ولم تزل لمدينة مشهد هذه السمات.

رغم أن ذلك المستشرق كتب هذا قبل مائة عام.

ويقول رجل دين اسمه أمين آقا: إن هناك داعية دين عجوزا كان لديه سجل كامل بأسماء وعناوين النساء المستعدات لزواج المتعة، وكان الحجاج يقصدونه لهذا الغرض.

والذين زاروا هذه الأماكن رصدوا الزحام الحاد بين الرجال والنساء، خاصة عندما يقتربون من الأحزمة المزينة بالفولاذ والفضة، حيث يمكن أن يوجهوا لبعضهم البعض رسائل شفوية وسط زحام يرفع درجة الحرارة، وتختلط فيه الروائح وتثار فيه الغرائز، رغم أن تلك الرحلة للعبات المقدسة، هدفها غسيل النفوس من ذنوب الغرائز.

تقول شهلا حائري: إن النظام الإسلامي - بعد الثورة - وعلاجا لهذا الوضع - أقام حواجز زجاجية، ومنع الاختلاط بين الجنسين من الحجاج، لكن هذه الحواجز فرضت تجسيدا لإحساس كل جنس بوجود الآخر.

وللطرافة فإن هذه الحواجز التي تمنع الاختلاط في تلك الأضرحة، لم تمنع وجود أماكن خاصة ينتشر فيها الاتفاق على زواج المتعة. وهذه الأماكن قد تكون زاوية معينة أو عمود إنارة، أو نافذة ما. ولعل أشهرها النافذة الفولاذية على ضريح الإمام الرضا في حديقة المزار. حيث يقال إن النساء الراغبات في المتعة يتسكنن هناك ويبلغن الحجاج برغباتهن.

إنه تناقض بين قدسية المكان - المفترضة - وشهوانية الصفقات التي تتم حوله وفيه .
بين مكان يُفترض فيه سمو الروح وتحوله إلى مآخور خلف ستار من الحلال
والقداسة .

ولا تقتصر حالات وأسباب زواج المتعة على الحجاج .. إنها أيضا تستخدم لعلاج
مشاكل السفر، وفي هذا السياق يعقد الإيرانيون - بعضهم للدقة - زواج متعة غير جنسى
للحد من أعباء الحجاب، ومنع الاختلاط بين المسافرين. ولاقتسام تكاليف السفر، وبدلا
من أن يستأجر الرجل غرفة بمفرده والمرأة غرفة بمفردها، تعقد بينهما زيجة متعة،
ويستأجران معا غرفة واحدة

فى قصة امرأة اسمها «زارين» نجد مبررا آخر لزواج الدعارة المقدسة هذا .
لقد توفي زوجها، وأوصى بأن يدفن فى كربلاء - بالعراق - واستعانت العائلة بأحد
أصدقاء الزوج الذى اضطر لأن يعقد زواج متعة غير جنسية مع السيدة «زارين» ومع
ابنتها أيضا - فى نفس الوقت - لكى يصبح وجوده معهما حلالا .

هنا نلاحظ أن الزوجة تزوجت قبل أن تنتهى عدتها من زوجها الراحل .

تزوجت بدون جنس

وفى نفس الوقت عقد الرجل - الزوج - زواجا مع الابنة .

أى أنه جمع بين من لا يجوز الجمع بينهما فى زواج دائم .

وبنفس المنطق فإن الرجل فى إيران يتزوج من خادمتة، لأنها ليست من محارمه ..

وبالتالى - قبل زواجه منها - يجب أن ترتدى الحجاب أثناء العمل، وفى هذا السياق
قالت سيدة إيرانية لشهلا حائرى: إن زوجها عاد ذات مرة إلى بيته فوجد فى سريره فتاة
صغيرة شبه عارية . ترتجف من الخوف .. كانت أمه قد عقدت له عليها زواج متعة .

والأمهات لسن وحدهن اللاتى يفعلن هذا .

ذلك أن بعض الزوجات يقمن بأنفسهن بعقد زيجات متعة لأزواجهن أو أبنائهن .

وفى جميع الأحوال فإن الكل يكسب .. السيد يكسب وزوجته تكسب . والخادمة

أيضا، وأبناؤه كذلك.. كلهم أراحوا ضمائرهم من مناعب الاختلاط بين الأغراب، فبهذا العقد لم تعد الخادمة غريبة على أحد. وبالتالي ليس هناك داع للحجاب.

وقد يكون زواج المتعة حلالا حتى لا يذهب شباب الأسرة إلى فتيات سيئات السمعة. ولكن من جانبها فإن الخادمة قد تحقق أكثر من هدف.. فهي بالزواج من رب البيت لم تعد خادمة، بل زوجة. ولن تتعرض لمضايقات جنسية من رجال العائلة، وفوق كل هذا صار لديها حصن دفاع ضد الطرد السريع من البيت.

ومتعة الحجاج والخادمة والمسافر ليست كمتعة «النذر».

وفيه تهب المرأة نفسها عدة أيام لزواج المتعة إذا ما تحقق لها شيء ما. وقد قال أحد رجال الدين من مدينة مشهد المقدسة عند الشيعة: «ذات مرة عرضت على امرأة أن تزوجها وفاء لنذر نذرتة.. لكنني قلت لها: إنك لست النموذج الذي أفضله».

لقد تجاوز الشيعة في إيران بهذه الدعارة المقدسة مواقف وإشكاليات فقهية عديدة، وبدأ زواج المتعة وكأنه تحايل شرعى على مصاعب الحياة اليومية التى تصطدم بتحريمات الدين، لاسيما في دولة تطبق الفصل الدائم بين الجنسين، بشكل واضح وصارم.

ذلك أن هناك متعة دينية، يتم بموجبها زواج شاب من شابة قبل أن يبلغا السن القانونية للزواج، كنوع من التحايل على قوانين دولة الشاه.. فى ظل مجتمع يرى ضرورة زواج البنات قبل أن يعرفن الطمث والبلوغ الجنسى.. وهى حالة لا يتم تسجيل المواليد فيها إلا بعد بلوغ الأبوين - الزوجين - السن القانونية للزواج.

هناك أيضا زواج متعة لإشباع الرغبة فى الإنجاب، مع الاحتفاظ بالزوجة الدائمة، وفى حالات أخرى يتزوج صناع السجاد فى مدينة كشان من العاملات فى المصانع كى يحتكروا جهودهن. وفى حالات غيرها يتم الاتفاق على زواج متعة غير جنسية لإزالة الحواجز الشرعية بين فتى وفتاة مخطوبين ومقبلين على الزواج.. أو حتى إن لم تكن هناك نية للزواج لتسهيل عملية التفاعل الاجتماعى بين العائلات، وكوسيلة لنزع الحجاب.

هذه العقلية المتحايلة ليس غريبا أن تفرز أنواعا أخرى من زيجات الدعارة الحلال أكثر تعقيدا، وأكثر تحايلا على تعاليم الدين. وفى هذا السياق إليكم نماذج التحايل التالية:

- زواج متعة بين بطلى فيلم سينمائى ليتم التصوير بدون حرج دينى بين البطل والبطلة.

- زواج متعة جماعى تتصل فيه المرأة بأكثر من رجل، فى إطار يسمى «إسلامى».

والفكرة هى أن تعقد المرأة زواجا مع الرجل لساعات بدون اتصال جنسى ثم تتزوج من غيره بنفس الشكل، ويمكن لأربعة رجال أن يعقدوا هذا الزواج مع امرأة واحدة، والمحظوظ هو الذى يكون من نصيبه أن يصبح الأخير، فيتصل بالمرأة اتصالا جنسيا كاملا.

- زواج متعة للتكفير عن الذنوب بين الداعرات السابقات وحراس الثورة أو العائدين من جبهة الحرب مع العراق.

ولقد وصل الأمر إلى حد أن قام رئيس وزراء إيرانى سابق اسمه الدكتور باهونار بتأليف كتاب مع الدكتور غول زاده عضو مجلس الشورى لطلاب المدارس كى ينبها فيه إلى أهمية أن تحافظ الفتاة على عذريتها فى زواج المتعة العارض. لكنهما خففا من هذه التوصية بأن اقترحا على الطلبة من أطراف علاقات زواج المتعة أن يتمما لقاء جنسيا حميميا بدون جماع كامل.

ولقد قال المؤلفان: بإمكان الرجل والمرأة فى هذا النوع من زواج المتعة الاتفاق على أن تكون لذتهما الجنسية محدودة.

وهذا التناقض الذى قد لا يبدو سوى لنا نحن السنة، ليس من حقنا أن نلومه ونعترض عليه، لأننا نفعل فى مصر ما هو أسوأ منه، وسوف نتأكد من ذلك من خلال قراءة الفصول الثانى والثالث والرابع وحين نطالع النماذج الملحقه بنهاية الكتاب، ولأن لشيعه لديهم منطقهم الخاص من الناحية الدينية فى هذا الأمر.

إنهم لا يرون أن هذه دعارة، وإنما وسيلة لاكتساب الثواب الدينى.

وفى هذا الاطار ننقل عن شهلا حائرى ما ينسب للإمام جعفر الصادق - مؤسس المذهب الشيعى الذى قال: «كل نقطة من مياه الاغتسال بعد الجماع فى زواج المتعة تتحول إلى القيامة إلى سبعين ملاكا يشهدون لصالح من مارسوا زواج المتعة يوم القيامة».

وربما يدفع هذا القول البعض إلى أن يعقد زواج متعة ثم يستحم فى نهر، ولكنى لا أعرف طريقة لكسب أكبر قدر من الحسنات إذا طبقت مقولة الإمام محمد الباقر حين سئل: هل لزواج المتعة ثواب؟ فقال: «ينال ثوابا عن كلمة تبادلها مع المرأة، وثوابا عندما يمد يده إليها، وعندما يدخل عليها، ويغفر له الله ما تقدم من ذنوبه، وعندما يغتسل تحل عليه رحمة الله، ومغفرته، بعدد الشعرات التى تبللت بمياه الاغتسال».

هذه الخرافة مردها أن من يتزوج بطريقة المتعة من الشيعة إنما يخالف أمر من حرمها، وهو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى الدرجة التى تدفع بعض رجال الدين لأن يحتفظوا بسجلات ضخمة بها أسماء الراغبين والراغبات فى زواج المتعة.

إن الشيعة يقولون: إن المتعة نوع من الزواج، ارتباط شرعى، وإن انعدام حق الزوجة فى الميراث من زواج المتعة لا يعنى أنه باطل، لأن المتعة عقد، وبإمكان الطرفين التفاوض على شروط هذا العقد وأن يضمناه بندا حول الميراث.

وتبلغ الإثارة ذروتها حين يقول الشيعة أن المتعة مورست فى عهد الخليفة أبى بكر - رضى الله عنه - وأن ابنته أسماء مارست المتعة، وهى أخت أم المؤمنين عائشة وأم عبدالله بن الزبير الذى يزعمون أنه تزوج بطريقة المتعة نحو ٧٠ مرة.

إنهم أيضا لا يرون أن الزواج الدائم يكفى لإشباع الرغبات والحاجات الجنسية لبعض الرجال، على حد تعبير آية الله طبا طبائى، ويرون حسبا قال آية الله مطهرى الفقيه الشيعى المعروف: إن أمام الشباب خيارين: فإما اللجوء إلى النموذج الغربى المتمثل فى الشيوعية الجنسية، أو الإقرار لهم بشرعية الزواج محدد المدة. ومن جانبها فإن شهلا حائرى ترى أن الزواج الدائم هو فى الواقع عقد بيع، بينما ترى أن الزواج المؤقت عقد إيجار، وتقول أيضا إنه ذروة مفاوضات معقدة بين الأسرتين - الدائم - بينما الزواج المؤقت يتفاوض فيه الرجل والمرأة مباشرة بلا وسطاء.

«راجع الفصل الخامس حيث نقرأ عديدا من الفتاوى حول الدعارة الحلال فى زواجى المتعة والعرفى، وحيث نقرأ المقارنة المفصلة التى رسمتها شهلا حائرى بين الزواج الدائم والزواج المؤقت» لكننا هنا نرصد رأيين استمعت هى إليهما من اثنين من رجال الدين فى إيران حول زواج المتعة عند الشيعة.

يقول آية الله شريعت مدارى: «هدف المتعة هو إشباع الحاجات الجنسية، وهو مفيد لأن جوهره تفادى الزنا، وإننى اعترض على استغلال بعض الأغنياء للمتعة، إنه نوع من الزواج يجب ألا يتم اللجوء إليه إلا فى حالة الحاجة الملحة كدواء وليس طعاما يؤخذ دائما».

ويقول الدكتور حجة الإسلام أنوارى: لقد سئلت إذا كان زواج المتعة حلالا دينيا لماذا هو عار اجتماعى؟ فأجبت: «لأنه الفرق بين سيارة خاصة وباص عام، بين كوب ماء يشرب منه مرة واحدة وأكواب موضوعة على سبيل فى الشارع، وأنا أمارس المتعة سرا، لأنها خير، وفعل الخير لا يجب أن يكون علنيا».

إنه الزواج من المرأة السبيل.

ولكنه أيضا كما يرى الشيعة إعلان حرب دائمة على عمر بن الخطاب الذى يقولون: إنه حرم ما أحل الله.

هذه هى الصورة الثانية لزواج المتعة التى رسمتها الباحثة الإيرانية شهلا حائرى.. وهى وإن كانت موضوعية فى طريقة رصدتها، إلا أنها لا تنفى أن الخلاف كان ولم يزل قائما. وبقدر ما كان الخلاف دائرا بين علماء الإسلام فى بداية عصره فإنه أيضا لم يزل موجودا حتى اليوم.. ويردد فيه المسلمون - السنة والشيعة - نفس المقولات التى كانت تتردد من قبل. فريق يدافع عن المتعة وفريق يهاجمها ويرأى بقاء وفحشا مضادا للدين والقيم والأخلاق.

فى هذا السياق سوف نورد نموذجين للنقاش حول هذا الموضوع. الأول من السعودية، والثاني من مصر.. الأول جرى فى بداية عام ١٩٩٦، والثاني دار فى نهاية الثمانينيات..

ولنبدا بالأحدث.. وهو خلاف بين باحثين سعوديين نشر فى شهر يناير ١٩٩٦ على صفحات مجلة «المجلة»، تعليقا على تحقيق صحفى بعنوان «زواج المتعة بين الرفض والقبول».

الباحث الذى اتخذ موقف الدفاع عنه اسمه عادل حسن الحسن - قد يبدو من الاسم أنه شيعى - وقد رأى فى عنوان التحقيق تجاوزا دينيا ليس مقبولا البتة «لأنه متى كان للأمة

أن تختار الأحكام الشرعية، ومتى كان لأحد من الناس أن يرفض أو يقبل حكماً شرعياً. والدليل كما يقول إن القرآن ذكر في سورة [محمد - الآية ٩]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْطِ أَعْمَالَهُمْ﴾ وفي سورة [القصص - الآية ٦٨]: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾. وبالتالي فالله وحده هو الذى ينزل الأحكام ويختارها لعباده وليس للإنسان أن يختار أو يقرر الأحكام الشرعية.

وقد نفى عادل الحسن أن يكون الإمام الخومينى قد كره زواج المتعة إذ أنه ذكر زواج المتعة وشروطه وأحكامه فى فتاواه فى كتاب (تحرير الوسيلة) وفى (زبدة الأحكام). وزواجه رحمه الله من زوجة واحدة لا يعنى أنه رافض أو كاره لزواج المتعة، ولهذا علينا أن نفرق بين ممارسة الحكم الشرعى، وبين رفض وقبول الحكم الشرعى.. وكما أن زواج الإمام الخومينى من واحدة لا يعنى أنه كره زواج المتعة، فإن زواج النبى ﷺ من تسع نساء لا يعنى حبا للجماع فى حد ذاته. وكذلك لا يعنى عدم زواج شيخ الإسلام ابن تيمية رفضاً للزواج أو زهداً فيه، لأن لكل قضية ظروفها ودوافعها. والإمام الخومينى لم يمنع زواج المتعة ولكن دعا لتنظيمه وتسجيل عقده فى المحاكم الشرعية كما يحدث فى الزواج الدائم.

وقد بنى نفس الباحث فكرة عدم تسجيل عقد الزواج - راجع الفصل الثانى من هذا الكتاب - وقال: «من قال إن تسجيل عقد الزواج سواء كان دائماً أو مؤقتاً يعطى شرعية للزواج، ومن قال إن تسجيل عقد الزواج شرط فى صحة الزواج أصلاً؟ فمن المعروف أنه إلى عهد قريب فى البلاد الإسلامية لم يكن مشهوراً تسجيل عقد الزواج الدائم رسمياً، إنما تسجيله طراً حديثاً، وإلا جاز لنا أن نقول: إن عدم تسجيل جميع عقود الزواج التى لم تسجل رسمياً يجعلها غير شرعية. وبالتالي هل نقول إن زواج الإكراه هو زواج شرعى لأنه سجل رسمياً. طبعاً لا.. فعقد الزواج إذا تحقق له لفظ الإيجاب من المرأة والقبول من الرجل يكون شرعياً».

هنا يجب أن نتدخل نحن فى التعقيب على سير النقاش، بعد أن انتهى كلام الباحث مؤقتاً. ذلك أن هناك خلطاً واضحاً بين تسجيل عقود الزواج وشرعية العقود نفسها.. إذ لم يقل أحد أن هذا كان شرطاً لوجود إقرار شرعية الزواج، ولكن مع اتساع

المجتمعات وزيادة عدد السكان صار لزاماً على الدول الإسلامية الحديثة أن تقر عملية التسجيل لأن بها تنظيماً واضحاً، وحماية ضرورية للأنسب، وأمر يساعد على التعداد والإحصاء.. وفى نفس الوقت حفظاً للحقوق. والقبول بالمنطق العكسى - أى الزواج بدون تسجيل - يعنى أننا يمكن أن نفاجأ بعشرات الألوف من الناكرين لعملية الزواج وما يترتب عليها إذا أرادوا هم ذلك.. ويتحول الزواج إلى نوع من أنواع الدعارة.. ومرة أخرى نقول أنه جرى تناول هذا الأمر في الفصل الثانى من هذا الكتاب.

غير أننا نعود للباحث عادل الحسن ورأيه فى زواج المتعة.

يقول: «الله هو الذى شرع الزواج المؤقت، فى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء - الآية ٢٤] وليس لأى بشر أن يحرم شرع الله. ووفقاً لهذه الآية الكريمة فإن المسلمين متفقون على شرعية زواج المتعة ولكن يختلفون فى استمرارية تشريع زواج المتعة، بينما السنة يذهبون إلى أن رسول الله ﷺ حرم زواج المتعة، نى حين أنه لا يوجد حديث واحد عن رسول الله ﷺ يدل على تحريم المتعة. ناهيك عن الحديث النبوى لا ينسخ الآية القرآنية».

وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده قال: قال ابن عباس تمتع النبى ﷺ، فقال عروة بن زبير نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس، ما يقول عروة؟! قالوا: يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، قال ابن عباس: أراهم سيّهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ يقول نهى أبو بكر وعمر.

وبناء عليه يرى عادل الحسن أن الرسول لم يحرم زواج المتعة: «ولأنما الذى حرم ذلك والخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، ويدل على ذلك ما روى عن الإمام على أنه ل: لولا عمر وتحريم المتعة ما زنا إلا شقى». فلماذا نرفض شرع الله سبحانه وتعالى بحث عن حلول أخرى مثل الزواج العرفى والزواج بنية الطلاق. فقد اشتهر الزواج عرفى فى بعض البلاد العربية لغرض قضاء الحاجة وهو زواج - كما لا يخفى - لم كرم فى الكتاب والسنة، والزواج بنية الطلاق يقوم على الغش والخداع حيث يتزوج جل من المرأة وفى نيته أن يطلقها بعد فترة دون علمها بذلك.

انتهى كلام الباحث عادل الحسن.

وقبل أن نغضى فى عرض وجهة نظر الباحث الآخر نوضح أنه بسبب النقطة الأخيرة حول «الزواج العرفى» كان الهدف من هذا الكتاب.. الذى يقارن بين نموذجين من الدعارة خلف ستار من الحلال والقداسة.. وسوف نعرض للزواج العرفى بالتفصيل فى الفصل الرابع من هذا الكتاب.

نعود إذن إلى رأى المقابل حول زواج المتعة، وصاحبه سعودى، من الخبر، اسمه سلمان بن يوسف العمود الدوسرى.. يقول:

«لقد حاولتم إيهام القارىء بأن الله أباح زواج المتعة، وهذا غير صحيح، لأن الزواج فى الإسلام عقد متين وميثاق غليظ يقوم فى الأصل على نية العشرة الدائمة، من الطرفين، لتحقيق ثمرته النفيسة التى ذكرها القرآن من السكن النفسى والمودة والرحمة وغايته النوعية والعمرائية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنسانى».. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل - الآية ٧٢].

أما الزواج المؤقت، أو المتعة، وحسبما يحلله البعض فهو ليس أكثر من إباحة الجنس بشرط واحد فقط هو ألا تكون المرأة فى عصمة رجل آخر، وحينئذ يكون نكاحها بعد أداء صيغة الزواج التى يستطيع الرجل أن يؤديها فى كلمتين ولا تحتاج إلى شهود أو اتفاق عليها وللمدة التى يشاءها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة وهى الجمع بين ألف زوجة للمتعة تحت سقف واحد.

وعندما يقول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فهل يقضى بقانون فيه إباحة للجنس والخط من كرامة المرأة مالا تجده حتى لدى المجتمعات الإباحية فى التاريخ القديم والحديث وحتى لويس الرابع عشر وسلاطين الأتراك وملوك الفرس فى قصورهم لم يقدموا عليها. فأين موقع المرأة وكرامتها والاحتفاظ بأخلاقها من قانون المتعة؟! إن موقعها هو الذل والهوان وشأنها كله كالسلعة التى يستطيع الرجل أن يكدها واحدة فوق الأخرى بلا عدد ولا حد، وهل يليق بها أن تقضى أوقاتها فى أحضان الرجال واحدا بعد الآخر باسم شريعة محمد ﷺ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

هنا أضع أمام القارىء شروط زواج المتعة وعليكم الحكم بعد ذلك.

- يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.

- الرجل فى حل من نفقة الزوجة.

- يجوز للرجل الجمع بين أعداد لا تحصى.

- الزوجة لا تراث الزوج.

- موافقة الأب ليست شرطاً فى كل الأحوال.

- مدة الزواج المؤقت قد تكون ربع ساعة وقد تكون لمدة يوم أو تسعين عاماً. وحسبما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

وقد أجاز الرسول ﷺ زواج المتعة قبل أن يستقر التشريع فى الإسلام. أجازته فى السفر والغزوات ثم نهى عنه وحرمه على التآبىء وكان السر فى إباحته أولاً أن القوم كانوا فى مرحلة يصح أن نسميها فترة انتقال من الجاهلية إلى الإسلام، وكان الزنا فى الجاهلية منتشرًا، وميسراً. فلما كان الإسلام واتجاههم للسفر والغزوات والجهاد شق عليهم البعد عن نساءهم مشقة شديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان وضعفائه، أما الضعفاء فكيف عليهم أن يتورطوا فى الزنا؟ وأما الأقوياء فعزموا على أن يخصصوا أنفسهم أو يجبوا مذاكيرهم كما قال ابن مسعود رضى الله عنه: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء. فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالشوب إلى أجل». وبهذا كانت إباحة المتعة رخصاً لحل مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، بخطوة فى سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة.

وكما تدرج بهم القرآن فى تحريم الخمر وتحريم الربا تدرج النبى ﷺ فى تحريم الفروج، فأجاز عند الضرورة المتعة، ثم حرم النبى ﷺ هذا النوع من الزواج كما روى عنه ذلك «على» رضى الله عنه وما أخرجه مسلم فى صحيحه عن سيرة الجهنى «أنه غزا مع نبى ﷺ فى فتح مكة، فأذن لهم فى متعة النساء، قال: فلم يخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ وفى لفظ من حديثه فإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة».

إذن هذا هو الرأى الثانى، وهو بالإجمال يرى أن المتعة بقاء ودعارة وإهانة للمرأة.. لى عكس ما رأى الباحث الأول أنه هروب من الزنا والفحش فى شكل الزواج العرفى الزواج بنى الطلاق.

وهذه الأبعاد هي نفسها تقريبا التي دارت في مصر، حين نوقشت القضية.. والمثير في كل الأحوال هو أن الجميع يخرج من جعبته مئات من الآيات والأحاديث والتقاليد لشرح وجهة نظره ويؤيدها، سواء كان ذلك التأييد مع المتعة وضد الدعارة، أو ضد المتعة وضد الدعارة.

نحن الآن في مصر..

ومفجر القضية كان هو الكاتب الراحل فرج فودة، الذي نشر مجموعة من المقالات حول زواج المتعة في جريدة الأحرار - أصدرها فيما بعد في كتاب خاص - وقد كانت رراته في طرح الموضوع مختلفة عن الأسباب التي دفعتنا لتناوله.. فهو قال: «لست داعيا لزواج المتعة - ولا نحن أيضا - ولست موافقا عليه، ولست قابلا به لبنات أسرتي وبنات المسلمين، ولكني أكتب هذا لأن الحقيقة ضالة المؤمن، والطريق الصحيح إلى الحقيقة لا بد أن يمر بالتعرف على الرأي والرأي الآخر».

وحين كتب فرج فودة مقالاته تلك كانت الردود عليه في غاية القسوة، واحتدم الجدل معه حول ما نسميه نحن بالدعارة الحلال في مصر وفي غيرها من بلاد المسلمين.

لقد لجأ الكاتب الراحل في البداية لأن يعرض إلى المناقشة حول المتعة من خلال إيضاح الرأي والرأي الآخر في محاور مطولة بين السنة والشيعة وأسانيد كل منهما، ثم تدخل هو فيما بعد - في الفصل الثاني من كتابه - وأوضح جميع الحجج والآيات والأحاديث التي تستخدم في هذا الموضوع.

وسوف نلخص هذا الحوار الذي أجراه بين الشيعة والسنة في الفصل الأول من كتابه.

يقول السنة: هل يتصور عاقل أن المتعة زواج، هل يقبل أحد أن يحدث هذا لابته أو اخته أو أمه، إنها بغاء.. بغاء.. بغاء.

يرد الشيعة: حين تصفون زواج المتعة بأنه بغاء، فأنتم تسيئون إلى أنفسكم وليس لنا فقط، لأنه يسئ إلى الإسلام الذي نتبعه جميعا، وإن اختلفت بنا السبل لقد أبيحت المتعة في عهد الرسول ومارسها الصحابة، فهل يجوز أن تصفوها بالبغاء، وقد أحلها الرسول.

يقول السنة: هذه الأحاديث التي يتحدثون فيها عن الحلال هي التي حرمت المتعة.

يرد الشيعة: لقد أحل زواج المتعة في عهد الرسول، ولا يعقل أن يكون قد حرّمها إلا أن يكون قد أحلّها، خاصة عندما يتكرر التحريم. فالتحريم مرتين معناه الحل بينهما. وحديث معبد بن سبرة الجهني يقول فيه الرسول ﷺ: «يا أيها الناس إني قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم..» وبالتالي يجب أن تعترفوا في بداية الحوار بأن المتعة أحلّها الرسول ومارسها الصحابة بإذنه في عهده.

يقول السنة: نحن لا نقصد العرض التاريخي، ولا يختلف الأمر إذا كانت قد أحلت في عهد الرسول أم لا، لأنه حرّمها تحريماً قاطعاً إلى يوم القيامة، وقد حرّمها في سبعة مواضع آخرها حجة الوداع.. المهم هنا هو التحريم المتكرر والقاطع.

يرد الشيعة: هذا التكرار في سبعة مواضع كان حصراً لما ورد في مصادركم ليس عن اقتناع به، بل لإثبات التضارب وعدم المقولية في الروايات التي نعتقد أنها مدسوسة على الرسول. ومعنى أن الرسول ﷺ أحلّها ثم حرّمها ثم أحلّها ثم حرّمها.. هكذا، لا يستقيم منطقياً ولا سابقة له ولا مثيل.. وربما يعني أيضاً ذكر التحريم بدون ذكر الحل أن المسلمين الأوائل خالفوا أمر الرسول ست مرات، ومن جانب ثالث فإن تواريخ التحريم في المواضع السبعة تشير إلى عدة ملاحظات:

فإذا كان أول تحرّم حدث في مناسبة خير، شهر محرم، عام سبعة هجرية.. فإن هذا يعني أن الرسول سمح بممارسة ما تصفونه بالبغاء عشرين سنة كاملة. ومن ناحية ثانية أن هذه التواريخ تشير إلى أن الحل والتحرّم حدثا سبع مرات خلال ثلاث سنوات فقط، يزداد الشك حين نرى أنها أباحت وحرمت ثلاث مرات في شهر واحد «بين حنين فتح مكة نحو شهر، وبين أوطاس وحنين نحو خمسة أيام».

يقول السنة: إن الزواج الدائم نسخ هذا الزواج الذي لا ميراث فيه للزوجة ولا عدة بها ولا ضرورة لطلاقها إذا انتهى أجله.

يرد الشيعة: إن من يقول إنه لا يوجد زواج بغير إمكانية حدوث طلاق كاذب.. للدليل أن هناك ثمانى حالات زواج تنتهي بلا طلاق وهي: الأمة الزوجة إذا اشتراها

زوجها فإنها تبين منه بغير طلاق، والزوجة الملاعنة، والزوجة المرتدة، والزوج المرتد،
والزوجة التي أرضعتها أم الزوج، والزوجة التي أرضعتها زوجته الكبيرة، وزوجة
المجنون، والزوجة التي ملكت زوجها المملوك بأحد أسباب الملك.

ولم يتوقف هذا الحوار.

لكننا نحن الذين نتوقف عن الخوض في مزيد من تفاصيله المثيرة.

لاسيما وأننا سوف نخوض الآن في غمار الفصل الثاني الذي تحدث فيه فرج فوده
من الحجج الموثقة التي تدعم رأى كل فريق.

- فى صحيح البخارى أربعة أحاديث فى باب «نهى الرسول عن نكاح المتعة آخرها».

الحديث الأول: عن ابن عباس الذى قال له على رضى الله عنه: «إن النبى ﷺ نهى عن
المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خير».

الحديث الثانى يقول: «حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندور حدثنا شعبة عن أبى حمزه
قال سمعت ابن عباس عندما سئل عن متعة النساء فرفض فقال له مولى إنما ذلك فى
الحال الشديد وفى النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس نعم».

والحديث الثالث: «عن جابر بن عبدالله وعن سلمة بن الأكوع قالوا: كنا فى جيش فأثانا
رسول الله ﷺ فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا».

الحديث الرابع: «قال ابن أبى ذئب حدثنى أياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن
رسول الله ﷺ أيما رجل توافق معشره ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا أو يتاركا
كما تاركان. وقال أبو عبدالله وبينه على عن النبى ﷺ أنه منسوخ».

ثم يخوض بعد ذلك فرج فوده فى مزيد من المراجع التى أوردت أحاديث وتفسير
حول تحريم وحل زواج المتعة سيمكن قراءة بعضها فى الفصل الخامس من كتابنا هذا.

لكننا نتقل إلى الجدل الذى دار حول هذا فى ذلك الوقت.

فى رده على فرج فوده قال الدكتور محمد القيمى أستاذ التفسير بكلية أصول الدين:
إنه لاحظ اشتغال الكاتب بالأمر المنسوخ لقوله ﷺ: «أنهاكم عن الحمر الوحشية وزواج

المتعة»، وإن من المعلوم أن الشيعة يعتمدون على روايات علي بن أبي طالب مع أن الراوى للتحريم هو علي بن أبي طالب، وإن كلام الشيعة دعاوى لا دليل عليها حين يقولون: إن زواج المتعة عمل به في عهد أبي بكر وعمر، وإن قول الله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ قَاطِعٌ أَنَّهُ كَانَ خَاصًّا بِالزَّوْجِ الشَّرْعِيِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾ [النساء - الآية ٢٥]

وأن هناك فرقا بين اعتراف الأزهر بمذهب الشيعة الإمامية والموافقة على كل تفاصيله.. وأن فرج فوده ادعى أن فقه السنة لم يعاقب بالحد على المتعة لوجود الشبهة وهذا إدعاء باطل لأن نكاح المتعة ليس عند السنة بشبهة تدرأ الحد.

أضاف: إن فرج فوده ادعى أنه زواج بلا طلاق ولا ميراث ونحن نسأله ما الحكم إن حملت، وكيف يكون هناك زواج بلا طلاق أو ميراث والله قال: «ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد».. وادعى أن المتعة كان معمولاً بها إلى حجة الوداع وهذا إدعاء كاذب في الأحاديث الصحيحة.

وقال الدكتور فرج فوده رداً على هذا: يا فرحة كل شيعة برد الدكتور القبيعي». «إن السهام التي تصور أنها توجه إلى صدور الشيعة عادت إلى صدره.. وما يصيبه يصيبنا لأننا سنة».

وأضاف: إن الدكتور في أول نقطة يتحدث عن أنني اشتغلت بأمر منسوخ لثبوت حديث الرسول ﷺ الناهي عن المتعة، وأنا أقول إن هذا الحديث مختلف عليه ومطعون في صحته والدليل ما قاله الشيخ سيد سابق تعليقا على هذا الحديث «الصحيح أن المتعة حُرِّمت عام الفتح، ولهذا اختلف أهل العلم في هذا الحديث». وقد تشكك البيهقي في صحة الحديث لسبب موضوعي وهو أنه كان موجهاً من الإمام علي بن أبي طالب رداً على ترخيصه بالمتعة وأن زمانه كان بعد وفاة الرسول.. ثم أنه لا يوجد في الحديث شيء اسمه الحمر الوحشية ولكن الحمر الأهلية أو الإنسية كما وردت في كل كتب الحديث.

وفوق كل هذا فإنه يروي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقى».. والحديث واضح، فهو إشارة إلى أن عمر هو الذي حرم المتعة وليس الرسول ﷺ. وليس صحيحاً أيضاً أن الشيعة يزعمون أن المتعة نمت في عهد عمر وأبي

بكر، لأن هذا قد حدث فعلاً.. ويقول حديث ورد في مسند ابن حنبل «استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث».

وأيضاً يقول الشيخ سيد سابق في كتابه فقه السنة «لا يجب الحد في نكاح مختلف في صحته مثل زواج المتعة لأن الاختلاف بين الفقهاء على صحة هذا الزواج يعتبر شبهة والحدود تدرأ بالشبهات».

واستمر الجدل، وتنوعت الآراء فيه، لكن الأمر المهم في هذه المعركة التي دارت في صحف مصر، هو ما حدث بعد اغتيال الدكتور فرج فوده، حين صدر كتابه حول زواج المتعة.. وكتب الدكتور أحمد صبحي منصور في بداية رأيه في موضوع زواج المتعة، وصور رأياً مهماً تعرض له هنا.. لاسيما وأن صاحبه يصف نفسه بأنه تخلص من متاعب الانتماء المذهبي.

يقول الدكتور منصور:

- حين نزل القرآن الكريم كان الزواج الشرعى معروفاً، وقبل أن يكون النبى نبياً، وكانت هناك تجاوزات فى الزواج الشرعى فى نكاح المحرمات «زوجة الأب والجمع بين الأختين». ثم نزل القرآن ونقى الزواج الشرعى من رواسب الجاهلية.

- وفى الآية ٢٤ من سورة النساء ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ نجد القرآن يتحدث عن الزواج إجمالاً، وليس عن المتعة، ويقول: ﴿وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أى بعد المحرمات من الزواج، وبسبب استمتاع الرجل بزوجه الشرعية فلا بد أن يعطيها صداقها ومهرها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

- الأصل فى الزواج الشرعى التراضى والاتفاق، والمهر حق للزوجة ولكن إذا رضيت التنازل عن جزء منه جاز لها ذلك. تقول الآية ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ أى أن يجوز بالتراضى والاتفاق أن يتنازل أحد الطرفين للآخر عن بعض حقوقه. ويجوز أيضاً التراضى على زيادة بعد المهر.

- وإذا تراضى رجل وامرأة على الزواج وأراد ولى الأمر منع ذلك الزواج أو أراد «عصل المرأة» فإن القرآن يمنع ذلك العصل ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ﴾.

- القاعدة القرآنية تجعل العقد شريعة المتعاقدين. ويمكن القياس هنا بأنه إذا اتفق الطرفان على شرط في عقد الزواج أصبح ملزماً للطرفين، إذا لم يكن في ذلك الشرط شيء من النواهي، ومع الأخذ في الاعتبار أن الزواج «ميثاق غليظ». وعليه يجوز للزوجين الاتفاق على مدة الزواج ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ﴾.

وقد يسأل سائل عما إذا كان يمكن أن يتزوج امرأة نصف ساعة ثم يطلقها؟ فاجيب عليه بأنه يجب أولاً مراعاة الشرع في كل شيء: أن تكون من خارج المحرمات، عفيفة، غير متهمة بالزنا والشرك، وأن توفي عدتها إذا كانت قد تزوجت، وأن يدفع لها مهرها لأنه فريضة وحق للزوجة.

بعد الطلاق في زواج نصف الساعة يجب أن يراعى الزوج الحقوق والالتزامات التالية: «تظل في بيته ينفق عليها طوال مدة العدة، وإن كانت حاملاً امتدت عدتها إلى الوضع تحت رعايته، وإذا أنجبت طفلاً عليه نفقته، وبعد الطلاق لها حق في المتعة وهو قدر من المال يحدد بالمعروف، وهو حق لا ينفي مؤخر الصداق».



هذا هو الرأي الذي يمكن أن نقرأه جيداً في موضوع زواج المتعة. لكنه يبقى رأي وحيد في خضم الجدل المستمر حتى اليوم بين السنة والشيعية. وبعيدا عنه فإن الشيعة مازالوا يصرون على ما نصفه نحن بالدعارة الحلال. بينما يهاجمهم السنة في نفس الوقت الذي يمارسون فيه هذا النوع من الدعارة تحت أسماء ومسميات أخرى.

وأيا ما كان الموقف الفقهي فإن عرضنا لهذا الجدل الدائم والمستمر، مصحوباً بصورة زواج المتعة في مجتمع مسلم يؤمن به ويطبقه، يأتي في النهاية كنوع من رسمنا لصورة مفصلة عن حالة هذا الزواج عند قوم من المسلمين.



حريم الخليفة

النوم على فراش

الفتاوى الداعرة

يصف النبي محمد ﷺ - الفقر الشديد بأنه «الفقر المدقع».

ويقول عنه المصريون: إنه «الفقر الذكر». ليؤكدوا أن قسوته مبالغ فيها. لا ترحم.. .. فقر مفتول العضلات .. يطبق على الأنفاس .. ويركب فوق الصدور .. ويمارس حالة استعباد يومية لكل من يقف فى طريقه.

وقد وقف ملايين المصريين فى طريق هذا «الفقر الذكر».

وحالة الفقر المصرية صارت مفضوحة تتحدث عنها تقارير البنك الدولى بأرقام واضحة، تقول: إن دخل المواطن فى مصر لا يزيد على ٦٢٥ دولارا فى السنة .. أى أقل من دولارين فى اليوم .. بالكاد ستة جنيهات .. لا تشتري نصف كيلو لحم .. وبالكاد يمكن أن تقتنص «فرخة» هزيلة، بيضاء، ليس فيها لذة طعم الفراخ البلدية .. ستة جنيهات إذا أطعمت البطون بفول الصباح، فإنها لا يمكن أن تسد الرمق حتى آخر الليل..

هذا «الفقر الذكر» يعيش حالة رخاء فى مناطق عديدة الآن فى مصر .. ينمو ويكبر ويستقر ويتغلغل ويأكل لحوم البشر ويطحن عظامهم وكرامتهم .. ويمارس ذكوره معهم كل يوم .. ويطأ آدميتهم من الخلف ومن الأمام. فينجب منهم الحزن والكمد والضعف والجوع والإرهاب.

والذين يحاولون الهرب من طريق «الفقر الذكر» غالباً ما يدمرون فى طريقهم كل قيمة وأية أخلاق، وقد كان «حسين طه عمر عفيفى» يحاول أن يهرب من «الفقر الذكر» وأن يفلت من اغتصابه له، فاغتصب هو من الآخرين حق الأمن، واعتدى على مفاهيم الدين الصحيحة، ووطأ هو ذكوره من اعترضوا طريقه خلال هروبه من حالة الفقر الذكر.

ولكى يضمنى «حسين» على كل ما يقوم به شرعية دينية، مارس الدعارة الفقهية، وغرق فيما اعتنق أنه حلال، وانتهى به الأمر إلى جريمة قتل وانتظار لقاء عشماوى مندوب عزرائيل فى غرفة الإعدام.

هكذا اختار أن يقابل الموت بدلاً من أن يعيش مع الفقر.

وكانت قصته عبارة عن انتحار بطئ ورحلة هروب طويلة ومتعبة مع القدر.

إن «حسين» كان يعيش في إمبابة، هذه المنطقة التي نسيت الحكومة أنها جزء من الوطن تابع للدولة، عليها أن ترعاه، حيث حكم الناس أنفسهم بأنفسهم إلى درجة أن بعضهم أعلن عن إنشاء دولة إسلامية داخلها .. هناك مارس حسين كل أنواع البطش والبلطجة، كى يفر من «الفقر الدكر» وكى يهرب من أن يطأه شبح الجوع فى كل لحظة.

لم يجد سوى عضلاته وجسمه الضخم كى يحصل على رزقه.

فرض الإتاوات على الناس، ولم يتوان لحظة عن أن يوظف تمرده على «الفقر الدكر» فى أن يجعل الآخرين - الذين هم ضحايا الفقر أيضاً - مطيعين له، يدفعون له مقابل صمته عنهم، ويجبى منهم ثمن أن يوقف قوته عن أن تمارس بطشها عليهم.

إنه جاهل، ولم يتعلم. لم يجد من يوظف هذه القوة لصالح المجتمع.

لكنه وجد من يوظف هذه البلطجة لصالح الإرهاب .. من يضع إطاراً شرعياً لما يفعله.

إن الناس لا يميلون بالفطرة لأن يكونوا أشقياء .. أعداء للقيم والأخلاق .. لكن الأوضاع والظروف هى التى تفرض عليهم ذلك، تدفعهم للسقوط فى بئر الخروج عن إطار المجتمع.

ولهذا فإن حسين حين وجد من يوظف طاقته لصالح ما توهم أنه الدين والأخلاق لم تراجع عن القبول .. ووافق فوراً .. ساعده فى ذلك جهله، وعاونته رغبته فى العنور على بعة، وهدف لما يفعل.

هؤلاء أقتنوه بأنه يمكن أن يحارب الدولة التى تجاهلته وتركته ضحية للفقر الدكر.

هكذا أوهموه بأنه يمكن أن يدافع عما أسموه بصحيح الدين.

هكذا أدخلوا فى عقله أنه حين يكون معهم لن يكون بلطجياً بل مدافعاً عن الأمر مروف والنهى عن المنكر.

هكذا أصبح حسين طه عفيفى عضواً فى تنظيم طلائع الفتح.

ولقد كان هذا التنظيم حلماً كبيراً لدى فريق ضخم من الإرهابيين يسمى «تنظيم

الجهاد». حلم أراد أن ينفذ انقلاباً على الدولة .. أن يسرق أسلحة الجيش .. أن يقتل فى سبيل الوصول لهدفه، سواء كان القنيل هو بطرس غالى سكرتير عام الأمم المتحدة، أو سائق لورى سوف يسرقونه ويستخدمونه فى نقل السلاح .. أن يشيروا القوضى فى الشوارع .. أن يفجروا مبنى أمن الدولة .. ثم بعد عدة عمليات أخرى: أن يعلنوا الدولة الإسلامية، هذا الحلم الذى بدأ باغتيال سائق اللورى فى ضاحية المقطم، وانتهى بمحاكمة عسكرية طويلة، اتهم فيها ما يزيد على ٤٠٠ إرهابى، كان بينهم حسين طه عفيفى .. الذى لم تطله الأحكام.

خرج حسين من السجن عائداً إلى محاولات الهروب من «الفقر الدكر».

هروب من فشله فى أن يصبح شخصاً له كيان ودور كمعضو فى تنظيم يحاول إقامة الدولة الإسلامية. فأراد أن يحقق ذاته فيمن حوله. وبعد أن فشل فى أن يجبر الدولة بعضلاته كى تحقق أهدافه، اختار أن يجعل جهله الدينى وبلطجته وسيلة ضغط على الناس .. الفقراء أمثاله.

لقد اختار الطرف الأضعف.

هرب من الطرف الأقوى، الدولة التى كادت تسجنه حين حاول الاصطدام بها .. واختار ضحايا «الفقر المدقع».

قبل أن يصل حسين إلى هذه المرحلة، مرحلة البلطجة، وقبل أن يتحول إلى التطرف ثم الإرهاب، كان حسين مثل أى شاب .. له قلب يحب.

وكانت الحبيبة واحدة من بنات الفقر الدكر من إمبابة.

اسمها عفاف ..

جمالها عادى، بل ربما لا يمكن أن نقول إنها جميلة، لكنها ليست منفرة، وقد أطاره عقل حسين، الذى حاول أن يجعل منها زوجة له فى الحلال .. فرفض المجتمع رفض قاطعاً. ولم توافق أسررتها .. وظهر له الفقر الدكر فى طريقه عدواً يوقف أى محاو للوصول إلى كينونة ذات قيمة.

بمقاييس الأسرة كان «حسن دبوس» أحسن وأهم من حسين طه .. إنه بالمقاييس

العادية فقير .. ولكنه ومن منطق الأسرة التى لا تجد قوت يومها كان ثرياً. لديه قطعة أرض صغيرة .. ويربح بين الحين والآخر بضعة جنيهات من بيع «بهيمة» وشراء أخرى. ولهذا اختارت أسرة عفاف أن تزوجها من حسن دبوس بدلاً من حسين طه.

وأنمر الزواج طفلين .. نهى وأحمد .. بينهما ستان.

لكن هاتين الشمرتين لم تصبا ماء بارداً على مشاعر حسين طه المشتعلة. وبقي الحب القديم ناراً متقدة .. وبقيت العلاقة قائمة بين حسين وعفاف فى وجود شخص ثالث هو الزوج.

إن «حسن» كان هو الآخر عضواً فى تنظيم طلائع الفتح .. وربما كان هذا هو الستار الذى اختفى وراءه حسين كى يجد لنفسه مبرراً يوطد به علاقته مع الزوج. فيبدو أمامه زميلاً فى تنظيم وصديقاً يسمح له بدخول البيت، بينما هو خائن، يطعن صاحب البيت كل يوم فى ظهره، داخل غرفة نومه.

وكان حسن يعرف ما يحدث.

لكنه أيضاً كان واهناً ضعيفاً مستسلماً للأمر الواقع ..

ليس فقط لأنه ضعيف ودنىء وبلا أخلاق، ولكن أيضاً لأنه وجد فى عفاف منجم مال، يمكن أن يربح منه بضعة جنيهات أخرى، يحارب بها الفقر إذ كان يقبض من حسين ثمن الخيانة من حين لآخر .. وكان يأخذ ٥٠٠ جنيه من حسين حين يوافق على أن تسافر عفاف معه إلى الإسكندرية بحجة شراء شرائط كاسيت دينية لبيعها لفقراء غيرهم.

كان إذن يعرف وكان يتقاضى ثمن قضاء شهر عسل من وقت لآخر.

هذه العلاقة المريبة لم يكن يمكن أن تستمر هكذا فى المطلق .. بين حسين وعفاف وبرضاء حسن.

ولقد كانت المشكلة فى الزوجة نفسها .. عفاف.

كان حسن يقبض الثمن، ولكن عفاف كانت تحتاج إلى مبرر كى تقنع نفسها بمزيد من الاستمرار .. كانت تريد أن ترى الحرام حلالاً. كانت فى حاجة لنظرية دينية تؤكد لها أن ما تفعله ليس بعيداً عن الأخلاق. وليس انتهاكاً للشريعة.

ولأن حسين هو الذى سعى دائماً لاستمرار العلاقة كان عليه أن يجد هذه النظرية، حتى لا يبدو أمام الحبيبة خارجاً عن الدين، في حين أن كل رصيده في الحياة بنى على أنه يحارب من أجل الدين.

الزوج أيضاً، رغم تواطئه، دفع الاثنين للبحث عن فتوى داعرة .. فقد كان متواطئاً يقبض الثمن، لكنه من حين لآخر كان يشهر سيف الزنا فى وجه زوجته، وكان يقول حين تتطور الأوضاع إن نهى وأحمد ليسا من صلبه .. «إنهما ابنا زنا».

هكذا فى تلك البيئة، ولدت واحدة من فتاوى الفقه الداعر.

وطبقت واحدة من أبرز وأهم حالات الدعارة الحلال.

كان حسين يقول لحبيته: إن ما يفعلانه حلال .. مطابق للشريعة.

ولأنه يعرف، أنها تعرف، أنه لم يدرس شيئاً فى الدين، كان يقول لها إن هذا ليس رأيه، وإنما هو رأى «أهل الحل والعقد» الذين يستشيرهم ولم يكن يقصد «بأهل الحل والعقد» أى أحد آخر سوى أمراء الإرهاب، الذين تعرف عفاف أنهم يقودون زوجها العلنى، وأيضاً يقودون زوجها السرى.

كانت تحلم بالطلاق، لكن أسرتها كانت دائماً تقف فى طريق هذا الحلم، وبالتالي كانت الأسرة تعطل الحلم الآخر .. الأهم .. حلم الزواج من حسين .. ولم يكن أمامها إلا أن تقبل المضى فى الإثم، ولو مؤقتاً، لاسيما وأن الزوج يوافق على هذا .. وخاصة أن حسين كان يسوق لها المبررات الفقهية.

قال لها حسين: إنه ليس زوجك.

وقال لها: ليس لديه عندك أى حق شرعى.

وقال لها: أنت زوجتى أنا.

وكانت ترد: كيف؟ إن بيننا عقدا كتبه مأذون؟

وكان يعقب: إنه كافر .. وأنت طالق منه!!

ولم تكن مقتنعة بما يقول العاشق، لكنها كانت تمضى فى العلاقة حتى الشمال.

وكان حسين يدرك ما يدور فى عقلها، وكان يعرف أن عليه فى كل مرة بدخول فيها البيت أن يقنع عفاف بشرعية اللقاء .. كانت طريقته فى الغزل هى أن يستبدل كلمات الحب التى تسبق الجنس بمزيد من التلقين الفقهى، كان يوحى لها دائماً أن وجوده فى غرفة النوم بينما الزوج الحقيقى يجلس خارجها أمر حلال ..

ولقد قالت فى تحقيقات النيابة واصفة تلك الحالة: «كنت زوجة للإثنين».

وكان حسين يقول لها: إن من حقتك الطلاق بدون ضجيج، بدون مأذون، وبدون أن تعرف أسرتك.

سألته: كيف؟

قال: لأن زوجك كافر .. ومن حقنا أن نفرقك عنه.

قالت: لماذا هو كافر يا حسين؟

أجاب: إنه مرتد عن الدين، لأنه لا يصلى ، وبالتالى رده ثابتة، وأنت طالق بحكم الشرع منه.

هذا الحوار الذى كان دائماً يتكرر، كان خالياً من أى منطق، عقلى ودينى، لأن الامتناع من الصلاة لا يعنى أبداً الردة ولأن عفاف نفسها لا تصلى .. ولأن العشيق الذى أصدر فتوى لا يصلى هو الآخر .. ولم يكن لديه أى رصيد دينى سوى أنه بلطجى فى «تنظيم للائع الفتح»، يبيع الشرائط المعبأة بخطب نارية، ويمضى بين سكان إمبابة متقمصاً دور «أمر بالمعروف والنهى عن المنكر» . وكان كل رصيدها من الدين هو أنها محجبة.

لكنها تجاوزت كل هذا.

وقالت له: إذن أنا طالق؟

قالت: إذن لن أكون زوجة لك إلا بعد أن تنتهى فترة العدة.

كانت تريد أن تضى إطاراً شرعياً على كل شئ .. حتى على الطلاق الوهمى.

وهلع «حسين»

كيف يمكن أن يكون قد ورط نفسه فى حالة ابتعاد عن جسد عفاف، لمدة ثلاثة أشهر، مطب شرعى هذا الذى سقط فيه؟!!

لكنه سرعان ما وجد الحل فى فتوى أخرى داعرة.

قال لها: لقد انتهت فترة العدة منذ زمن طويل.

قالت: لماذا؟

قال: لأنك بالفعل تضعين لولبًا فى رحمك، وبالتالي أنت من حقى الآن.

قالت: لتتزوج الآن إذن؟

قال: نحن زوجان بالفعل. الزواج قبول وإيجاب. ولتختارى لك وليًا من الأخوة - يقصد الزملاء فى التنظيم - واختارت..

ووافق أعضاء التنظيم على أن حسن كافر.

ووافقوا على أن زوجته حل لحسين.. أمام الله.. بلا مأذون يتم الطلاق الأول.. أو حتى يعقد الزواج الثانى.

وقال الإخوة: إنهما لا يرتكبان أى إثم بالعلاقة بينهما، إذ لا يوجد - حسب رأيهم - ما يوجب الطلاق بالمأذون أو الزواج عن طريق مأذون.

إنها مجموعة معقدة من الفتاوى الداعرة والفقه المصنوع على مقياس الحالة.

لكن هذه «المسخرة» الفقهية لم تقف عند هذا الحد.

فالزواج على قيد الحياة، ويمكن أن يعطل كل شئ. وكان الرأى هو أن يتم التخلص منه.

وبالطبع لم يجد حسين صعوبة فى أن يعثر على مبرر فقهى يمكن أن يتخلص به من الزوج.

قال لها: حسن كافر. يجب أن نطبق الحد عليه. يجب أن يُقتل.

ولم ترفض عفاف.

ودبرت مع حسين عدة محاولات لقتل حسن.. وبدأت المحاولات بدس حبو «الآتيان» النومة فى طعام الزوج.. ولم تنته بخلط دم حيضها فى مشروب الشاى.

وقد خدم الحظ حسن ثلاث مرات، فنتجاً من الموت بأسنوية.

وكان القدر كان بمنح عفاف وحسين فرصة كى يفكرا مجدداً .. فى هذه المهزلة ..
وقد كانت أيضاً فرصة للزوج كى يرى ما يفعله وهو بالصمت عما يحدث.
ولكن هذه الفرصة المتكررة ضاعت. ولجحت المحاولة الرابعة .. وقتل الزوج فى
حقول قرية الكوم الأحمر فى إمبابة.
هذه الدعارة الدينية حدثت فى مصر عام ١٩٩٦.

والابتناسمة العريضة التى كللت وجه العشيق القتال فى الصورة التى نُشرت له فى
الأهرام يوم ٢٠ مارس ١٩٩٦ لم نخف عناصر المأساة فى هذه الملهاة الجنسية الدينية .. لم
نخف أيضاً أن تلك لم تكن المرة الأولى التى يفرق فيها أعضاء تنظيمات التطرف فى
الدعارة التى يظنون أنها من أعمال الحلال.
المرات الأخرى كانت قصصاً طويلة.

والستار كان دائماً فتاوى الاستحلال .. استحلال النفس والمال..
والاستحلال هو اقتناص شئ من المجتمع بدون وجه حق، والمبرر دائماً فتوى دينية.
وقد كان الاستحلال دوماً هو وسيلة التنظيمات للإبقاء على أعضائها تحت سيطرتها..
كى يكونوا وقوداً لتحقيق أهدافها.
إن الهدف هو الحكم.

والوسيلة إليه هى البندقية والقنبلة.
والمتفدون دائماً بلا عقول، تائهون، هاربون من الفقر الدكر، باحثون عن المال والشقة
والأنثى.

وشيوخ أى جماعة إرهابية لا يجد أى صعوبة فى أن يقدم للتائهين فتوى تريخ عقولهم،
بترضى غرائزهم، وتداعب أحاسيسهم بفتوى داعرة، توفر للكادر المبرر الذى سيحمل
ن أجله القنبلة، والأنثى التى يحتاجها، ومواجهة الفقر الدكر.
والشيوخ الذين لجأوا إلى هذه الطريقة من كل نوع وفى كل تنظيم.

وحين فوجئ مشاهدو التلفيزيون المصرى بمثل هذه الدعارة الحلال تعرض فى

مسلسل العائلة، لم يكن من حقهم أن يفاجأوا .. لأن ما حدث فى الدراما يحدث بالفعل كل يوم .. وكما رأى الناس مشيرة (لىلى علوى) تتزوج من مصباح - عضو الجماعة المتطرفة - بدون مأذون - وتحته رعاية الأمير - كان عليهم أن يدركوا أن هذه ليست مبالغة، وإنما هو الواقع بين أصحاب اللحى الذين يدعون أنهم يملكون الحق.

ولقد ابتدع الإخوان المسلمون هذه الطريقة فى الزواج .. وكانوا يوفرّون لكل عضو فى الجماعة زوجة، بعد أن يمنحوه فرصة عمل وشقة. وغالبًا ما تكون هذه المرأة واحدة من بنات التنظيم ... وكثيرًا ما تكون ابنة قائد أعلى للعضو الجديد.. فتتحول الأنثى إلى ورقة تنظيمية، الهدف من استخدامها أن تضمن القيادة ولاء العضو، وتفرض عليه قيود التجنيد التى لا يستطيع الفكّك منها.

والأمثلة كثيرة .. وكثير منها غرق فى الدعارة التى تلبس ثوب الحلال.

فلقد روى لى على عسماوى الذى انشق عن جماعة الإخوان فى أعقاب قضية ١٩٦٥ كيف أنه تزوج أخت زميل له فى التنظيم، ثم حين أدلى باعترافات مفصلة للدولة عن الجماعة وهو سجين: أجبروه على أن يطلقها، وتزوجت من شخص آخر كان سجينًا معه هل كان هذا الطلاق باطلاً أم صحيحاً؟!

الإجابة عند فقهاء التنظيم الذين بنوا الجماعة منذ نشأت على هذا الأساس العائلى فى الأربعينيات - أى بعد تأسيس التنظيم بفترة وجيزة - منح حسن البنا مؤسس التنظيم الملقب بالإمام الشهيد أخته لعبد الحكيم عابدين، وأعطى ابنته لسعيد رمضان، الذى ما، عام ١٩٩٥ بعد أن أصبح واحدًا من أهم قيادات التنظيم الدولى للإخوان.

أما عابدين - صهر الإمام الشهيد - فقد اتهم فى جريمة اغتصاب .. رغم أنه كالأقرب إلى قلب حسن البنا، والأكثر ثقة عنده، وكان يرى فيه أنه «طيب القلب، عفيف الروح، طاهر اللسان» ولذلك منحه لقب «يوسف هذه الدعوة» وزعم أنه «شديد الإيمان والورع والتقوى».. «ظلمه الإخوان واقتروا عليه».

كان عبد الحكيم عابدين رغم هذا يوصف داخل الجماعة بأنه «شيخ خليع» مسته وماجن» يتهمز فرصة خروج الإخوان من بيوتهم للسفر أو العمل، فيذهب إلى منازل

بزعم الصداقة، ويتتهز الفرصة، ويعتدى على نساتهم، ووصل الأمر إلى حد الاغتصاب وهتك العرض والفسق والفجور وارتكاب كل الفواحش.

وفاحت رائحة عابدين القذرة، وانتشرت سمعته بين الأسر الإخوانية، فصارت توصل في وجهه الأبواب، ولقى في حله وترحاله النكات والسخرية وأصبحت اللعنات تطارده أينما ذهب، ولم يكن أمام المرشد حسن البناء إلا أن يأمر بإجراء تحقيق عاجل لتهدئة هذا الغضب وطمأنة النفوس الخائفة .. «المصدر: كرم جبر - فؤاد علام يروي: أنا والمباحث والسادات والإخوان - دار الخيال - طبعة ١٩٩٦».

وحين تم التحقيق، رفعت مذكرة للمرشد طالب فيها المحققون بالألا يتم إجراء تحقيق آخر في هذا الموضوع، لما يجره من فضائح للمائلات وتشهير بالأعراض وإساءة للدعوة، وطالبوا أيضاً بفصل عبد الحكيم عابدين من الجماعة.

لكن الذى حدث هو أن حسن البناء فصل كل الذين كشفوا انحرافات عابدين. واعتبره «يوسف هذه الدعوة» .. وعينه وكيلاً للجماعة، ضارباً عرض الحائط بكل الانتقادات، حامياً للدعارة.

وبشكل عام، وعودة إلى القصة الأصلية لهذا الفصل، فإن طريقة تزويج الكادر في إطار التنظيم بقيت موجودة حتى بعد أن مضت السنون بالتنظيم إلى نهاية التسعينيات. كانت تلك هى الوسيلة التى يحافظ بها الإخوان على عضويتهم فى جماعتهم، أو الطريقة التى يجذبون بها كوادر شاردة من تنظيمات أخرى.

حدث هذا مع «.....» الذى كان عضواً فى تنظيم الجهاد، واتهم فى قضية ١٩٨١ الموازية لقضية اغتيال الرئيس السادات فسجن ثلاث سنوات، ثم خرج ضائعاً بلا عمل أو حتى سجل جنائى يسمح له بأن يعمل، وسرعان ما التقطه الإخوان، فوظفوه فى دار نشر بالسيدة زينب وزوجوه من إحدى بنات التنظيم، وأعطوه شقة فى حى المعجزة.

حدث هذا أيضاً مع «.....».

لقد كان طالباً نابهاً فى كلية الحقوق، نشيطاً دهنياً، عضواً مهماً فى الجماعة، دخلها عن طريق قيادة صارت فيما بعد هى «المرشد» .. وسرعان ما سطع نجمه، وأصبح رئيساً لاتحاد

الطلبة فى جامعة القاهرة ، وشملته الرعاية التنظيمية إلى درجة أنه تزوج من ابنة أخت أحد قيادات الجماعة.

وقد اقتبست الجماعات الأخرى هذا الأسلوب من جماعة الإخوان ، وولدت الخرافات وكثرت الشائعات حول هذا الأسلوب .. وأصبحت حالة الغموض التى تحيط بهذا مغرية لمن لا يعرفون الحقيقة عما يحدث، ووسيلة جذب لكوادر جديدة تائهة تبحث عن ملاذ، وربما لهذا سمعنا عن شائعة تقول إن هناك جماعة فى محافظة الإسماعيلية توفر للمعضو شقة يتزوج فيها من عضوات متعلمات .. الواحدة منهن ليست أقل من طيبة.

«!!»

والواقع أن هذا فيه شىء من الصحة .. إن لم يكن كثيراً..

ليس فقط فى أن هذه الأفكار تستغل الحاجة الماسة لدى الشباب الذكور فى مصر، مالا وجنسا، وإنما أيضاً فى أن هذا ما فعلته جماعة التكفير والهجرة فى منتصف السبعينيات .. حين ولدت فكرة «الوهبة» أى الزواج بدون مأذون. بأن تمنح الأنثى نفسها لرجل فى وجود شهود.. يقرون هذا الزواج.

والشئ أن هذه الجماعة التى أقرت فيما بعد نظام الدعارة الحلال لم تكن بعيدة عن جماعة الإخوان المسلمين. فقد كان مؤسسها شكرى مصطفى .. المولود فى قرية أبو قرص مركز أبو تيج فى أسيوط.. كان تلميذاً فى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية حين تعرف على أستاذ لغة عربية ينتمى للإخوان، وعلى يديه تعلم فكر الجماعة الأم، لكنه حين التحق بكلية الزراعة انضم إلى جماعة المسلمين التى أسسها إخوانى آخر اسمه «على عبده إسماعيل».

جماعة «عبده» هذه كانت تكفر المجتمع، وبلغ بها الأمر حد تكفير من كانوا معها فى السجن.

لكن على عبده إسماعيل سرعان ما عاد مرة أخرى إلى تنظيم الإخوان، وبقي شكر مصطفى فى جماعة «المسلمين» غارقاً فى فقه التكفير، أميراً للجماعة، التى أصبح اسمه

فيما بعد «التكفير والهجرة» والتي نجح شكري مصطفى خلال فترة لا تتجاوز خمس سنوات أن يضم إليها نحو خمسة آلاف عضو .. كثيرون منهم وجدوا طريقهم إلى التنظيم عن طريق الدعاية الحلال.

وتقوم أفكار التنظيم على شقين معروفين .. الأول: هو التكفير .. والثاني: هو الهجرة .. أي الهجرة من هذا المجتمع الذي يزعمون كفره.

في كتابه «الخلافة» الذي ألفه شكري مصطفى ولم يطبع، وإن كانت قد ضبطت مخطوطاته في قضايا عديدة يشرح الأمير الراحل فكرة الهجرة فيقول: إن التوتر الذي يسود العالم الآن سوف يشعل حرباً نووية، يكون فيها الفناء للجميع .. عدا جماعته .. التي ستكون مختبئة في الكهوف والمغارات فلن يصيبها مكروه، وترث الأرض ومن عليها بالسيف.

وفي هذا الإطار وحرصاً على نقاء الجماعة الفكرى والتناسلى كان أعضاء الجماعة يؤمنون بأن الصلاة وراء الإمام من غير أعضاء الجماعة حرام، والصلاة في مساجد الدولة حرام، وتناول الطعام من غير الجماعة حرام، والخدمة في الجيش حرام، وإلقاء السلام على غير أعضاء الجماعة حرام .. والسيارات والطائرات والكهرباء حرام، والزواج من غير أعضاء الجماعة حرام.

ولقد كان - ولم يزل - أهم عنصر في أيديولوجية الجماعة هي أنها تنسلخ بهم عن كل هذا الحرام، وتذهب بهم بعيداً إلى الصحراء بحثاً عن حالة النقاء المتوهمة، وقد كان هذا ولم يزل تعبيراً عن كراهية شديدة للمجتمع وانطواء وغياب.

ولأن الشباب الذي يمكن أن يقبل كل هذا يجب أن يكون أمامه البديل المناسب .. فقد حلت جماعة التكفير هذه المشكلة بطريقتين:

الأولى: وهي الأساس وتعتمد على غسيل المخ بأفكار كراهية المجتمع وتكفيره، وقصر صفة المسلمين عليها .. ومن ثم فإن «الكادر» يترك مدرسته وجامعته ووظيفته والأرض التي يعيش فيها لأنها «جاهلية» ويذهب إلى مكان آخر متصوراً أن ذلك هو سيناريو الهجرة الذي قام به النبي محمد ﷺ.

وأما الطريقة الأخرى فهي تقديم الإغراء المادى وتلبية احتياجات جسم هذا الشاب، واستغلال طاقته المعطلة، من خلال زواج بلا قيود، بدون عقد، وبأقل مهر.

ومن هنا كانت فكرة «الهبّة».

أن تهب فتاة من الجماعة نفسها لشاب من التنظيم نفسه مجاناً.

«هبّة» بعيداً عن الدولة والأسرة وكل عناصر المجتمع الأخرى.

إنه هروب قبل أن يكون هجرة.

ورغم أنه محاولة يزعم أصحابها أنهم بذلك يقومون بتطبيق الإسلام فى صورته الصحيحة كما يتصورونها ، إلا أنهم فى الواقع يعودون بهذه «الدعارة الحلال» إلى تقاليد الجاهلية التى يدعون أنهم هربوا منها.

فى هذه الجاهلية عرف العرب أفكاراً وأطراً عديدة للزواج.

بعضها يمكن اعتباره شرعياً..

وأكثرها لا يمكن وصفه إلا بأنه دعارة حقيقية .. تتم بأشكال تسمح دائماً وأبداً بتوافر عدد غير قليل من النساء لرجل واحد، فلا تكون له امرأة واحدة .. وإنما دائماً أكثر من امرأة..

إن الجاهلية بهذا المنطق وعرفت الرجل الذي يمكن أن يتخلى عن زوجته أو يعيرها لسواه.

وعرفت الرجل الذي يقدم امرأته لضيفه أو حتى يبيعها.

وعرفت زواج المتعة محدد المدة الذى تنسب ذريته من الأولاد للام.

وعرفت زواج البذل الذي يتبادل فيه الرجلان زوجتيهما.

وعرفت زواج الشغار الذي فيه يتزوج الرجل ابنته أو أخته، مقابل أن يزوجه رجل آخر ابنته أو أخته.

وعرفت زواج المخادنة كما فى اتخاذ رجل ما لامرأة صديقة له يعاشرها فى السر معاشرة الأزواج.

وعرّفت زواج المضامرة كما فى معاشرّة امراة لرجل أو أكثر حتى لا تهلك من جوع.
وعرّفت نكاح الرهط، أى أن ينكح عدة رجال امراة واحدة، وإذا حملت بطفل ينسب
لواحد منهم.

وعرّفت نكاح الرايات الحمر.

وعرّفت نكاح «الفيزن» كأن يتزوج الابن أو رجل آخر امراة مات زوجها أو يمنعه من
الزواج طيلة حياتها.

وعرّفت تعدد الأزواج، كما فى اشتراك الأخوة فى زوجة واحدة يتصلون بها
بالتناوب.

لقد عرّفت الجاهلية إذا أحد عشر نوعاً مختلفاً من العلاقات الجنسية، كانت تسمى
زواجاً «المصدر: آداب الزواج فى الإسلام - هشام قبلان».

ومما هو مثير أن الشكل الأخير لم يزل موجوداً حتى اليوم، سواء فى حفلات الجنس
الجماعية فى أرقى أحياء القاهرة، أو فى قلب الصعيد حيث يقوم الأخ بواجبات أخيه
الزوجية حين يسافر، فى بعض القرى البعيدة عن المدينة.

لكننا ندرس مجتمع «الدعارة الحلال» فى حالة النقاء الوهمية لجماعة التكفير
والهجرة.

حيث كانت هناك ملامح من كل ما عرفته الجاهلية .. وحيث سمح للأمير وفق نظام
الجماعة بأن يتزوج من أكثر من امراة بنظام الهبة، ربما لأنه الزعيم، الذى يجب أن يحصل
على أكثر من امراة، وربما لأنه الشاب الذى قضى سنوات طويلة من عمره فى غياهب
السجن فأراد أن يشبع احتياجاته التى كَبَتَتْ فى هذا الزمن الطويل داخل الزنزانة.

هكذا صار المجتمع الهارب من الجاهلية مجتمعاً للجاهلية نفسها.

مجتمعاً مدعوماً بفتاوى بلا أساس .. توفر للشيخ أكثر من امراة.

وقد انتقلت هذه النماذج الخاصة بالدعارة الحلال إلى جماعات دينية متطرفة أخرى
فيما بعد.

وكمثال: روى عادل عبد الباقي، وهو إرهابي كان عضواً في جماعات أبرزها الشوقيين، تاب وأتاب واعترف في حديث تليفزيوني بما يشيب له الولدان، روى مزيداً من الأمثلة حول «الدعارة الحلال» بين المتطرفين .. فقال: لقد رأيت كيف يتم الطلاق والزواج في هذه الجماعات بلا ضابط أو رابط .. في حين أنهم يدعون الدفاع عن تقاليد وتعاليم الدين .. ورأيت وسمعت أشخاصاً وفتاوى بها يطلقون النساء بدون علم أزواجهن لأنهم تركوا الجماعة، ورأيت من تزوج من عضوة في التنظيم وهي لم تنزل في فترة العدة.

إنه أيضاً الذي ذكر كيف كان الشيخ عمر عبد الرحمن يضاجع زوجته داخل مستشفى السجن.

وما رواه - قبل قصة عمر عبد الرحمن - إباحية جنسية تلتحف بفتاوى داعرة، أما ما رواه عن الشيخ عمر نفسه فهو يتكرر كل يوم في السجون بين المتطرفين. حتى إنه قيل: إن بعض هؤلاء من أصحاب اللحي ألحج وهو لم يزل سجيناً خلف الأسوار.

والواقع أن ممارسة الجنس داخل السجن من خلال أعضاء الجماعات المتطرفة صار موضة في السجون المصرية في ضوء أنه لا يوجد نص في القانون يمنع بشكل صريح السجن من أن يمارس الجنس مع زوجته داخل السجن.

وفي تعليقه على هذا وصف اللواء نبيل صيام مدير مصلحة السجون المصرية ذات مرة اللقاءات الجنسية التي تحدث في فناء السجن بين المسجونين وزوجاتهم بأنها مهزلة جنسية .. وقال: لقد منعت هذه المهازل لاسيما بعد أن علمت أن عدداً من زوجات المساجين قد حملن بينما لم يزل أزواجهن داخل السجون «المصدر: روز اليوسف ١٨/٢/١٩٩٥».

والحقيقة أن هذا الميل الجنسي الواضح صار معروفاً عن هؤلاء الذين لا يتوانوا عن إصدار الفتاوى خارج السجن تلبية لاحتياجاتهم الجنسية الغريزية .. ولم يتوقفوا أيضاً عن هذا خلف الأسوار، حتى لو اضطر المتطرف أن يتزوج عن طريق توكيل محام، وحتى لو اضطر أن يمارس الجنس مع زوجته خلف ستارة يحملها بعض أعوانه خلال زيارة زوجته..

إننى لا أعرف كيف يمكن أن يتم هذا الجماع بينما هناك شهود عليه يسمعون كل حرف من كلمات الزوج، وكل آهة من آهات استمتاع الزوجة - إذا كانت تستمتع - ولا أعرف كيف يمكن أن تتم المضاجعة بكل ما فيها من تفاصيل وهناك جنود مسلحون يحرسون المساجين ويعرفون ما يجرى لحظة بلحظة.

ومن الواضح أن لدى أعضاء هذه الجماعات ميلاً جنسياً واضحاً، يدفعهم لأن يحرصوا على تطبيق النص القرآنى الخاص بتعدد الزوجات بأسرع وسيلة وكلما أمكن، بينما هناك الآلاف من الشباب لا يملكون فرصة واحدة للحصول ولو على امرأة واحدة.. فقط.

وتعدد الزوجات فى الإسلام له معايير محددة.

هذه المعايير رغبت أساساً فى تحجيم ظاهرة حصول الرجل على عشرات الزوجات قبل الإسلام.

والإسلام يشترط العدل بين الزوجات، ويشترط أيضاً أن يكون الزوج فى حاجة إلى زوجة جديدة.

ولهذا فإنه حين حاولت قوى المجتمع المدنى فى مصر وفى غيرها، أن تضع قيوداً ذات طابع دينى على تعدد الزوجات قوبلت بهجوم كثيف، ومقاومة مختلفة الأشكال والأنواع، وهذا ما حدث بالفعل فى مصر خلال عام ١٩٩٥ حين طرحت فكرة إصدار عقد زواج جديد، يتفق فيه الزوج مع الزوجة على أن من حقها أن تطلب الطلاق لو أنه تزوج بامرأة أخرى.

وخمدت حمية الفكرة تحت ضغوط الإرهاب والتطرف الدينى.

على الرغم من أن الشيخ الدكتور سيد طنطاوى أيدھا وقال: إنها غير مخالفة للإسلام حين كان مفتياً للديار المصرية وقبل أن يصبح شيخاً للأزھر.

والواقع يؤكد أن هناك تناقضاً واضحاً فى أفكار هؤلاء الشيوخ الذين يرفضون تنظيم تعدد الزوجات .. وفى نفس الوقت يرفضون أن يقبلوا زواج المتعة. المختلف على تحریمه بين فقهاء الشيعة والسنة .. وإن كنت أرى أن هذا التناقض ليس سوى محاولة إطلاق

قنبلة دخان يتم من خلالها إطلاق فتاوى تسمح للشيوخ بأن يحافظوا على أكثر من امرأة في قبضة أيديهم .. وإلى الأبد إن أمكن .. عبر أسانيد وهمية تبيح زواج «الهبه» وتبيح امتلاك الجوارى.

هذا التناقض هو أيضاً سبب إصرار بعض المشايخ على أن هناك نظام رق حلالاً في الإسلام.

إن الحقيقة التاريخية تؤكد أن الرق نظام عبودى نشأ عربياً، فى ظل غياب قوة الدولة. حين أصبح المسيطر الحقيقى على شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام هو قاطع الطريق - البلطجى الذى لا يختلف كثيراً عن بلطجى امبابة - وانتشرت عمليات السطو على المسافرين فى البرارى والقوافل فى الطرق ونشأت تجارة الرقيق التى شجعها بالطبع الأغنياء .. المستفيد الأول من النظام الذى أتاح لهم أن يحصلوا على أكثر من امرأة. ثم جاء الإسلام الذى نظم هذه الحالة الفوضوية.

وقرر الدين الخاتم فى ضوء قواعد المساواة عملية الاسترقاق .. واشترط أن تكون فى حالة الحرب فقط، على أن يعقبها الإفراج عن الأسير لو أعلن إسلامه.

ورغم أن النبى ﷺ كان هو الذى دائماً يحض على عتق الرقيق وفك الرقاب، إلا أن الذين جاءوا من بعده كانوا دوماً هم الذين يتجاهلون هذه التعليمات ويحرضون على تقليد النبى فى تعدد الزوجات .. وهى حالة استثنائية كانت متاحة للنبى وحده.

ويقول إبراهيم محمود فى كتابه «الجنس فى القرآن» الصادر عن دار رياض الريس فى لندن: إن الشريعة كانت تؤول النظام السائد، وأغلب من جاءوا بعد الرسول ﷺ كانوا يحاولون تقليده، بل وتجاوزوه فى عدد الزوجات وامتلاك الإماء والجوارى. فكانت دولة الحاكم أشبه بسوق واسعة علامتها المميزة تجارياً هى تجارة الحريم والنساء .. وكان الأمراء والأعيان يتهادون الغلمان والجوارى، وكان من المألوف أن تقوم نساء الأشراف بإهداء أزواجهن الجوارى. وصارت المتاجرة بالجوارى من أهم أنشطة العصر العباسى .. حتى قيل: «لقد ارتفعت شمس الجوارى واحتجب قمر الحرائر».

ولعل أسعارهن المتداولة كانت تعبر عن هذه الحالة فالزلفاء ثمنها ٧ آلاف دينار، وسلامة ثمنها ٦ آلاف دينار وصبابة ثمنها ٤٠٩٠ ديناراً.

لقد كانت تلك أيضاً أنواعاً من «الدعارة الحلال».

ولقد استمرت هذه الحالة فيما بعد طويلاً حتى فيما سمي بدولة الخلافة العثمانية التي يطالب المتطرفون بإعادتها للوجود باعتبارها دولة إسلامية من وجهة نظرهم.. هذه الدولة التي كان للوالى محمد على فيها نحو ٣٠ زوجة وجارية وللسلطان عبد الحميد قرابة ٤٠٠ جارية.

ومن اللافت للنظر أن الذين تجاهلوا قواعد الإسلام فى تنظيم الرق إلى حد منعه هم أيضاً الذين تعاملوا مع الرق على أنه للنساء فقط وليس للرجال.. للجارية وليس للعبد.. هؤلاء هم كذلك الذين روجوا الصورة دينية عن المرأة تطلب دائماً من الأنثى أن تبقى فى البيت، وأن تبعد عن الحياة العامة، وأن تبقى صامته، منقبة، خلف أسوار البيت. هذه هى الصورة التى يريدونها.

ليس فقط كى يروجوا لأفكار هلامية عن الحفاظ عن الأخلاق، وحماية الأنثى، ولكن -ربما- أيضاً لكى تبقى هذه الأنثى خائفة ضعيفة بعيدة تماماً عن أى محاولة للاعتراض على أية محاولة من الرجل للحصول على امرأة أخرى خلف ستائر «الدعارة الحلال».

هنا نرصد حالتين يحرص هؤلاء عليهما فى توصيف المرأة وتحميد وضعها.

الحالة الأولى: هى الصمت، وكما يقول إبراهيم محمود عن هذا فإن «المرأة هى الصامته، والصمت هو الجسد الذى يغلى من الداخل، ولهذا كانت المرأة التى تلتزم الصمت هى الأكثر اشتهاً».

الحالة الثانية: هى حالة ينظر بها المتطرفون إلى المرأة على أنها ساحرة لعوب تحتاج دائماً إلى حزم وانضباط لأنها قرينة للشيطان.

ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا لم يؤيد أبداً أعضاء هذه الجماعات الدينية فكرة أن تتولى امرأة أى منصب كبير يمكن أن يؤثر فى المجتمع.. يمكن أيضاً أن نفهم الحرص على نقاب.. ويمكن أن نفهم لماذا لم تظهر قيادة نسائية مؤثرة بين جماعات التطرف «باستثناء نالة زينب الغزالي». فالمطلوب من الأنثى فى هذه الجماعات أن تكون زوجة وربما جارية - جزءاً من حريم الأمير ونسائه.

إنها إذن حالة البحث عن أكثر من أنثى.

حالة رغبة المتطرف فى أن يشبع .. حتى الامتلاء .. بعد الجوع.

حالة الرغبة فى الإحساس بأنه مهم .. حاكم .. أمير .. خليفة .. لديه جوارٍ.

حالة تمن أن يكون المتطرف هو هارون الرشيد.

أن تُعلن الدولة الإسلامية فوق أجساد النساء قبل أن تُعلن فى الدول التى يحاربونها.

حالة البحث عن الجنس، وتبريره بزواج الهبة، ويتجاوز تعاليم الدين فى الزواج، وباللجوء إلى استئصال الجوارى.

حالة الاستمتاع بالدعارة التى يظنون أنها حلال ويؤمنون بأنها مقدسة !.

الخليلة الشرعية

زواج السعوديات بالقطعة

على الرغم من أن السعوديين لا يتوقفون عن الهجوم الحاد على أشكال الدعارة الحلال، من حين لآخر، ويجدون في هذا مادة لتسخين لهجة الحوار في الصحف، إلا أنهم سقطوا في نفس الفخ، وابتكروا لأنفسهم شكلاً خاصاً من أشكال الدعارة الحلال تحت اسم «زواج المسيار» الذي لا يختلف كثيراً عن زواج المتعة، وعن الزواج العرفي.

والسعوديون الذين يعود إليهم الفضل الأكبر في انتشار ظاهرة «عقود الزنا» في مصر التسعينيات والثمانينيات - كما سنعرض لذلك في فصل خاص - هم الذين يزعمون دوماً دفاعهم عن صحيح الدين، وهم الذين تحت هذا الشعار يرفضون الزواج المؤقت عند الشيعة، وهم الذين اعتبروا الزواج العرفي عند السنة في مصر نوعاً من إرضاء الشهوات قبل أن يكون زواجاً سليماً، هم أيضاً الذين يرحبون بأفكار امتلاك الجوارى، وهم الذين يأتون إلى مصر بحثاً عن فتاة صغيرة يتزوجونها لبعض الوقت ثم يهربون غير عابئين بمصير الزوجة أو ما يكون قد بدأ يتكون في بطنها.

وإذا كان سبب انتشار ظاهرة الأشكال المختلفة للدعارة الحلال هو الفارق الزمني بين مرحلتى التزوج الاجتماعي والبلوغ الجنسي في دول عربية وإسلامية عديدة، فإن سبب ظهور «المسيار» في السعودية يعود أيضاً لنفس المبررات مع فارق بسيط بين إيران ومصر من جانب، والسعودية من جانب آخر، ففي السعودية، السبب هو المبالغة الشديدة في تكاليف الزواج، والتي يعاني منها عديد من الشباب، على الرغم من أن هناك حالة تميز اقتصادي يتمتع بها هذا المجتمع إذا ما قورن بمجتمعات دول عربية وإسلامية أخرى.

وإذا كان الشباب السعودي قد وجد أن الحل الملائم هو أن يلبي حاجات جسده خلال شهور الصيف بالذهاب إلى بائعات المتعة في مصر والمغرب ولبنان وتايلاند وغيرها، أو في استئجار خادومات من كل جنس ولون لا يتوقف دورهن على القيام بأعمال البيت وإنما يمتد إلى تحقيق ارتواء جنسي لصاحب البيت جالب الخادمة .. فإن الفتيات السعوديات وجدن أنفسهن يعانين من أزمة اجتماعية حادة أسفرت عن عدة مظاهر ..

نذكر منها الآتي:

١ - أحاديث وقصص متكررة عن تورط بعض السعوديات في علاقات غير شرعية مع أجانب يعملون في المملكة، وانتشار ظاهرة المعاكسات التليفونية، وظاهرة الأوراق

التي تلقى في أراضيات المراكز التجارية حاملة أسماء وعناوين البيوت طمعاً في البحث عن رجل لبعض الوقت.

٢ - ارتفاع عدد العوانس، واللاتي لا يجدن زوجاً ملائماً، إلى درجة أن بعض الجهات الدينية أنشأت صناديق خاصة لتمويل عمليات الزواج في محاولة فاشلة لإنقاذ المجتمع من أمراض اجتماعية خطيرة وعديدة.

٣ - زواج «المسيار»!

ولكن ماذا يعنى زواج «المسيار»؟

كلمة المسيار عربية، ذات اشتقاق سعودي، وهي كلمة تعود إلى لهجة أهل نجد، مصدرها هو «التسير عليها». وهي كلمة ربما كانت تعنى إدخال السرور على امرأة، وربما أيضاً كانت تعنى «السير» والمرور على المرأة من حين لآخر.

وبناء عليه فإن هذا الشكل من أشكال «الدعارة الحلال» أو يعنى - حسب تعريف الكاتب السعودي عبدالله أبو السمح في عموده «رأى آخر» - : حل عملي، نتزوج فيه المرأة بمن ترضاه وترغبه ويتمائل معها عقلاً وثقافة بشئ من التنازل عن بعض حقوقها وبالذات في البيت وتكتفى فيه بالزيارة المشروعة، أو «التسير عليها»، وربما يقترن ذلك السفر إلى الخارج والسمر في الليالي وكسر حدة الحريف والشعور بوجود الرفيق لصديق العشير، والزواج الشرعى الذى تقضى به النفس متطلباتها العاطفية والبيولوجية ون القيود الزوجية المتعارف عليها.

إنه بالتالى زواج من نوع خاص.

زواج سرى .. غالباً ما يكون الزوج فيه متزوجاً من قبل .. زواج لبعض الوقت .. زواج بالقطعة .. هدفه ليس بناء بيت كما ينص على ذلك هدف الزواج في الإسلام .. وإنما زواج لإشباع الحاجة الجنسية قبل أى شئ آخر.

والواقع يقول إن صورة وملامح هذا الزواج، وحجم المتعاطين له في السعودية غير يافر. في ظل مجتمع يعانى من الانفلاق .. ولا يحاول أن يعلن مشاكله على السطح. ضوء عدم وجود دراسات وافية، ومع تسجيل ملاحظة أساسية وهي أن الصحف

السعودية حين تناولت هذا الموضوع سرعان ما أغلقته، وحولته إلى جدل بين كتاب رجال وكتاب نساء، وحول ماهية الأدب وما طالب به كلا الجنسين.

لقد بدأ الحديث عن هذا الزواج فى مجلة «اليمامة»، وفى تحقيق نشر حول الموضوع قال محرر التحقيق إنه ظاهرة أخذت فى الانتشار .. ثم وصفته الدكتوراة عزيزة المانع، فى مقال نشرته بجريدة عكاظ بأنه «زواج خفى، تبقى فيه المرأة فى بيتها، ويأتى الزوج لزيارتها أو «التسير عليها» خلال فترة النهار خفية، حتى لا تعلم الزوجة الأولى بزواج الزوج».

ولم نجد «عزيزة» وهى واحدة ممن يطالبن فى خجل بحقوق المرأة فى السعودية، لم نجد بدءاً من أن نصف هذا الذى يحدث بأنه «بش الظاهرة»: «ظاهرها يشير الضحك، وباطنها يحرك الأسى، أن تضل عقول الرجال التى يفخرون بكما لها، وتنحدر بهم إلى هذا الحد الأدنى من اتباع الشهوات، والسقوط فى حبال هوى النفس الذى لا ينتهى».

لماذا؟

«لأن هذا الزواج يقوم على عكس ما هو مطلوب فى الزواج وهو الإشهار والإعلان، وهو بهذا الشكل يساعد على انتشار الفساد، بأن يتخذ بعض الناس من ادعاء زواج المسيار غطاء لفسادهم، وهو أيضاً كفيل بأن يوقع هؤلاء الأزواج والزوجات فى مواقف ذليلة لا يرغب فيها أحد».

ولأن:

«رجالاً كهؤلاء «المسيرين» لا يبالون أن يمارسوا مع زوجاتهم صنوفاً من الخداع والكذب والغش فى سبيل إشباع نزوات لا ترتوى، وهم يريدون أن يحصلوا على المتعة ولا يريدون أن يحملوا تبعاتها، لذا تنفتق أدمغتهم الشظية عن ابتكارات بدیعة فى عالم الخداع والتضليل».

«إن الزواج المتعدد يجب ألا يعدو أن يكون أحد اثنين: إما صواباً وعلى الرجل أن يجاهر به، ولا يخفيه ويتحمل تبعاته، أو خطأ وعلى الرجل ألا يقدم عليه، وليس هنا شئ وسط بينهما».

هنا انتهى مقال «عزيزة المانع» تعليقاً على هذه الظاهرة.

وهنا نلاحظ عدة أمور:

أولاً: إنها اعتبرت أن المسؤولين عن المشكلة هم الرجال وحدهم، دون أن ترصد أن هناك نساء يوافقن على هذه الصيغة ويقبلن بها تحت ضغط الحاجة.

وبما هو واضح أن ذلك واحد من عيوب الكاتبات المطالبات بحقوق النساء، في محاولة منهن لتحميل الرجل بكل مشاكل المجتمع، وأن السبب الأساسي في كل ما يحدث هو الذكر، ومن جانبنا فإننا يمكن أن نتفهم هذا الإطار في المعالجة إذا ما تذكرنا طبيعة الضغوط التي تواجهها المرأة في السعودية، وبالتالي فإن لها رد فعل قد يتجاوز الواقع في كثير من الأحيان.

ثانياً: إنها تجاهلت أن تلك قبل أن تكون مشكلة رجال ونساء، هي أيضاً مشكلة من إفراز المجتمع المغلق، الذي يلجأ مواطنوه لحيل عديدة في سبيل تجاوز أسواره، وفي إطار الشرعية الدينية المفترضة.

ثالثاً: إنها وضعت يدها من بعيد على مشاكل تعدد الزوجات في المجتمع السعودي بدون أن تضغط أكثر .. بسبب مشاكل الرقابة.

رابعاً: إنها جعلت هذا النوع من الزواج في إطار «الدعارة الحلال»، حين وصفت هذه العلاقات بأنها فاسدة، وأن الزواج بهذا الشكل «غطاء لفساد الرجال، وكفيل بإيقاع الزوجات في مواقف ذليلة لا يرغب فيها أحد».

بعد ذلك نستقل إلى رأى كاتبة سعودية أخرى من نفس الطراز، هي انتصار العقيل، التي كتبت في جريدة عكاظ تحت عنوان «قد نختلف» .. «قضايا فقهية بأسلوب مرفوض» .. «الزواج سنة من سنن الله في الخلق والتكوين» قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات - الآية ٤٩]. والله لم يشأ أن يجعل غرائز

الإنسان تنطلق بعكس غيره من المخلوقات .. فلم يترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى بلا ضابط له .. لذلك وضع النظام الملائم وجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاها، على إيجاب وقبول وعلى إشهار، وبهذا وضع الغريزة في سبيلها المأمون وحمل النسل من الضياع .. وصان المرأة من أن تكون مباحة إلا بالحلال .. وقد رغب في الزواج ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾. [الروم - الآية ٢١]

أضافت: «من المتفق عليه أن الزواج المثالي النموذجي الذي به يتجنب الزوج الظلم واللاعادل هو الزواج من امرأة واحدة .. ومن ثم يأتي التعدد وكثيراً ما يكون مخافة الفتنة كما قال ابن مسعود في كتاب فقه السنة: «لو لم يبق من أجلى إلا عشرة أيام وأعلم أنى أموت في آخرها ولى طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة».

ثم تنتقل إلى موضوع هذا الفصل «زواج المسيار» وتقول عنه أنه حلال .. طالما أنه لم يحدد بفترة زمنية .. وتذكر: «لقد ذكر جمهور العلماء أن الزواج لا ينعقد إلا ببينة ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضوراً حالة العقد، ولو حصل إعلان عنه بوسيلة أخرى وإذا شهد الشهود وأوصاهم المتعاقدان بكنم العقد وعدم إذاعته كان العقد صحيحاً» .. إذن هو زواج سري.

لكنها ترى: «نحن كمجتمع لا ندعو ولا نشجع زواج المسيار .. فقيه إجحاف عظيم بحقوق المرأة .. لكن لظروف محددة جداً، وأسباب قاهرة حيث لا وسيلة للحلال سواء .. نقبله .. حتى لو كان «أمر الحلال» فنحن جميعاً مع الحلال وضد الحرام».

إلى هنا، ونحن لمجد أن «انتصار العقيل» مع هذا النوع من الزواج، في حدود خاصة جداً .. لكننا لن نعرض لبقية رأيها قبل أن نعرض لرأى آخر من الرجال حول هذا النوع، كانت بقية رأى انتصار العقيل نوعاً من الرد عليه.

صاحب هذا الرأى هو الكاتب السعودي «عبد الله أبو السمح» الذي اعتبر «أن زواج المسيار» تصنيفة جديدة للتغلب على عقبات العنوسة أو تعدد الزوجات .. وهو «موجود ومقبول عند بعض النساء المثقفات العاملات وبالذات اللاتي لديهن إمكانيات مالية جيدة نتيجة العمل أو الإرث فالمرأة العاملة وقد فاتها قطار الزواج نتيجة الدراسة أو التركيز على العمل أو لأسباب الطلاق وجدت نفسها وحيدة بعد أن انجزت أهدافها العملية وترغب في الأنيس والرفيق وتمنعها عفتها وإحصانها إلا أن يكون ذلك عن طريق الشرع: فكان هذا الحل العملي أن تتزوج بمن ترضاه وترغبه ويتمثل معها عقلاً وثقافة، وبشئ من التنازل عن بعض حقوقها وبالذات في المبيت».

أضاف: صجبت لقول د. «عزيزة المانع» أن هذه ظاهرة سيئة. وتعتبرها إشباع للشهوات وسقوطاً في جائل هوى النفس وتزعم أن ذلك عكس ما هو مطلوب فو

الزواج من إشهار وإعلان .. وقد أخطأت فى ذلك، فالإشهار والإعلان أقله وجود شاهدين وعقد بالإيجاب والقبول.

وقد جاء فى شرح كتاب العمد: «للمرأة أن تهيب حقها لبعض ضراتها بإذن زوجها فإذا رضا (الزوجان) جاز لأن الحق لا يخرج عنهما. وليس عليه المساواة بينهما فى الوطء ولا سبيل إلى التسوية فى ذلك فإن القلب يميل» ولها عليه المبيت عندها ليلة من كل أربع، إذا لم يكن له عذر وإصابته مرة فى كل أربعة أشهر إذا لم يكن له عذر».

وقال: «الأساس فى كل ذلك موافقة الطرفين، فأين الغش والخداع فى سبيل إشباع نزوات لا تترنوى كما تقول، وهذا تعميم خطأ، وقول يخالفه الواقع .. لأن الرغبة هنا فى العاطفة والدفء والأشواق والتباريح، و«زواج المسبار» هو الحل الشرعى لنفوس أضر بها خليط من الارتواء والحرمان والملل، وتريد إشباع العاطفة والجسد مع الاستقلالية والشعور بالذات».

من جانبها اعتبرت «انتصار العقيل» هذا المقال نوعاً من التعامل «الشفئشى» «المابص» مع قضية مهمة، وقالت: ما هذا الاستخفاف والاستهانة بالنساء المثقفات المتعلمات الغنيات اللاتي فاتتهن فرصة الزواج، «المرأة الغنية ستفق على عريس الهنا» كيف يحول الكاتب المرأة إلى كتلة من الاحتياج البيولوجى والعاطفى دون قيود الزوجية، ويجعلها تكتفى من «سبع البرمة» بزيارته والتسيير عليها .. قانعة بأن تكون «الخليلة الشرعية» له .. تؤنس في رحلاته وتكسر له وحدة الحريف فى السمر فى ليالى «الأنس»؟

ومن الواضح أن المعركة تفاعلت حول هذا النوع من الزواج فى السعودية، بين موافق ورافض، وبين من قال: إنه لا يقبله ولا يرفضه، ومن قالت: إنه يستوى مع أبغض الحلال عند الله.

ولقد عبر عبد الله عمر خياط - كاتب سعودى آخر - فى مقال نشر فى عكاظ فى يوم ١ مارس ١٩٩٦ تحت عنوان «زوبعة فى فنجان» عن تفاعل المعركة .. وقال إن الموضوع صار حديث المجالس وأثار تعليقات ساخنة .. وتحدث عن أن الموضوع أصبح مثاراً للجدل بين الكتاب والكاتبات ...

غير أننا نكتفى هنا بهذه التفاصيل التى أوردناها من هذا النقاش السعودى الحاد حول

واحد من أشكال «الدعارة الحلال» .. وننتقل إلى تسجيل بعض الملاحظات على هذه المعركة السعودية، وبحيث لا نخرج عن موضوع هذا الكتاب.

١ - تبدو مشكلة «العنوسة» - وهو تعبير سعودي لم يعرف كمشكلة في مجتمعات أخرى بنفس الحجم - موضوعاً مؤثراً للغاية في ذلك المجتمع. ويرى البعض أن السبب هو عمل السيدات وتركيز بعضهن على الدراسة والعلم .. وهو بالتالي ما يفهم منه أن هناك من يرى أن مشكلة العنوسة لن تكون بنفس الحجم إذا ما كانت النساء أقل إقبالاً على العمل والتعلم.

٢ - إن المجتمع السعودي لم يزل حتى الآن يعاني من مشكلة النقاش حول تعدد الزوجات .. بين مؤيد ومعارض .. وأن هناك ضغطاً دينياً يسمح للزوجات بالتعدد .. وضغطاً مجتمعياً من النساء الرافضات له .. مما دفع البعض لاستغلال أوضاع العنوسة وتوظيفها في اتجاه التعدد من خلال «زواج المسيار» وبحيث لا تعرف الزوجة الأولى.

٣ - «إن زواج المسيار» هو نوع آخر من «الدعارة الحلال» الذي يحاول الكثيرون أن يبحثوا له عن مبررات شرعية تجعل من سرية الزواج أمراً مقبولاً دينياً.

٤ - إن هذا «الزواج المسيار» الذي وصف بأنه علاقة مع خلية شرعية، لا يرجى من ورائه الحفاظ على كيان بيت هادئ، أو حماية حقوق المرأة، أو حماية حقوق أطفال .. والفرض منه فقط .. إشباع الحاجات وإرواء الاحتياجات.

٥ - إن الأكثر إقبالاً عليه من النساء المتعلقات، الفتيات العاملات، اللاتي يبحثن عن زوج لبعض الوقت «يكسر وحدة الحريف، ويقضى متطلبات النفس العاطفية والبيولوجية».

٦ - فيما يبدو فإن هذا النوع من الزواج هو اختراع ذكرى سعودي، وبهذا يحسد للسعوديين أنهم ابتكروا شكلين من أشكال الدعارة الحلال .. أولهما هو: «عقو الزنا» التي يتم في إطارها زواج السعوديين عربياً في مصر وغيرها، وثانيهما: هو زواج المسيار في السعودية.

٧- إن المجتمع السعودي يسجل مجدداً نقطة جديدة في صفات التناقض التي يتمتع بها، ففي الوقت الذي يحاربون فيه زواج المتعة عند الشيعة يبحثون هم أنفسهم عن مبررات شرعية لإضفاء الحلّ على زواج المسيار الذي لا يختلف كثيراً عن زواج المتعة.

وبشكل عام فإن هذه المشكلة الموجودة في دول عربية وإسلامية عديدة لا تنفي أن هناك عقلية تحاول في كل يوم أن توظف النصوص الدينية لصالح أوضاع جنسية واجتماعية في سبيل تجاوز أزمة تتفاعل في كل لحظة.



وأما الملحوظة الأخيرة في هذا الفصل حول ذلك النوع من الزواج فهي أننا وإن كنا قد رصدنا صورته من خلال كتابات في صحف سعودية إلا أن الدولة السعودية نفسها هي التي فضلت إغلاق هذا الملف ومنع الحديث عنه علناً، لاسيما وأن قناة الـ (A.R.T) أعدت حلقة من برنامج «هلا» حول هذا الموضوع.. رفضت الرقابة إذاعتها ثم كان أن تم بثها بعد وقت طويل وهو ما يعنى في رأينا أن الدولة أرادت وضع ستار أسود على موضوع ساخن من موضوعات «الدعارة الحلال».

ولكنني لا أظن أن هذا المنع قضى على ظاهرة «زواج المسيار».



الإفراج الجنسي

الطبيب النفسي

بين خيانة الأزواج وقيود الكنيسة

حدث هذا في مصر خلال عام ١٩٩٦.

سيدة تعمل ناظرة مدرسة، مسيحية الديانة، تعيش في الزيتون في شرق القاهرة، خاضت صراعاً قضائياً ضد زوجها، حصلت على حكم بالطلاق، وبعد الحكم وافقت الكنيسة على زواجها .. فاشتعل الرأي العام القبطي.

إذ كيف تسمح الكنيسة بهذا الزواج وهي لم توافق من قبل على الطلاق؟

إن هذا في رأي الذين اعترضوا ليس زواجاً، وإنما دعارة!

هاتحين إذن ندخل إلى الشكل الرابع من أشكال الدعارة التي تلتحف بالحلل. فبعد أن عرضنا النموذج الإيراني على أنه جزء من حلول مشكلة الزواج في الإسلام، وبعد أن عرضنا لنموذج الهبة بدون عقد عند المتطرفين، ومن بعده زواج المسيار في السمودية، وقبل أن ندلف إلى واحد من أهم أشكال الدعارة الحلل عند السنة في مصر .. نقرب من المشكلة في شكلها القبطي.

وإذا كانت المشكلة بالنسبة للمسلمين هي أن هناك من يصل إلى مرحلة النضج الجنسي دون أن يتمكن من بلوغ مرحلة النضج الاجتماعي، وبالتالي يلجأ إلى الدعارة (الحلل) فإن المشكلة في جانبها القبطي ليست هذا فقط، وإنما هي أيضاً مشكلة من يصلون إلى البلوغ الجنسي والبلوغ الاجتماعي فلا يتزوجون، خوفاً من التورط في مشاكل زواج، الطلاق منه شبه مستحيل، وإذا ما تزوجوا فإن بعضهم يسقط حتماً في علاقات غير رسمية لكنها تحظى بالمباركة الكنسية التي تجعل منها علاقات حلل.

وأصل المشكلة هو النص الديني .. إذ يقول النص الإنجيلي: إنه لا طلاق بدون زنا، وبناء عليه فإن الطلاق لا يقع أبداً بين الزوجين بدون تدخل من الكنيسة، التي يجب أن تتأكد من توافر سبب الطلاق، والذي إما أن يكون زنا، أو يكون لوجود «عنة» عند الزوج .. أي أنه لا يستطيع أن يمارس حياته الزوجية بشكل طبيعي.

وبالتالي فإن على كل زوج أن يثبت آياً من المصيتين .. الزنا أو العنة .. لكي يتم الطلاق ولهذا فإنه أحياناً ما يحدث التزوير .. وأحياناً ما تظهر شهادات باطلة .. ومعلومات كاذبة في سبيل أن يتم الطلاق، وحين يتم .. يُعقد زواج جديد .. لا يمكن إلا أن يوصف بأنه «دعارة حلل».

إن هذا أمر يثير الجدل بوضوح بين الأقباط فى مصر، ليس لأنه ذو أبعاد دينية، واجتماعية، ولكن أيضاً لأنه يتعلق بما يؤثر فى مسيرة حياة بيوت، والعلاقات بين أشخاص .. بعضهم يسعى للحصول على الإفراج الدينى الجنىسى عن نفسه، فيتحقق له الانعناق من أسر شخص آخر، يفرض سطوته عليه بواسطة تعاليم الدين والكنيسة.

والأمثلة عديدة

ومنها القصة التالية التى تحولت إلى قضية أحوال شخصية ..

بطلا هذه القضية قبطيان أرثوذكس .. الكنيسة صرحت لهما بالزواج .. كلاهما كان هذا بالنسبة له هو الزواج الثانى. وقد عقد الزواج تحت رعاية المؤسسة الدينية، وتولى صلاة الإكليلى مطران هام. ومضت الحياة بالزوجين فى طريق معتاد ومتوقع من حياة زوجية عادية .. لولا أن هذا لم يستمر طويلاً.

الزوجة تغيرت .. خرجت عن طاعة زوجها .. وتطور الوضع إلى حد أنها هجرت بيت الزوجية .. واضطر الزوج أن ينذرهما بالعودة إلى البيت، لكنها ردت عليه بطريقة غير متوقعة. إذ جاءه إنذار من المجلس الإكليريكى بدعوة للحضور للنظر فى طعن عرض على المجلس بإبطال الزواج الكنسى.

أى أن الزوج الذى كان يحاول الدفاع عن بيته بإعادة الزوجة إليه .. وجد نفسه فى موقف الدفاع عن شرعية الزواج من الأصل.

إن الزوج الذى اكتشف أن زوجته تخونه فوجئ بضربة تأتية من جانب آخر بعيد تماماً عن توقعه .. وقيل له فى المجلس الإكليريكى: إن الادعاء ببطلان زواجه الثانى يقوم على أساس أن طلاقه الأول لتغيير الملة باطل .. رغم أن الكنيسة القبطية ذاتها هى التى صرحت بزواجه الثانى بعد أن تحققت من عدم وجود مانع من عقده.

وكان مبرر الزواج الثانى هو أن «بطلاتاً شاب زواجه الأول بما لا يحول دون عقد زواجه الثانى، أياً كانت إجراءات انحلال زواجه الأول».

ومضت سنوات .. بقى فيها الأمر معلقاً.

ولم يجد الزوج أمامه أى حل آخر، سوى أن يطلب من المحكمة أن تقضى بطلاقه من زوجته، التى يقول المجلس الاكليريكى: إن زواجه منها باطل .. وكانت مبررات الزوج أن الزوجة تتحايل على زواجه منها بادعاء البطلان.

فى المحكمة فاجأت الزوجة الجميع بأنها لم تقل بيطان الزواج.

قالت: إن الذى فعل هذا هو كاهن الكنيسة .. ووصفته بأنه «أب اعترافاتها» .. وأثبتت كلامها بأن قدمت للمحكمة ما يؤكد أن الكاهن الذى طالب بيطان الزواج بعد أن قدم الزوج إنذاراً بعودة الزوجة إلى منزل الزوجية. هذا الكاهن قال: إن تلك هى ابنتى فى الاعتراف .. وأنا اعترض على زواجها، لأنه غير شرعى، لأن الزوج طلق زوجته الأولى لتغيير الملة، ومن هنا فإننى أطلب بيطان الزواج الثانى.

المفاجأة أن هذا الزواج الثانى كان قد انقضى عليه حينذاك ١٢ عاماً.

والمعنى الدينى أن الزوجين عاشا ١٢ سنة كاملة فى الحرام.

ولكن المحكمة قضت بالطلاق، واستجابت بذلك لطلب الزوج.

وقال الحكم: «هناك ثبوت خطأ من الزوجة، تسببت به فى هدم أسس العلاقة الزوجية، وإهدار قدسيته، وقد أخلت الزوجة إخلالاً جسيماً بالتزامات الزوجية، ومنها الالتزام بالأمانة على زوجها فى عرضه وماله».

هذا الحكم أثار جدلاً كبيراً.

وقد علق عليه المستشار صبرى غالى خليل الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بالاسكندرية، وهو قبطى كما يتضح من اسمه، قائلاً فى مقال منشور بمجلة «روز اليوسف»: «هناك شئ مؤكد يجب ألا يمر دون إلقاء الضوء عليه .. فالزوجة التى أدانها الحكم بأنها لم تحفظ عرض ومال الزوج استطاعت أن تجند أحد الكهنة لتتخذ منه أداة لمحاولة إبطال زواجها الكنسى الذى أقبلت عليه فى حينه بإرادتها. وهى عالمة بكل الظروف التى أحاطت بانحلال الزواج الأول للزوج».

المعنى واضح .. وهو أن الزوجة كانت تدرك كل شئ .. وأقدمت على علاقة زوجية هى تدرك أنها باطلة.

ويقول المستشار صبرى غالى خليل: إن سوء القصد مؤكد، والهدف إيجاد غطاء للواجب المفروض على الزوجة من الإخلاص الزوجى. والكاهن انصاع لتدبير الزوجة، وتورط فى تحريك ادعائها سرًا، بعد أيام قليلة من وصول إنذار الزوج بالعودة إلى مسكن الزوجية .. هل يجوز لكاهن بإحدى الكنائس أن يباشر ادعاء بمس صميم أحوالهما الشخصية على وجه الحسبة، وهل له كأب اعتراف اختصاص أو صفة تحريك الادعاء أمام المجلس الإكليريكى بهدف إبطال زواج قائم، توفرت له كل الأسباب اللازمة لصحته، بعد أن صرحت بعقده الكنيسة القبطية ولا تزال تقره؟.

هل يجوز لكاهن تحقيق مصلحة مشبوهة على حساب القيم الدينية والأخلاقية التى لا تحتل المساس بها؟
هذه قصة ..

واليكم قصة أخرى.

ذهب قبطى إلى المجلس الإكليريكى فى كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس بالعباسية، وقدم طلباً لتطليق زوجته، وقال مبرراً طلبه: «إن العشرة صارت مستحيلة». ولكن المجلس رفض طلبه .. ولم يجرد الزوج مفراً من أن يذهب إلى المحكمة وأقام دعوى طلاق .. نحصل عليه وأصبح حراً.

لكن القصة لم تنته عند هذا الحد ..

لأن الرجل أراد أن يتزوج مرة أخرى. وحين حاول ذلك، رفض القس التابع له أن يتم واجبه إلا إذا حصل على تصريح من المجلس الإكليريكى .. فذهب إلى المجلس وطلب التصريح، وقدم الحكم القضائى بالطلاق .. لكن المجلس رفض أن يعطيه التصريح وقبل: «لقد درست حالتك ولم نعترف بالطلاق».

ذهب الرجل مرة أخرى إلى المحكمة. وأقام دعوى ضد القس الذى رفض أن يقيم له راسم الزواج .. باعتباره موثقاً تابعاً للحكومة، وموظفاً عاماً بها وامتنع عن تنفيذ حكم محكمة .. واضطر القس لأن يتمم الزواج الذى رفضته الكنيسة واعترضت عليه نيابة.

هذا الزواج فى رأى الزوج المحكمة .. زواج شرعى .

لكنه فى رأى الكنيسة .. ليس كذلك وغارق فى الحرام .

والواقع أن هذا الموقف الكنسى الذى يعتبر مثل تلك الحالات علاقات غير سليمة دينياً .. أى دعارة .. يعود سببه إلى القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ الذى نزع اختصاصات قضايا الطلاق من المجلس الإكليريكى بعد أن فرض سطوته على الأقباط وظل ينظر منازعات الطلاق لسبيين :

الأول : هو السلطة الروحية .. لأن الأقباط الراغبين فى الطلاق يريدون أن تعترف الكنيسة بطلاقهم .

الأخر : هو التحكم فى تصاريح الزواج التى يرفض للمجلس إعطاءها إلا بعد دراسة قضية الطلاق من جديد . حتى لو كانت المحكمة قد أصدرت حكماً بالطلاق ، وفى حالات كثيرة يرى للمجلس أنه لا مبرر للطلاق ، وبالتالي لا يعطى تصريحاً بالزواج مرة أخرى .

هنا يجب أن نتوقف لنستعين بأسامة سلامة .

إنه محرر متميز فى مجلة روز اليوسف ، وقد كانت أنشطته الصحفية فى هذا المجال هى الوحيدة - تقريباً - التى تابعت الموضوع الذى نحن بصدده ، ونعتبره يوفر أشكالا من العلاقات يعتبرها البعض زواجا ، ويعتبرها الآخرون دعارة .

يقول فى مقال له بعنوان : «الطلاق مشكلة الأقباط فى مصر» : ليس هناك من الناحية القانونية تضارب وتعارض بين أحكام القضاء والمجلس الإكليريكى ، لأن الأخير يمارس هيئته من قبيل السيطرة الروحية ، ويستطيع أى مسيحى أن يتزوج دون الحصول على هذا التصريح ، ويستطيع أى قس أن ينتم لإجراءات الزواج بدون هذا التصريح ، مثلما حدث مع أحد القساوسة .. الذى أجرى عديداً من الزيجات دون اشتراط الحصول على التراخيص مما دعا الكاتدرائية إلى تقديم بلاغ إلى النيابة تتهمه فيه بالتزوير .. وإجراء زواج بدون ترخيص للمتزوجين . لكن محكمة الجنايات «دائرة بدران» أصدرت حكماً ببراءة القس ؛ على أساس أن القانون لم يشترط استخراج ترخيص من البطريركية ، وأن مهمة

القسم هنا هي أن يكون موثقاً عن طريق مأذون - قبطي - تابع للدولة والتحقق من خلو الزوج.

أو الزوجة من موانع الزواج

رغم هذا فإن كل الأقباط، باستثناء عدد قليل للغاية، يرفضون اللجوء للقضاء لتزويجهم ويفضلون الحصول على نصريح الزواج من الكنيسة ومباركتها للزواج باعتباره واحداً من الأسرار السبعة المقدسة للكنيسة، حتى لو أدى ذلك لانتظارهم عشر سنوات.. إذ أن كون الزواج سراً مقدساً فإنه لا يتم إلا عن طريق الطقوس الكنسية وبواسطة أحد الكهنة حيث يعتبر ذلك عملاً دينياً يجلب النعمة.

ويقول أسامة سلامة: إن الأزمة لم تشتد إلا في العشرين سنة الأخيرة، وبعد تولى البابا شنودة منصب البطريرك عام ١٩٧١، حيث أعطى تعليمات للمجلس الكلييريكي برفض منح نصاريح الزواج للمطلقين إلا لعدة الزنا، حتى لو كانا قد حصلا على حكم قضائي بالطلاق، منذ ذلك الوقت تزايدت أعداد ملفات الراغبين في الطلاق والزواج مرة أخرى أمام المجلس الكلييريكي، حتى إن هناك من يقدرها بنحو ٢٢ ألف حالة.

في المقابل، وقبل تولى البابا شنودة، لم تكن هناك مشكلة، إذ كان البطارقة يوافقون على منح نصاريح زواج للمطلقين بأحكام قضائية نهائية استناداً إلى سلطان الحل والربط الذي يعطيه الإنجيل لرجال الدين المسيحي ويعطى لهم الحق في دراسة كل حالة وإعطاء حكم حسب الضرورة التي يواجهها صاحب المشكلة، وبذلك تكون سلطتهم تقديرية في منع ومنح نصاريح الزواج للمطلقين.

إن لب المشكلة هو أن النص الإنجيلي يقول: إن الزنا هو السبب الوحيد للطلاق.

لكن المجلس الكلييريكي يقول أيضاً: إنه يمكن الطلاق وبطلان الزواج إذا ثبتت العنة والعجز الجنسي.. وإذا ثبت أن الزوج أخفى الأمر عن زوجته، كما يمكن إعطاء أحدهما نصريحا بالزواج إذا حصل الآخر على حكم قضائي بالطلاق، ثم تزوج بناء على هذا دون الرجوع للمجلس الكلييريكي.

إن المحاكم ترى أن الطلاق يمكن أن يقع لتسعة أسباب.. هي:-

- الزنا.

- الخروج على الدين المسيحي.

- غياب الزوج عن بيت الزوجية - أو الزوجة - خمس سنوات متتالية دون أن يعرف أحد أين هو، وهل لم يزل على قيد الحياة.. أم لا؟

- الحكم على أحد الزوجين بالأشغال الشاقة، أو السجن لمدة سبع سنوات فأكثر.

- إذا أصيب أحدهما بجنون مطبق، أو مرض معد ثبت أنه غير قابل للشفاء.

- إذا ساء سلوك أحد الزوجين وفسدت أخلاقه وانغمس في حياة الرذيلة.

- إذا اعتدى أحد الزوجين على الآخر بشكل جسيم وتعمد إيذاؤه.

- إذا أساء أحد الزوجين معاملة الآخر ومعاشرته مما أدى إلى استحكام النفور بينهما.. وانتهى الأمر بافتراقهما ثلاث سنوات.

- إذا اختلفت ملة أو طائفة كلا الزوجين، إذ يجب أن تكون متحدة، حتى تطبق عليهما تشريعات ملة واحدة.

وبسبب هذا الامر الأخير وجد عديد من الأقباط أنه يمكن أن يعثروا على ثغرة يمرون منها، ويغيرون ملتهم من أجل تغيير أزواجهم .. وبالتالي فلنأنا أمام حالة تزوير فكري وديني، وعقبيدي.. وإذا أقمنا هنا الامر على حسابات النوايا فإن الزواج الحديد حسب الشريعة القبطية بعد تغيير الملة.. لا يكون زواجا، وإنما علاقة من نوع آخر، وإن حاول أصحابها أن يضيفوا عليها أسباب الشرعية والحل.

إنها محاولة بكل الطرق للحصول على الإفراج الجنسي.

لكن هذه المحاولات حوصرت أيضا بعد أن تزايد لهذا السبب عدد الذين يتحولون من طائفة الأقباط الأرثوذكس إلى طائفة البروتستانت من أجل الحصول على الطلاق.

ويقول أسامة سلامة: في نهاية الثمانينيات أضطر البابا شنودة لأن يعقد اتفاقا مع باقى طوائف المسيحية فى مصر، خاصة البروتستانتية بالتشدد فى قبول راغبي التحول بين الطوائف ورفض الذين يتحولون بسبب الرغبة فى الطلاق والتريث فى إعطائهم شهادات

الانتماء للطوائف الجديدة لتقديمها للمحاكم إلا بعد مرور ثلاث سنوات من انضمامه.. وقد أدى هذا إلى انخفاض الأعداد إلى عشرة أشخاص كل سنة، وبحيث أصبحت الطائفة البروتستانتية تتشدد في منح الشهادات الخاصة بالطلاق فلم تعد تزيد على واحدة أو اثنتين في العام الواحد. وكان من بين الاتفاق أيضا ألا تعترف وزارة العدل إلا بالختام المركزي للطوائف والملل وليس بالاختام المحلية للكنائس.

(إنه إذن حصار حول الراغبين في الطلاق).

لكن هذا الحصار كُسر بالتزوير .. واخترق بتلاعب المحامين الذين لجأوا إلى تزيف أختام الطوائف، لاسيما تلك التي اندثرت من مصر، لتقديمها إلى المحاكم، وبالتالي تطبق على الزوجين مختلفى الملة أحكام الشريعة الإسلامية كما يقول القانون.

وحين نعلم أن المحامين يحصلون على خمسة آلاف جنيه مقابل شهادة تحمل خاتم الكنيسة الوطنية الإنجيلية للسيدة العذراء التي ثلاثت في مصر منذ نحو مائتي عام، سوف نعرف الدور الذي يمارسه المحامون في مصر في إضفاء صفة الشرعية القانونية على الدعارة الحلال.. وهو ما يمكن أن يتضح أكثر في الفصل الثاني حين نعرف كيف ساهم عديد من المحامين في إتمام اتفاقات هذا النوع من الدعارة بين المسلمين السنة خلف ستائر الزواج العرفي. بل إن الأمر تجاوز هذا إلى حد تغيير الدين.

وتنقل روزاليوسف في العدد الصادر في شهر مايو ١٩٩٤ عن هابيل توفيق سعيد رئيس مجلس إدارة جمعية الشهيد مارمينا والبابا كيرلس السادس قوله: إن أمور الأحوال لشخصية تحتاج إلى حلول سريعة وفورية ولا بد من طرحها للاستفتاء الشعبي خاصة أن لقانون ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ جعل الاختصاص للمحاكم الوطنية، وأن هناك قرارا من مجلس الملى صدر عام ١٩٣٨ أباح الطلاق لأسباب أخرى غير علة الزنا مثل النفور لستحكم، والفرقة الدائمة، والمرض المعدي، والعنة، والجنون، وهي اللاتحة التي تم عمل بها حتى عام ١٩٧١.

وأضاف: ما هو وضع الزوجين في مستقبل العمر، وقد أصيب أحدهما بمانع لاستمرار في الزواج.. هل الرهينة هي الحل.. أم الوقوع في بشر الرذيلة؟ ولست أدري، كانت البطريركية تعلم أن الكهنة يزوجون الأثرياء دون إبلاغ البطريركية ويكتفون

بالتسجيل الحكومي أم لا؟.. وكم من أمور تتم فى السر لتزويج متزوجين وتطليق آخرين ليس لديهم ما يوجب الطلاق؟

إن هايل هنا يضع يده بوضوح بالغ على حالة دعاة تسم تحت رعاية الكهنة.

ونحن أيضا نضع أيدينا على حالات أخرى من خلال قصص عديدة.

هناك مثلاً قصة المسيحي الذي هرب من زوجته إلى لندن، وتزوج هناك من مسلمة، بعقد مدني، وشهد على العقد شخص مسيحي وآخر مسلم.. ولم يوثق العقد فى أى جهة مصرية، بينما كان هذا مقبولا فى إطار القانون الإنجليزي. وبقي السؤال المطروح بين القاهرة ولندن.. هل هذا زواج شرعى أم لا؟

بالطبع لا..

على الأقل من ناحية المسلمة، التى ليس من حقها حسب شريعة القرآن أن تتزوج من ابن دين آخر.

لكن القصة توضح أن هناك تخيلات تتم فى كل يوم من أجل الهروب من قيود المجلس الإكليريكي.. ومشاكل الحصول على تصريح منه

هناك قصة أخرى عن رجل مسيحي أسلم، وهرب من دينه، وهرب بالتالى من أهله، وتحمل لعنتهم، كى يهرب من زوجته، ويتزوج من أخرى.. وكى يحصل على الإفراج الجنسى الذى يبحث عنه.

وبالمثل هناك قصة أخرى لمسيحية أسلمت لكى تتزوج.

والمشكلة تتعمد يوما تلو الآخر، ذلك أن البحث عن حل يقود إلى أن يصل صاحب المشكلة إلى أن يهجر كل قيود عقيدته، وكل كهنتها، وكل المراسيم التى تضعها كقيود على زواجه الجديد.. ولكن الحل الذى يلجأ إليه هؤلاء ليس حلاً، وإنما هو تعقيد جديد للأمر، فى مجتمع لا يقبل هذا التحول الدينى ببساطة.. سواء من المسيحية إلى الإسلام أو العكس.

ومن هنا فإن الكنيسة فى مأزق.

وقد حاول البعض من قساوسة الكنيسة ومفكرها أن يجدوا حلا لتلك الأزمة التي تفرض إجواء الدعارة الحلال، فطالب البعض بتوحيد لائحة للأحوال الشخصية بين الطوائف المسيحية في مصر، وطالب آخرون بالعثور على أوضاع دينية تسمح بالطلاق وإتمام زواج جديد.. وطالب غيرهم بالتنسيق بين ما تقوله المحاكم وما يقوله المجلس الإكليريكي.

لكن مشكلة الدعارة الحلال في هذا الاتجاه.. لم تزل مستمرة.



عقود الزنا

المؤسسة المصرية

للدعاية الحلال

لا يمكن الخوض فى تفاصيل هذا الجزء من الكتاب بدون أن نقرأ القصص الأربعة التالية.

إنها حكايات وردت فى صفحات الحوادث بجرائد مصر بين عامى ١٩٩٥ و١٩٩٦.

قصاصات من ورق تحكى أحداثا من كل لون، لكنها فى النهاية تعبر عن المزاج الأخلاقى العام فى المجتمع، وتوضح ماهى البيئة الاجتماعية التى ازدهرت فيها الدعارة الحلال، وصارت قانونا معترفاً به عند كثيرين، يُلجأ إليه كلما فرضت الحاجة إلى متعة خلف ستائر من المشروعية الوهمية.

القصة الأولى دارت فى حى الزاوية الحمراء.

ذلك المكان الذى لفت إليه الانظار فى نهاية السبعينيات حين اشتعلت فيه نيران الفتنة الطائفية.. وحين انتبه الكثيرون إلى الزحام السكانى الفاحش الذى لا يخفى عديدا من الأمراض الاجتماعية ولا يستر الفقر، ويكشف المتاعب الاقتصادية وآلام الشباب الذى ينمو كل يوم ولا يعرف له مستقبلا من أى نوع.

هنا فى هذا الحى يعيش جيل كامل من شباب مصر، حصل على شهادات ومؤهلات عليا، لكنه بلا عمل، ورغم أن كلاً منهم لديه طموح وأمل وأحلام، إلا أن الانطباع السائد عن هذا الحى فى وسائل الإعلام انه حى السنج والسواطير والعنف والتطرف والفتوات وقلة فرج فوده.

وبخلاف هذا الانطباع الذى يمثل جزءاً يسيراً من الواقع الحقيقى للحى، فإن هناك مئات من القصص اليومية تدور كل ساعه بشكل عادى فى الزاوية الحمراء دون أن يتنبه لها أحد.

وحين عقد رجل مجهول قران فتى من شباب الحى على فتاة اسمها «دعاء» من نفس المنطقة لم يكن يدور فى ذهن أحد ان يتنبه إلى هذا الحدث العادى الذى يتكرر كل لحظة.. لكن الذى حدث كان شيئا آخر جعل الجميع يتعامل مع القصة على أنها فضيحة.

إن أحداً لا يعرف ماهى مبررات الزوج فى تلك القصة.. كى يرتكب ذلك الفعل الذى صار فضيحة. فقد أحب، وتقدم لخطبة الفتاة، ودفع مهرا، وأعد شقة، وأقام حفلا

لإعلان الزفاف، وجاء رجل قيل إنه مأذون، وجلس الجميع أمام الشهود، وتم العقد، ودخل الزوج بزوجه.. ثم بعد ستة أشهر اكتشفت أنها تزوجت بدون عقد، وأن المأذون الذى عقد القران ليس مأذونا، وأن الزوج كان يعرف هذا، بل ودبر الخطة، وأن أباه كان يعرف، وعمه كذلك. إلا هى.. لم تكن تعرف أنها عاشت ستة أشهر كامله فى شقة الدعارة الحلال.

لم تكن هناك عداوات بين الأسرتين كى نقول: إن الزوج يريد أن ينتقم.
ولم تكن نية الزوج أن يهرب حتى أنه حين كُشفت الواقعة قال: إنه نسى، وأنه كان مضطرا للاستعانة بالمأذون الوهمى كى لا يتأجل الزواج.. وأنه مستعد لأن يوثق عقد الزواج الذى لم يعقد.

ولا يمكن تصور أى سبب آخر لهذا التزوير الذى حدث إلا لأن الزوج كان يريد أن يحجب عن زوجته أية حقوق شرعية وقانونية مفترضة.

هكذا وجدت الفضيحة نفسها تنجم فى ملف داخل نيابة الزاوية الحمراء، والزوج يواجه تهمة التزوير والاحتيال، وكذلك المأذون الرسمى الذى يعمل عنده المأذون الوهمى موظفا، والوالد الزوج وعمها اللذان كتما الشهادة، وأخفيا الحقيقة.

المصدر: «أخبار اليوم» - العدد ٣١٢٣، فى ٢٠/٣/١٩٩٦.

القصة الثانية عُرِضت أمام محكمة شمال القاهرة- دائرة الاحوال الشخصية.

حكاية شبه عادية فى البداية.. فتاة غاية فى الجمال.. جسمها فوق المتصور.. توصف بأنها صاروخ جنسى على قدمين.. أدركت قيمه فنتها.. هجرت المهنة التى تعلمتها فى كلية راقية.. عملت مضيقة فى شركة طيران أجنبية.. تزوجت شخصا عاديا.. مرتبه لايساوى واحدا على عشرة من مرتبها.. فتحت البيت.. أنفقت عليه.. قبل فى البداية.. ثم ضغطت عليه كرامته وطلب منها أن تترك وظيفتها.. رفضت.. ضغط عليها فى البيت.. عاملها بقسوة.. طلبت الطلاق.

فى المحكمة دافعت عن مهنتها، ودافعت عن كرامتها، ورفضت المعاملة الشرسة، ورفضت الضرب، فرد عليها بأن قدم لها صورا فى أوضاع مفضوحة مع رجل آخر.. التقطها لها فى السر.

هنا لا يهم بماذا حكمت المحكمة.. وإنما المهم أن نلاحظ أنه صمت وسكت، كان يعرف ولم يتحرك، وكان يلتقط الصور للعلاقة المحرمة ثم يكفى على الخبر ماجورا.

«المصدر: «جريدة الدستور ٢٠/٥/١٩٩٦»

القصة الثالثة دارت في مصر الجديدة.

الزوج مضيف جوى، لم يجد فيما يفعله أى نوع من الخروج على الأخلاق.. وكان يقول فى التحقيقات: «هذه حرية شخصية لاعلاقة أبداً لشرطة الآداب بها».

الزوجة مغرية جداً، فى سن النضج الجنىسى، ٣٥ سنة، يمكن أن تحرك أى زوج بدون أن تخلع ملابسها، ورغم هذا فإنها أبلفت الشرطة بأن زوجها يحرضها على الفسق والفجور، يضطاد الرجال، يدعوهم لحفلات جنسية فى البيت، ويجبرها على أن تمارس الجنس معهم أمام عينيه، وأمام عدسة كاميرا الفيديو يصور بها ما يحدث بين زوجته والرجال الأغراب.

كانت ترفض، ولكنه يهددها بالقتل، وكان يقول لها: إنه لا يشعر بالنشوة إلا بهذه الطريقة، وأن هذا يدخل إلى قلبه البهجة والسرور، وفى هذا الإطار مارست الزوجة الجنس أمام أعين زوجها مع عشرات الرجال، مرات من أجل مزاجه الخاص، ومرات أخرى لكى يقبض بعض المال..

وهكذا خلق الزوج نادى جنس فوق جسد زوجته.

«المصدر: «روز اليوسف- وائل الابراشى -١٨/١٢/١٩٩٥»

القصة الرابعة دارت فى أماكن كثيرة.

اسم بطلتها لىلى، امرأة من نوع خاص جداً، مثال حى على جنس الفقراء، عرفها خمسة رجال فى فراش الدعارة الحلال فقالوا: إنها نظيفة وأمانة وحنونة، ولكنها كانت فى عرف القانون مزورة، وفى شريعة الدين زانية.

قابلت الزوج الأول فى حى مصر القديمة، كانت تعمل فى مدايق الجلود، وكان هو متزوجاً، كهلاً، لكنه تزوجها.. وكان رأيه فيها أنها بركان جنسى، إذا أحست بالرغبة بحثت عنه فى كل مكان حتى لو كان فى المسجد يصى.

وكان أهل الحى يصفونها بأنها «مش فلتانة» .. ولكنها كانت إذا أحببت رجلاً تزوجته .. وهكذا تزوجت عدة أزواج فى وقت واحد تحت إلحاح الغريزة .. وكانت تسقط فى فخ الدعارة، رغم أنها كانت فى كل مرة ترغب فى رجل تتزوجه متوهمة أن هذا حلال.

هكذا تزوجت شخصاً خمسة أيام، بدا فى نيابة مصر القديمة أنه متخلف عقلياً ..

وتزوجت شخصاً ثالثاً فى الأسكندرية هربت منه لأنه ضعيف جنسيا ولم يستطع أن يروى عطشها الدائم وعاشت مع موظف بسيط فى المنوبة تركته لأنه كان بخيلاً .. ثم تزوجت من رأت أن «صحته حلوة» ويمكن أن يكون آخر الأزواج.

وكانت تقول : «إننى لا أستطيع أن أمسك نفسى أمام الرجال».

المصدر: «روز اليوسف - سوسن الجيار - ١٦ / ١ / ١٩٩٥».

هذه هى القصص الأربعة التى اعتبرناها مدخلا ضروريا للفصل الذى نحن بصدده الآن.

لم نوردها هنا كى نروى بعض حكايات الجنس ونزواته .. وإنما لكى نشير إلى أن البيئة المصرية فى التسعينيات عرفت أشكالا شاذة من العلاقات المحرمة .. وعرفت انفلاتا فى الأخلاق .. وعرفت تطورا رهيباً فى العلاقات الأسرية .. ذلك أننا هنا لسنا بصدد الحديث عن شبكات دعارة أو جرائم آداب، وإنما نحن نتكلم عن قصص دارت داخل بيوت «بين أزواج شرعيين».

إن هذه القصص تثير علامات تعجب واستفهام مريرة، لأسباب كثيرة، أهمها أنه كان هناك حرص دائم فى كل منها على أن تكون هناك علاقة شرعية، رغم أن الدعارة تحيط بالبيت فى كل لحظة ..

تلك الحقيقة واضحة تماماً فى النماذج الأربعة ..

فى قصة الشاب الذى عاش ستة أشهر كاملة بدون عقد مع زوجه رغم زفاته عليها أمام الجميع.

وفى قصة الزوج الذى لم يُظهر صور زوجته مع عشيقها إلا فى المحكمة .. وكان يمكن أن يصمت فترة أطول.

وفى حكاية الزوج الذى أجبر زوجته عشر سنوات كاملة على أن تمارس الجنس أمام عينيه مع عشرات غيره.

وفى قصة المرأة التى تخشى السقوط فى بئر الزنا، فكانت تتزوج فى كل مرة أحبت رجلا، وهى على ذمه رجل آخر.

ولعل الحقيقة الموجهة فى كل هذه الحكايات التى وجدت طريقها بشكل أو آخر إلى القضاء أنها شملت طبقات اجتماعية مختلفة، من أدنى السلم إلى أعلاه، من مصر القديمة إلى مصر الجديدة، ومن شاب فقير فى الزاوية الحمراء إلى زوج مضيئة جوية فى شركة طيران أجنبية.

والمعنى أن الوباء منتشر بين الجميع.

ومن هنا فإننا لن نعجب إذا عرضنا فى الأجزاء التالية من هذا الفصل لقصص الدعارة الحلال، ووجدنا أنها منتشرة بين الجميع، بين الفنانين ورجال الأعمال ورجال الحكم وبين الفقراء فى الحوامدية وبين شباب الجامعة وبين صغار السن وكبارهم، وبين الداعرات بحكم المهنة وبين اللواتى يبدون أماننا وكأنهن آلهة فى الأخلاق.

وكان كل شيء فى مصر بدأ فى التحول.

كل الناس يسعون للربح من وراء النفط.

الذين يسافرون إلى الخليج، والذين يبحثون عن سائح خليجى فى مصر خلال شهر الصيف.

منذ أدرك الناس أن الانفتاح الذى تحدث عنه السادات كان وهما كبيرا، فبعد أن مات كُشف المستور، وبدت خزانه الدولة خالية غارقة فى الديون، والحكومة عاجزة عن أن توقف فضيحة إعلان إفلاس الدولة، وبعض الوزراء منهمكون مع غيرهم من عناصر الفساد فى سرقة ماتبقى من الكعكة الخالدة.. التى تسمى مصر.

ولأن غالبية المصريين لا يميلون إلى التبرم على حكوماتهم، ويفضلون دائما أن يبحثوا عن حل بطريق آخر غير العصيان والتمرد.. كان أن سافرت الملايين للبحث عن لقمة عيش خارج البلاد.

هكذا أصبح حلم الحصول على «فيزا» إلى السعودية أو الكويت هو منتهى
الأمل.

وهكذا أصبح البحث عن كفيل يتولى توظيف المصرى هو أكبر حلم.

وهكذا وجد المصريون أنفسهم عبيداً فى سوق رقيق العمالة.. يفعلون أى شىء كى
يدخلونه.. يقدمون رشوة لسمسار التأشيرات.. يطيعون صاحب العمل الخليجى..
يؤمنون بأنكار البلاد التى تستضيفهم يتحولون إلى الافكار الوهابية، وأحياناً يطلقون
اللحى، وغالباً ماتضع نساؤهم الحجاب.. كل هذا من أجل أن يرضى عنهم صاحب
العمل الخليجى.

لقد تحول الخليجيون الذين يعيشون حالة رخاء النفط إلى نموذج النجاح الدائم أمام
العامل المصرى البسيط.. وأدرك الكثيرون أن رزقهم مرتبط بهؤلاء.. سواء كان بالعمل
عندهم خارج مصر، أو بالعمل فى خدمتهم داخل مصر.

هكذا أصبح السائح العربى وكأنه إله فى شوارع مصر، الجميع يسعى لإرضاء
رغباته.. للفوز بالجنيهاً التى يبعثها فى كل ركن يمضى إليه من شارع جامعة الدول
العربية إلى كباريهات شارع الهرم، ومن مسارح الفن التافه إلى شقق المتعة الرخيصة،
ومن فنادق الخمس نجوم.. إلى قرى فقيرة تقدم أى شىء يطلبه صاحب «العقال».

هكذا أيضاً صرنا نرى فى المجتمع المصرى ثلاث ظواهر مختلفة.

أولاًها: ظاهرة القرى التى يسافر أغلب رجالها بشكل شبه جماعى إلى مكان معين
فى الخليج بحثاً عن لقمة العيش.. وهؤلاء قد يكون لديهم كثير من العذر.

ثانيتهما: ظاهرة أصحاب المهن التى تحاول إرضاء الخليجى ورغباته للحصول على
مافى جيبه خلال وجوده فى مصر، بداية من الداعرة ونهاية بسمسار الشقق المفروشة
والخادمة التى تفعل كل شىء.. وهؤلاء هذه هى حياتهم.

والأخيرة: ظاهرة القرى التى احترفت جذب الخليجين والبحث عن بنات
لزواجهم، مقابل أى ثمن يدفع، حتى لو كان الهدف هو المتعة خلف ستار من

الشرعية.. هؤلاء بعض عناصر مؤسسة «الدعارة الحلال» التى نشأت فى مصر خلال الثمانينيات وهؤلاء أيضا هم أحد أوجه الحالة التى يدرسها هذا الكتاب.

ربما تكون المقدمة الطويلة السابقة هى أحد الاسباب التى نفسر بها نشوء ظاهرة «الدعارة الحلال» فى مصر.. وهى مقدمة تتعلق بالمصريين. لكن هناك سببا آخر له علاقة بالسائح العربى نفسه.

هذا السائح يملك وفرة مالية، ولأسباب كثيرة - بعضها يتعلق بالمصريين وبعضها يتعلق بالعرب - رسخ فى ذهن هذا السائح أن مصر واحدة من البلدان المفترض فيها أن تلبى رغباته، وأن تشبع نزواته، وأن ترضى غرائزه بحرية غير موجودة فى بلاده الأصلية. ومن هنا فإن هؤلاء كانوا يأتون إلى مصر يفكرون بنصفهم السفلى قبل أن يفكروا بنصفهم العلوى مثل أى سائح من جنسية أخرى.

وهكذا ولدت السياحة الجنسية، كما عرفنا من قبل سياحة الآثار، وسياحة البرارى، وسياحة العلاج..

فى هذا الاطار انقسم السائحون العرب إلى نوعين :

نوع فاجر، بادى الفجور، لا يخجل من أن يمضى فى الشوارع بحثا عن مايلبى متعته. ونوع فاجر أيضا، يستر فجوره، بالبحث عن الجنس من خلال إطار شرعى، فيما نسميه نحن بالدعارة الحلال.. وخلف ستار الزواج الوهمى! فى الحالتين كانت هناك مؤسسة.

واحدة للفجور العلنى والانفلات الأخلاقى غير الحاجل.. وهذه عناصرها موجودة فى أحياء شبه راقية، تبدأ من السماسرة وأصحاب الشقق والدعارات والخدمات وحارسى العمارات.. ولا تنتهى بالذين يرون كل هذا ومن مسئولياتهم أن يمنعوه، لكنهم صامتون.

وواحدة للفجور الشرعى الخجل، غير المفضوح، شبه السرى، والتى يتمثل زبونها فى السائح العربى الذى لا يريد أن يتورط فى قضية آداب، ولا يريد أن تعرف أسرته ماذا يفعل خلال أجازته فى مصر.. وهذه المؤسسة عناصرها تبدأ بالسماسرة والاب الذى يبيع

ابنته، والزوجة التى تقضى بعض الوقت فى رحاب «الدعارة الحلال»، والمحامى الذى يشرف على قانونية كل هذا.. ولانتهى بالمسئولين الذين يعرفون كل هذا ولايتحركون.

لقد كان هناك إتفاق جماعى ضمنى بين السائح والسمسار والزوجة والأب والدولة على أن تمضى «الدعارة الحلال» فى طريقها بدون اعتراض.. حتى لو تفاقم حجم المشاكل الناتجة عن ذلك فى كل يوم.

وقد تعرفت على هذه المؤسسة أول مرة فى غضون عام ١٩٨٦.

كنت لم أذل صحفيا فى بداية الطريق، أبحث عن نوع من الموضوعات اللاتئة للانتباه، حين وجدت نفسى داخل إدارة شرطة السياحة فى شارع عدلى، ليس فقط أمام تحقيق مثير، ولكن أيضا أمام مشكلة مجتمع قررت عديد من عناصره أن تتواطأ فيما بينها من أجل ممارسة «الدعارة الحلال».

لقد عرفت فى هذا اليوم أنه كما توجد دعارة واضحة فى شوارع المهندسين وشقق الزمالك وميادين حى الدقى.. توجد دعارة أخرى فى قرى الشرقية والجيزة والبحيرة.. والزبون فى الحالتين هو السائح العربى الذى يرفع سيفه الفسيولوجى على كتفه بمجرد أن يدخل صالة الجمر ك فى مطار القاهرة.

ومن المطار إلى احدى هذه القرى فى الحوامدية تتبعنا الرحلة، التى كان لدى شرطه السياحة - ولم يزل - علم كامل بها.. لكنها لا تقضى عليها وتركها تترعرع كل يوم.

البداية سائق تاكسى، أول عناصر مؤسسة «الدعارة الحلال»..

يركب السائح الذى سرعان ما يكشف للسائق عن رغبته فى قضاء أيام لطيفة فى القاهرة..

وخلال لحظات يتحول السائق المرتبط بشبكة كاملة إلى دليل للسائح فى عالم الزنا الموثق بقيود قانونية.. هكذا بدلا من أن تمضى السيارة فى طريقها إلى شقة مفروشة، أو فندق محترم حيث من المفترض أن يقضى السائح أجازته.. تمضى إلى طريق فرعى فى الاتجاه نحو قرية صغيرة تابعة لمركز الحوامدية.

ما إن تدخل السيارة إلى القرية حتى يفرك جميع أعضاء المؤسسة أيديهم.. فهذا هو زبون جديد قد وصل.

وفى بيت معروف وخاص، وكله أهل القرية كى ينوب عنهم فى البيع والشراء وتبدأ مراسم الضيافة، وتبدأ أيضا عملية التفاوض، على يد سمسار كبير يعرف كل شىء عن بنات ونساء القرية.

وقبل أن توضع مائدة الطعام لملء بطن القادم من رحلة طويلة يكون بعض من الإناث قد زار البيت، فيما يشبه عملية عرض غير رسمية للبضاعة على الزبون. وبعد أن ينتهى من الطعام، وقبل أن يغسل الزبون يديه - وهو عادة لا يفعل - يكون السمسار قد أحضر كتالوجاً فخماً، معبأ بالصور.

إنها صور البضاعة التى ستباع الآن بطريقة قانونية..

هذه فتاة فى الرابعة عشرة.. بكر.. هذه فى العشرين.. ممتلئة بالحوية.. وتلك فى الثلاثين.. ناضجة وتعرف كيف ترضى الرجل.. وهذه عاقر لاتنجب، ولن تترك خلفها آثاراً جانبية للدعارة الحلال.

هكذا تنصب سوق صغيرة للرقيق الأبيض. يختار الزبون منها ما يريد من بضائع.. قبل أن يكمل يوماً واحداً فى مصر.

حين يتم الاختيار.. يبدأ التفاوض.. ويتحول سعر الجنس فى اللغة الشرعية إلى «مهر».. وتتحول هدايا الزنا إلى «متعة».. وتصبح مكافأة نهاية الخدمة «مؤخر صداق».. وتصبح الدعارة زواجا.. ولكن بعيدا عن المأذون.

هنا يظهر عنصر جديد من عناصر مؤسسة «الدعارة الحلال».. وهو «المحامى» الذى يكتب عقود الزنا، ويضفى قانونية على جريمة الآداب، ويجعل للدعارة شرعية، فى إطار عقد عرفى.

وقبل أن يغادر السائح «الزبون» القرية بصحبة الزوجة والسائق الذى يوفر مكان الإقامة، تكون العديد من عناصر المؤسسة قد اقتسمت الأنصبة فى عملية بيع الرقيق التى تمت فى لحظات. فيحصل الأب على جزء يسير من المال، تأخذ منه الزوجة أقل القليل،

ويحصل السائق على «حسته».. ويتوزع الباقي بين المحامى وسمسار الزواج الذى تحول إلى تاجر رقيق.

هذه القصة تتم كل يوم تقريبا.. إن لم تكن تتم أكثر من مرة فى اليوم الواحد خلال شهور الصيف، حين تروج السباحة العربية، ومعها تروج الدعارة الحلال.. وتزدهر.

وقد ثارت فى ذهنى تساؤلات عديدة حول هذه الأوضاع المثيرة والغريبة، فحاولت أن أعر على إجابة شافية عنها داخل القرية.. فتجولت داخل أزقتها بعض الوقت على أمل أن أعرف السبب الذى يمكن أن يدفع عائلات بأكملها أن تدخل ضمن شبكة هذه المؤسسة غير الرسمية.

إن المكان لا يختلف كثيرا عن أية قرية مصرية أخرى.. فقط هناك نسبة أكبر من البيوت التى تم بناؤها بطريقة شبه عصرية، تعبر عن مدى الازدهار الحرام الذى عاشته القرية فى السنوات الماضية.. الطرق الرئيسية الموصلة إلى الطرق الكبرى مرصوفة.. لكن مظاهر الفقر والجهل المعتادة فى أى مكان من الريف المصرى ليست مختلفة.. وعلى الرغم من أن دكاكين القرية الصغيرة تباع أشياء قد لا تجدوها فى دكاكين أخرى : فساتين، أجهزة كهربائية، ألعاب أنارى» إلا أن هذا لاينفى مظاهر التخلف المعروفة: أسر ذات أعداد كبيرة، الكثيرون لم يدخلوا المدارس، فتيات صغيرات يتزوجن بمجرد الوصول إلى سن البلوغ، وآباء لا عمل لهم سوى الذهاب إلى حقول ذات مساحات صغيرة جداً فى صباح كل يوم.

ولقد فسر لى شاب درس فى كلية آداب جامعه القاهرة بعض الأسباب التى دفعت القرية إلى أن تسقط فى بئر الدعارة الحلال.. فحكى لى الكثير من يوميات أهل بلدته ، قال: هذه الظاهرة بدأت تقريبا فى حدود عام ١٩٨٢.

كان عدد كبير من أبناء القرية قد ذهب للعمل فى السعودية، وكان من عادة بعض الذين سافروا أن يصطحبوا فى أجازاتهم عددا من السعوديين الذين يعملون معهم، وخلال هذه الاجازات بدأت تتم بعض الزيجات التى كانت سرعان ماتنتهى بنهاية الاجازة.. أو بعد أشهر من عودة الزوج إلى بلاده.

ولم ينتبه أهل القرية إلى أنه صار لديهم عدد من المطلقات، وعدد من الأبناء الذين لم يشاهدوا آباءهم، وانتبهوا فقط إلى أن إتباع العرب يؤدي إلى بعض المكاسب.. وتزامن هذا مع إدراك عدد من أهل القرية أن «المتعة» يمكن أن تتحول إلى مهنة، وصناعة، عن طريق تحويل القرية إلى سوق رقيق.

هكذا نشأ السماسرة، وهكذا ونحت ضغط الفقر تم بيع الفتيات إلى السائحين العرب في إطار مؤسسة متعددة الأطراف، لكل طرف فيها غرض واحد فقط.. هو بيع الجسد.. بصورة مؤقتة.

وعن طريق هذا الشخص الذى حكى لى قصة نشأة سوق الرقيق فى القرية قابلت واحدة من إناث البلدة التى تزوجت أكثر من خمس مرات.. كانت قد أمضت فترة لانتقل عن ثلاث سنوات من العرض فى فاطرينات السوق.

اسمها «منى».. حين قابلتها كانت تحمل على ذراعيها طفلاً عمره نحو عام، أبوه اسمه «مطلق»، من مدينة جدة، قالت: عشت مع هذا الرجل شهراً واحداً فى المهندسين.. تزوجته بعقد عرفى، وسرعان ما عاد إلى أهله، دون أن يطلقنى، ولكنه دفع لأبى خمسة آلاف جنيه.

«منى».. لم تضع فى يدها أى نقود من حصيلة الزيجات الخمس، وكل الذى جمعته من عدد من زيجات الدعارة.. طفلاً، وبعض قطع من الذهب، وعدداً من الجلابيب التايوانية، وجهاز تسجيل أخذته من أحد الأزواج.

قالت: أبى فلاح عادى، هو الذى يوافق على كل زيجة، ربما يكون قد حصل على ٢٥ ألف جنيه من هؤلاء الرجال الذين تزوجتهم.. فى المرة الأولى دفعوا له عشرة آلاف جنيه لأننى كنت «بكراً»- ثم انخفض السعر فى المرة الثانية مباشرة إلى ثلاثة آلاف جنيه.

ورغم أنها تزوجت ذات مرة- من اثنين خلال شهر واحد إلا أنها ترى أنها بعيدة تماماً عن الحرام «لأنه زواج وكل شىء يتم فى الحلال».

والثير أن هذا يتم فى كل يوم.

الثير أيضاً أن الدولة تعرف ذلك.

والدليل هو عدد من القضايا التي تضبط من حين لآخر.
ومنها القضية التي حررت أوراقها تحت رقم ٢٠٩ / عام ١٩٩٥ فى نيابة البدرشين.
عدد المتهمين فيها خمسة.. كلهم محامون.

والتهمة: تسهيل الدعارة، التزوير فى محررات رسميه، والتحايل على القانون، من خلال تزويج فتيات مصريات لأشباه أثرياء عرب، بعقود زواج باطلة.
والتفاصيل لاتختلف كثيرا عما يدور فى القرية التى زرتها فى الحوامدية.

يأتى طالب الشراء إلى مكتب أحد هؤلاء المحامين الذين إختاروا لأنفسهم موقعا مميزا ومعروفا فى حلوان والطلب المعروف هو فتاة شابة من أجل المتعة ويسرعة يجد المحامى هذه الفتاة لأن لديه قائمة طويلة تضم أسماء محترفات الدعارة الحلال.. ويعقد المحامى عقد زواج عرفى باطل.. ويسعد الزواج بصفة «رسمى».. وتكون بالتالى أول جريمة قد اكتملت الأركان لأن القانون يشترط موافقه سفارة الدولة التى يتبنى لها الزوج قبل أن يتزوج فى مصر، حتى يكون هناك تأكيد قانونى من أن هذه الزيجة لن تكون غير دينية، إذ من الذى يضمن ألا تكون هذه هى الزوجة الخامسة، والنص الشرعى يؤكد على أربع زوجات فقط.

لا تأتى موافقة السفارة.

ولكن المحامى يعضى فى طريق تقنين علاقة الدعارة التى تكون فى بدأت فى إحدى الشقق المفروشة.. وسرعان ماتبدأ إجراءات رفع دعوى إثبات صحة زواج.. وبمجرد أن يحصل على ورقة مختومة من المحكمة تقدم فورا إلى الزوجين ويصبحان بالتالى فى حماية من القانون والاتهام فى جريمة آداب.

إن الواقع يقول: إن الزوج الأجنبى لا يقف أبدا أمام أى محكمة.

وكمثال فإن الدائرة ١٢ أجنبى فى محكمه الجيزة عرفت أشخاصا انتحلوا صفات الأزواج الأجانب.. وعرفت زوجة واحدة قدمت ثلاث دعاوى إثبات صحة زواج فى أقل من ثلاثة أشهر.. فى المرة الأولى قالت: إنها تزوجت فى يوليو ١٩٩٤ من زوج عربى، ووعد بتقديم كافة المستندات التى تؤكد هذا الزواج.. لكنه أخل بوعده. وفى المرة الثانية

بعد أيام رفعت نفس الزوجة دعوى أخرى، ضد زوج آخر، بعد أن غيرت عنوانها، وفى المرة الثالثة، بعد أربعة أيام من الزواج الثانى رفعت دعوى ضد زوج يعيش فى المهندسين وزعمت أنها لم تتزوج من قبل.

وفى كل القضايا الثلاث كان محرر العقد محامياً واحداً.

فى قضية أخرى، وعن طريق محام واحد تزوجت سيدة من ثلاثة أشخاص فى ٣ إبريل، ١٩ يونيو، ١٨ يوليو من عام ١٩٩٤.. أى بدون أدنى اعتراف بالنص الشرعى لشهور العدة.

وفى قضية ثالثة رفعت زوجة واحدة، عن طريق محام واحد، خمس دعاوى إثبات صحة زواج حملت الأرقام «٥١٩، ٤١٨، ٣٧٢، ٣٢٧، ٤٤٢» المصدر روز اليوسف - ١٩٩٥/٩/٤.

هنا نسجل نقطتين :

الأولى: إن بعض الناس الذين يقعون فى شباك هؤلاء المحامين قد يكونون بالفعل أسرى خدعة، بعد أن يوهمهم المحامى أنه سوف يحصل على موافقة سفارة السائح.. ثم لايفعل.

الأخرى: هى أن القانون نفسه يعطى فرصة لممارسة «الدعارة الحلال»، حين يشترط للتقاضى عن فارق السن بين زوجة مصرية وزوجه أجنبية أن يوضع باسم الزوجة فى الشهر العقارى ما يثبت أن الزوج سيدفع لها عشرة آلاف جنيه حماية لحقوقها إذا ماكان الزوج يكبرها بـ ٢٥ سنة كاملة.. والذى يحدث عادة هو أن المحامى يضع إيصالات وشيكات وهمية بدون رصيد.

وإذا كانت ظاهرة «الدعارة الحلال» بين المصريات والباحثين عن المتعة -العرب- قد صارت واحدة من نماذج الانفلات الخلقي والاجتماعي، كنتيجة لمشاكل اقتصادية عديدة، فإن نفس الأسباب دفعت المجتمع فى مصر لأن يقبل فى كثير من الأحيان أن تتم زيجات «الدعارة الحلال»، بينما هو يغمض عينيه «تحت ستار الزواج العرفي».

إنها مشكلة اجتماعية خطيرة، أسبابها فى الأغلب هى أن هناك طرفين يرغبان فى

الزواج فى غياب رضاء المجتمع، أو أن هناك شخصا يريد أن يضيف الصفة القانونية على علاقة غير شرعية مع أنثى من نوع خاص.

وإذا كان المجتمع الشيعى فى إيران قد ارتأى أن يعالج هذه المشكلة بالزواج الذى يطلق عليه اسم «زواج المتعة» فإن المجتمع السنى فى مصر قرر أن تكون الصيغة الخاصة به هى صيغة «الزواج العرفى» الذى يتميز بأنه لا يحظى بوضع قانونى وإن كان يتمتع بوضع دينى شرعى.

وإذا راجعت الفصل الأول يمكن أن تعرف أن المجتمع الإيرانى يمنح الصفة الدينية والقانونية لزواج المتعة فى نفس الوقت الذى يحجب عنه حالة الرخاء المجتمعى وإذا عدنا إلى مصر وقبل أن نخوض فى تفاصيل أوضاع ٢٠ ألف حالة خلال كل سنة- هى عدد الزيجات التى تتم بالطريق العرفى- فإننا يمكن أن نرصد الوضع القانونى لهذه الزيجات.

يقول المستشار عبد المنعم إسحاق- نائب رئيس هيئة قضايا الدولة «الاهرام- ١٩٩٦/٣/١»: متى اكتملت أركان الزواج وتوافرت مقوماته التى إستوجبتها الشريعة الإسلامية فإن ذلك يؤدى على سبيل الحتم واللزام إلى حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر، سواء تم توثيق العقد عند الزواج لدى المأذون المختص أم لم يتم (!).

بيد أن أمر توثيق الزواج يصبح غاية فى الأهمية عندما تنور المنازعات بين الزوجين، وتضطر الزوجة للجوء إلى القضاء للمطالبة بأى حق من حقوقها الناشئة من العلاقة الزوجية، وفى هذه الحالة إما أن يقر الزوج بوجود العلاقة أو ينكرها، فتمضى المحكمة فى نظر دعوى الزوجة لتصدر فيها حكمها بما تراه. وإما أن ينكر العلاقة ويجعلها وعندئذ يطالب القاضى الزوجة بضرورة تقديم وثيقة زواج رسمية وإلا حكم بعدم سماع دعواها إعمالا لما تقضى به المادة «٩٩» من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية.

وقال المستشار عبد المنعم إسحاق: لئن كان إنكار علاقة الزوج يؤدى إلى عدم سماع دعوى الزوجية فى الحوادث الواقعة من أول أغسطس عام ١٩٣١ طالما كانت ليست ثابتة بوثيقة زواج رسمية إلا أنه من الأصول المقررة فى فقه الشريعة الإسلامية أن نسب الولد يثبت من أبيه بالفراش، وهو الزواج الصحيح وما يلحق به استنادا إلى قول رسول الله ﷺ

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».. بمعنى انه إذا زنت الزوجة مع رجل غير زوجها وأنجبت منه ولدا، فإن هذا الولد لا يثبت نسبه للرجل الزاني، بل يثبت نسبه شرعاً للزوج طالما أن هذا الزوج لم ينكر بنوته ونسبه إليه، ويثبت انه جاء وليد زنا زوجته مع شخص آخر.. باعتبار أن الزنا لا يثبت نسبا، إذ هو ليس بفراش صحيح ولا شبه فراش.

ومن المقرر في فقه الأحناف أنه لكي يكون الزواج صحيحا له وجود يحترمه الشارع ويرتب عليه آثاره الشرعية أن تكون المرأة محلا لعقد الزواج عليها بالنسبة لمن يريد واجها، وإن يحضر زواجهما شاهدان.

وكما يثبت النسب بالزواج الصحيح، فإنه يثبت أيضا بما يلحق بهذا الزواج الصحيح، فالمخالطة بناء على عقد فاسد، أو به شبهة، لأن الفقه الحنفى يقرر أن الزواج الذي لا يحضره شهود زواج، وإن كان عقداً فاسداً إلا أنه تترتب عليه آثار الزواج الصحيح، ومنها النسب بالدخول الحقيقي.

وربما يستخدم الزوج في دعوى إثبات النسب المادة ٩٩ حول عدم سماع دعوى الزوجية لعدم وجود وثيقة زواج رسمية، لكن محكمة النقض قالت في هذا السياق: دعوى النسب متميزة عن دعوى إثبات الزوجية، أو الإقرار بها، إذ لا تأثير لهذا المنع من السماع على دعوى النسب التي مازالت باقية على حكمها المقرر في الشريعة الإسلامية، وإن النسب كما يثبت بالبينّة والإقرار يثبت بالفراش الصحيح، وهو الزواج الصحيح، وملك اليمين وما يلحق به، وهو المخالطة بناء على عقد فاسد أو بشبهة.

وبناء على ذلك يحق للزوجة في الزواج العرفي أن تثبت علاقة البنوة ونسب طفلها لأبيه، وتوافر الفراش الصحيح بينهما بجميع الوسائل المقررة للإثبات ودون أن تطالب في كل ذلك بوجود تقديم وثيقة زواج رسمية.

هذا هو الرأي القانوني بشكل عام.

ومن هنا فإننا نضع أيدينا على طبيعة مشكلة الزواج العرفي في مصر.. وهي تتمثل في النقاط التالية:

١- هناك شروط إسلامية للعقد لا ينفىها عدم وجود وثيقة زواج.

٢- يمكن أن يكون الزواج صحيحا إذا لم يكن هناك شاهدان حسب فقه الأحناف.

٣- المحاكم لا تستمع دعوى الزوجية إذا لم يكن هناك عقد.

٤- الزواج العرفى عقد فاسد، لكنه يثبت البنوة.

إذن هناك تناقض وفر البيئة الملائمة لإنبات الدعارة الحلال.

وفوق كل هذا هناك الظروف الاجتماعية التى دفعت للجوء إلى هذه الصيغة فى المجتمع، وفى هذا السياق سوف نورد مزيداً من النماذج التى تثبت أن المشكلة ليست مقصورة على مرحلة سنية معينة، أو أبناء طبقة دون غيرها، أو فئات محددة.. ولكنها منتشرة فى كل جوانب النظام الاجتماعى.

إن بعض الرجال لا يقبلون إشباع المتعة الجنسية عن طريق الزنا، وفى نفس الوقت لا يوافقون على إعلان الزواج، وبعض النساء يخشين من الفضائح، وبعضهن الآخر يرفضن الزنا، وبين الاثنين توجد النماذج التى تقبل «الدعارة الحلال»، لاسيما فى ظل وجود موانع اجتماعية تدفع بعض العنصر إلى إخفاء زواجها.

فى مجله روز اليوسف «العدد ٢٦ / ٢ / ٩٦»، حدد أحمد رشدى المحامى النماذج الراضية دائماً فى الزواج العرفى.. بعدة أنواع.. قال : إن الرجل يلجأ دائماً إلى هذا الحل لأنه يريد زواجاً مؤقتاً، وليس دائماً، وكل لديه سبب.. مثلاً لأنه يريد الاحتفاظ بشروته لأولاده دون شريك، ولأنه يرغب فى الاستمتاع بامرأة صغيرة السن بعد أن تعب حتى وصل إلى مرحلة الثراء وهو الأمر الذى يتضح من أغلبية دعاوى الزواج العرفى والتى دائماً ما يكون بطلها رجلاً ثرياً.

فى هذه الحالة لا يريد الرجل أنه يعطى هذه المرأة المجهولة حقوقها الشرعية، كالتفقة أو غيرها.. وكمثال فإن أحد رجال الأعمال وقف يواجه ابنائه فى إحدى محاكم الأحوال الشخصية يقول: «أنا لسه فى عز شبابه، والدتكم كبرت فى السن، ولا أريد أن أتى لكم بزوجة أب، وأخ يقاسمكم الميراث، لهذا تزوجتها عرفياً، واشترطت عليها عدم الإنجاب»

فى هذه القصة.. كانت المحكمة قد رفضت أن تمنح الزوجة ماتصورت أنه حقها من

هذا الزواج، وفي نفس الوقت كان هناك لوم شديد يعانیه الزوج من أسرته لإصراره على هذا الأمر.

وبالإجمال نلاحظ مايلي:

- غرض الزوج من الزواج هو الاستمتاع فقط.

- لا يريد الإعلان عنه، ولا يريد الإنجاب، ويتعامل مع المتزوجة منه عرفيا بمنطق أنثى الجنس فقط.

- المحكمة لا ترى هذا زواجا قانونيا.

- وفوق كل ذلك الأبناء يرفضون تصرف الأب.

وبالتالي نحن أمام علاقة شرعية، معترف بها دينيا، مرفوضة قانونا، وملفوظة اجتماعيا، وفوق كل هذا هي ليست سوى تحايل من الزوج على أن يغرق في بئر الدعارة.

نعود إلى المحامي أحمد رشدي الذي قال: في حالات أخرى يلجأ الرجال- بعضهم- إلى العقود العرفية ظنا منهم أنهم بذلك ينجبون الزنا، وبالتالي يكررون حالات الزواج العرفي، أكثر من مرة، وكلما أعجبته امرأة، لأن الأمر لا يكلفهم سوى مبلغ من المال يعطونه لكل زوجة عندما يتخلصون منها.

إن بعضهم أيضا يلجأ إلى هذا الحل لأنه يريد أن يحافظ على وضعه الاجتماعي والسياسي والديني.

وقد يصل الأمر إلى حد اللجوء لهذا النوع من الزواج لإخفاء عملية تغيير للدين تمت سرا، كالمسيحي الذي أسلم، ثم تزوج من مسلمة عرفيا، لكن أمره اكتشف حين رآه أحد أبنائه صدفة، وراقبه، حتى وصل إلى الشقة التي يعيش فيها أبوه.. وصار الأمر فضيحة.

وشبهه هذا ما حدث لرجل أعمال في الخمسين من عمره تزوج أرملة عرفيا إلا أن أخاها رآهما بالصدفة، فتتبعهما إلى الشقة وهناك اعتدى الشقيق على الزوج بسكين.. وظهر عقد الزواج العرفي في قسم مصر القديمة.

إن الأمر يصل في بعض الأحيان إلى حد إيلاخ النيابة بجريمة آداب بسبب اشتباه الذين لا يعرفون شيئا عما يحدث.. فتخرج العقود العرفية.

والواقع أنه بخلاف الحالات الاستثنائية بين بعض الباحثين عن المتعة أو الخائفين من أسرهم يمكن أن نرصد فئات أكثر إقبالا من غيرها في مصر على هذا النوع من الزواج.. وهم:

١ - الزوجات المترملات الراغبات في الزواج بدون أن يفقدن المزايا الخاصة بسبب الزواج.

٢ - الشابات والشباب الساعون للعلاقات الجنسية شبه الشرعية.

٣ - الداعرات اللواتي يحاولن أن يفرضن شكلا قانونيا على مايقمن به.

٤ - الفنانات والمشاهير.

ولنبداً بالفئة الأولى:

لقد قال الدكتور عبد الصبور مرزوق لى في حديث خاص حول هذا: إن سبب ظهور هذا النوع من الزواج في مصر يعود إلى سبب قانونى أدى إلى حرمان الأرملة من معاشها إذا ماتت زوجة.. ومن هنا فإن بعضهن يتزوجن فى شكل عقد عرفى، وبحيث يعرف الأهل والجيران.. وبدون أن تعرف الحكومة شيئا عن هذا.. وبدون أن يصل أى خبر لوزارة التأمينات الاجتماعية. أضاف: لقد تحدثت مع الدكتور آمال عثمان وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية حول هذا.. وقلت لها: إنه لابد أن يبقى المعاش مستمرا حتى يعلن الناس عن علاقاتهم فى شكل سليم. ولأن هذا النوع من الزواج جعل الرجال يستهترون بالنساء.

ويقول أسامة سلامة فى تحقيق صحفى بعنوان «الأنثى المعلقة زواجها زنا وطلاقها ابتزاز»: هذه هى الحالات القليلة التى تطلب فيها المرأة ان يكون زواجها عرفيا برغبتها الخاصة، حتى تتحايل على القانون، فالأرامل يردن الاحتفاظ بالمعاش، وكمثال فإن السيدة (هـ) تزوجت من أحد أصدقاء زوجها، وفضلت أن يبقى الامر عرفيا حتى تتمتع بمعاش زوجها الراحل «٦٥٠ جنيه شهرياً» لكن أمرها اكتشف حين علمت الزوجة الأولى للرجل بالامر، وأبلغت إدارة التأمينات، مما اضطر الأرملة للطلاق.

وفى حالات أخرى: تريد الزوجات الاحتفاظ بالأطفال والشقة، بدلا من أن يأخذها

المطلق، أو أهل الزوج إن كان قد مات.. وفى ذلك تروى قصة محامية تزوجت عرفيا لكى تحتفظ بأطفالها، لكن القصة شاعت بين زملائها، فأقام الزوج السابق دعوى يطلب فيها حضانة أطفاله.. وأخفت الزوجة عقد الزواج العرفي.

والسؤال هو: إذا ما أنكرت هذه الزوجة أمام المحكمة أنها تزوجت عرفيا ماهو الاسم الذى يمكن أن يطلق على هذه العلاقة؟

- والآن إلى الجزء الثانى من أجزاء مؤسسة «الدعارة الحلال».. أو «الدعارة المقدسة».
إنه الجزء الخاص بالشباب الذى يلجأ إلى هذه المؤسسة السرية لأن المؤسسة العلنية لم تلب له احتياجاته.

ولأن الشباب هم الأغلبية ولأن هدفهم ليس الكسب، سواء كان كسبا عن طريق التحايل على القانون أو كسبا عن طريق تقاضى ثمن لهذا الزواج، فإن هذا فى رأى أهم جزء فى ذلك الكتاب. ليس فقط لانه معنى بهموم يومية ومشكلة اجتماعية وأزمات أسرية وتناقضات دينية.. ولكن لانه أيضا يؤكد حقيقة تورط كافة الأطراف فى الوصول إلى هذا الوضع المأزوم.. من الشباب إلى الأسر التى يتتبعون إليها.. ومن المجتمع إلى الدولة التى تديره.. ومن الشيوخ إلى الفتاوى التى لا يتوقفون عن إصدارها.
ولنتعرف معا على ملامح الأزمة.

فقد نسبت مجله «المجلة» - العدد ٨٤٩ - إلى الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء فى مصر أنه قال: إن هناك ٤ ملايين شاب وفئة تخطوا سن الزواج الطبيعى، وجاوزوا عامهم الثلاثين، وقالت: «إن من بين الرقم ٢٥ مليون فتاة تجاوزن بالفعل سن الزواج وأن من هم فى سن الخطبة والزواج - أى بين سن ١٦ و ٣٠ سنة - يتجاوزون ١٢ مليون شاب وفئة».

هذه الأرقام مفزعة للغاية.. مرعبة.. تعكس بالتحديد طبيعة أزمة الزواج فى مصر. خاصة إذا عرفنا أن دراسة خاصة للمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية أكدت انخفاض معدلات الزواج إلى ٩٧ فى الألف (١).

وإذا كان المشرع المصرى قبل سنوات عديدة أقر بأنه لا يجوز زواج الشاب قبل عمر

الثامنة عشرة، وزواج الفتاة قبل عمر السادسة عشرة.. إذا كان هذا هو رأيه فإن تلك إشارة إلى عمق الأزمة، التى تؤكد التناقض الواضح بين الذين تخطوا سن الثلاثين دون زواج والذين يفترض القانون أن من حقهم الزواج.. إنه التناقض بين البلوغ الجنىسى والبلوغ الاجتماعى.

وهو تناقض واضح ويعنى أن المجتمع يعاني من قصور اجتماعى أكيد، وعجز يقينى عن أن يلى الحاجات الجسمية لأعضائه إذا ما ألحت عليهم.
ومن هنا يحدث الانحراف.

من هنا يحدث التمرد على مؤسسات المجتمع التى لم تستطع أن تقدم الحل.. ويكون الحل هو الانضمام إلى مؤسسات بديلة. خلقها الظرف الاجتماعى والاقتصادى السيء.. ورعاها الإبداع العقيدى الذى وفر حلا لأزمة طاحنة.. رغم أن هذا الحل مرفوض اجتماعيا فى المؤسسة التى حدث التمرد عليها.

ليس غريبا فى هذا الاطار أن نعرف أن فى مصر ١٠ آلاف عقد زواج يتم فى قسم الشرطة كل عام- هذا رقم يسأل عنه الشيخ محمد طاهر رئيس جمعية المأذونين الشرعيين وقد صرح به لمجلة روز اليوسف فى عام ١٩٩٥- وهو رقم يعكس حجم الهروب من المؤسسة الأسرية المصرية ومن تقاليدھا فى الزواج. ويعكس أيضا قبولها القسرى- بقوة البوليس- لعشرة آلاف حالة زواج فى كل عام دون رغبتها، بعد أن رفضتها.

وخطورة هذا الرقم مؤكدة لأن الحالات التى تنزويج كل عام فى قسم الشرطة - أى بعيد عن مؤسسة الزواج التقليدية- من كل نوع.. ومن كل فئة إجتماعية..

الامثلة التى ننقلها عن تحقيق صحفى بنفس المجلة ١٠ آلاف زواج فى قسم الشرطة.. تؤكد هذا

- ابنة عضو فى هيئة تدريس فى كلية الطب أحبت زميلا لها.. تقدم لها رجل أعمال للزواج.. رفضته فقرضته عليها امها.. فكرت الابنة فى أن تطلب من زميلها أن يعتدى عليها ليتم الزواج بطريقة الأمر الواقع.. رفض.. وكان الحل الزواج فى قسم الشرطة.

- فتاة حاصلة على بكالوريوس سياحة وفنادق.. ابنة صاحب صيدلية كبيرة.. أبوها أبلغ عن اختفائها فى قسم قصر النيل.. اتضح أن الابنة فى شقة موظف شاب بالصيدلية تخرج فى معهد «ستين».. وتبين أن هناك قصة حب عمرها ثلاث سنوات.. عرف الأب.. وتم الزواج فى قسم الشرطة.

- عامل فى التليفزيون- شديد القسوة على ابنته.. عطل زواجها من خطيبها ابن الجيران.. اكتشف فجأة أنه لايعجبه.. الابنة أبلغت قسم شرطة إمبابة.. وعقد القران فى القسم.

- ابن شقيق محافظ سابق للقاهرة.. رفض عامل فقير أن يزوجه ابنته لأنه أغنى منهم.. قال: ماذا أفعل لو طلبت ابنتى الطلاق ونحن ضعفاء؟. عرض مأمور قسم باب الشعريه أن يضمن هو حقوق الفتاة.. ووقع العريس على مؤخر صديق ١٥ ألف جنيه.. وتم الزواج فى قسم الشرطة.

لا يوجد مبرر لإضافة مزيد من الأمثلة والنماذج.

فى هذا الكفاية، وفيه أيضا تأكيد على حمومية المشكلة، وعلى غطرسة أدوات مؤسسة الزواج التقليدية.

لكن الاخطر هنا هو أن نعرف أن كثيرا من حالات الزواج تلك التى تتم بالقوة، وفى حضور شهود من الصولات والعساكر، هى فى أغلب الأحوال حالات زواج عرفى تمت فى السر.. ووجدت نفسها فى العلانية بعد أن تآزمت الأوضاع فى الخفاء.. ويقول محمد طاهر رئيس جمعية المأذونين الشرعيين: «بعض الحالات تتم لأسباب لها علاقة برفض الأسرة، والبعض الآخر لأسباب تتعلق بواقعة اغتصاب أو حمل سفاح، لكن الغالبية والأخطر والأكثر انتشاراً وبصورة مذهلة هى أن الفتيات يذهبن إلى قسم الشرطة للحصول على أى توثيق لعقد زواج عرفى يرفض الشاب أن يعلنه.. أو يحاول التبرؤ منه».

وفى واقع الأمر لا يوجد رقم واضح ومحدد عن حجم هذه الزيجات السرية فى مصر.. وبخلاف تقدير محمد طاهر بأنها نحو ٢٠ ألف حالة سنويا.. فإنه لا يوجد إحصاء رسمى لأن المؤسسة البديلة بطبيعتها سرية.. شكلها عرفى.. وإطارها عرفى.. وأدواتها عرفية.. أى أن كل شىء فيها يتم بطريقة أقرب إلى «الشفهية»!

ولأنه لا يوجد إحصاء فإنه لا توجد أيضا دراسة.. ومن هنا فإننا نعاني للغاية خلال تعاملنا العلمى مع هذا الموضوع.. فكل جوانب هذه الظاهرة خالية من التوثيق، طالما أنها لم تصل إلى قسم الشرطة.. أو إلى المحكمة بسبب نزاع حول أمور هذا النوع من الزواج.

والتي تصل إلى المحكمة هى غالبا حالات زوجات يبحثن عن شهادة نسب طفل، أو حالات فتيات رضين بأسلوب الزواج العرفى كغطاء للدعارة العربية في القاهرة.. أما الحالات التي نحن بصدها الآن، فهي الأخطر والأهم لأنها الأكثر انتشارا والأكثر تعبيراً عن حجم المشكلة، فليس لها صدى بعيدا عن غرف الزواج السرى سوى فى برامج الاذاعة وصفحات المشاكل الأسرية فى الجرائد.

فى هذا السياق أجدنى أميل إلى الثقة فى تحقيق نشر مسلسل فى مجلة «صباح الخير» للصحفية سهام ذهنى «يناير ١٩٩٣».. وقد اختارت هى لهذا التحقيق عنواناً يعبر عن الأزمة هو «طلبة وطالبات فى فراش سرى» وقالت: إنها كارثة أسرية واجتماعية خطيرة أن يقرر طالب الزواج سرا فى غفلة من الأسرة والمدرسة.

وبالإجمال فإن هذا التحقيق الذى ناقش الظاهرة مستعينا بعدد هائل من حالات الزواج العرفى كان ثائرا على الشباب قبل أن يصب نقمته على المؤسسة التقليدية للزواج فى مصر، وكان مهتما بالبعد الاخلاقى للظاهرة قبل أن يقرر الخوض فى تفاصيل الابعاد الاجتماعية.. وربما شعرت كاتبة التحقيق بهذا.. فدفعها هذا إلى أن تقول: «هل كنت متجنبة على مشاعر الشباب؟ هل نسيت وأنا أكتب بثورة ضمنية اننى كنت يوما فتاة تحلم بفتى الاحلام، حتى تضمنت سطورى دون أن أشعر إشارات تدين استسهال الشباب لكل أمور الحياة بما فيها الزواج؟»

فى الواقع كان هذا هو ما حدث.

وفى الواقع أيضا فإن عديداً من المعالجات الصحفية التى تعاملت مع الموضوع كانت دائماً ما تستخدم أدوات المؤسسة التقليدية فى تقييم ما فعلته المؤسسة البديلة.. وبالتالي فإنه غالبا ما يحدث التحيز، وغالبا ما يحدث الهجوم، وغالبا ما يتم التعامل مع الزيجات السرية بين الشباب على أنها جناية، بدون توجيه أصابع اتهام حقيقى للمجتمع الذى أدى إلى هذه الحالة.

وبشكل خاص أميل هنا إلى أن أتعامل مع مثل هذه المعالجات على أنها «مادة خام» قصص وحكايات ونماذج ضعيفة من مؤسسة الزواج السرى، وجدت طريقها إلى العلنية بشكل أو بآخر.. ومن هذه «المادة الخام» يمكن أن نعرف مزيداً من التفاصيل عن طبيعة ما يحدث فى هذه المؤسسة ودوافعه.

واليكم القصص التى لاتخلو من دلالة.

إنها مثل غيرها.. صبية فى أسره متواضعة الحال.. تعيش فى حى شععى.. عدد أفراد الأسره كبير ويحتاج لشقة لها أربعة أضعاف مساحة المكان الذى يعيشون فيه فعلاً.. الأب موظف عادى بسيط.. والأم ربة بيت تكاد تكون ساذجة.. وقد كان بطل القصة الذى سيصبح زوجاً فى السر من نفس البيئة وله نفس الأوضاع الاجتماعية.

اللقاء تم فى مكتب تدريب على الآلة الكاتبة.. فقد كانت طالبة فى الصف الأول الثانوى «تجارى».. وهو موظف فى المكتب.. كانت تنتظر كثيراً حتى تجد مكاناً خالياً يمكن أن تتدرب فيه.. وكان ان اقترح عليها ان تمنحه هذا الوقت فوافقت على الخروج معه فى أحد الكازينوهات المتواضعة.

ونمت قصة الحب، وتحولت إلى علاقة زواج عرقى، مكانها شقة خالة الشاب التى كانت تعمل مع زوجها فى بلد عربى.

وتخرجت من المدرسة.. وهو أيضاً.. لكنها لاحظت أن الزيجات العرفية التى تمت بين أصدقائها لم تكتمل - الغالبية انتهى بالطلاق.. والبقية فى الطريق إليه.. وقد كانت هى أيضاً - بعد أن نضجت مشاعرها وأحلامها - تبحث عن طريقة للوصول إلى نفس الحل.. كانت تريد أن تحصل على زوج دائم ملائم، لا يعانى، ولا تفرض عليه الضغوط الاجتماعية أو ضاعاً معقدة.

وكان أن رفض هو الطلاق.. وكان أن أبلغت قسم الشرطة.. لكنها بدلاً من أن تبلغ الضباط اختارت أن تعرض مشكلتها على المسئولة الاجتماعية فى القسم. والتى بدورها أنهت قصة هذا الزواج السرى بضغوط مختلفة.. بعضها معنوى: «انت عندك اخوات بنات.. وبعضها مادي:» انت متهم باستغلال حدث لأنك تزوجت من فتاة فى السادسة عشر دون علم وليها.

وهذه ليست قصة.. وإنما رواية قالها شاب فى مدرسة ثانوى مختلطة- هدم الزواج العرفى عواطفه.. قال: إن الفتيات يتعاملن لأن مع الاحاسيس بتهريج.. بياحية.. بلاخجل.. وفى مدرستى كنت أهميم حبا بفتاة دون أن أفصح عن حبى.. ثم صدمت.. عرفت أنها تزوجت من أحد الزملاء عرفيا.. ثم طلقها.. وصارت متعددة العلاقات.

لم تكن وحدها فى المدرسة، كان هناك تسع غيرها حوامل - كلهن غير متزوجات رسميا. ولهذا فإننى لم أعد أثق بأى فتاة.. ولم أعد أثق ببيكاراة أى فتاه.. إذ يمكنها ببساطة أن تزيف هذه الحقيقة الصحية.. ولم يعد من الممكن أن أعثر بسهولة على فتاة لم يسبق لها إقامة علاقة او تزوجت عرفيا من أحد الشباب فى النادى والمدرسة.

قصة ثالثة..

كانت كلما سمعت عن هذا الأسلوب فى الزواج-العرفى - لانتوقف عن الهجوم عليه.. كانت تقول: مالى الذى يدفع اثنين يجبان بعضهما إلى الزواج فى السر.. وكانوا إذا تحدثوا معها عن الظروف قالت أية ظروف تلك التى يمكن أن نعوق علاقة حب- ومن هى هذه المجنونة التى تقبل أن تعيش فى الظل.

لقد ظلت تقاوم حتى قابلت أحد رؤسائها فى العمل.. إنه متزوج من احدى زميلاتنا فى الشركة، ولديه ولد و بنت.. وعمره أكبر منها بعشرين سنة.. لكن العلاقة تطورت خاصة أنه كان يعاملها برقة شديدة. يستشيرها فى كل شىء.. ولا يعمل إلا معها.

وقد حذروها منه: «إنه دغجوان خطير»..

وكانت تسخر من هذه التحذيرات وتهكم عن يقولونها إلى أن وجدت نفسها وقد تزوجته عرفيا. عليها أن تعيش بثلاث شخصيات متناقضة.. : هى زوجة السر فى فراش شقة مفروشة. والزميلة فى العمل.. والفتاة التى عليها أن تختار عريسا ملائما لأنها وصلت إلى سن الزواج.

وحين واجهته كان يرى ان معركته مع زوجته وأولاده أصعب وأخطر من المعركة التى تواجهها هى على ثلاث جبهات.. وانتهى الزواج العرفى.

قصة رابعة وأخيرة..

إن ليلى كائى مطلقة شابة، كانت تبحث عن زوج يستر مابقى من آلام الأيام.. وكان هو رجل أعمال متزوج ولديه أسرة وأطفال.. تسبقه سمعته كرجل غارق فى العلاقات النسائية.. ورغم أن أسرتها رفضت الأسلوب البديل إلا أنهم قبلوا فى النهاية أن تزوج بهذا السلوب.. وتم الزواج بموافقة الأسرة عرفيا.

كان عليها بعد فترة أن تواجه نظرات قاسية فى العمل حين أدرك زملاؤها أنها حامل.. وكان الحل الذى فرضه هو عليها أن تأخذ اجازة بدون مرتبا لمدة عام.. وقد وافقت على أمل أن يصبح الطفل القادم رابطا قويا بينهما، لكن هذا لم يحدث.. وبعد أن جاء الطفل.. أخرج الزوج آخر أوراقه، وأعلن الانفصال.. لأنها كشفت لإحدى زميلاتهما عن زواجها العرفى.

إن المؤشرات الواضحة فى هذه القصص، التى توجد آلاف غيرها، تكشف عن عدة ملامح لصورة المؤسسة الحديثة والبديلة للزواج فى مصر يمكن أن نلخصها فيما يلى:

١- إنه لا يوجد إطار عمرى محدد يمكن القول أن عنده يلجأ الناس فى مصر لحل خاص من المؤسسة البديلة.. لأن هناك حالات زواج عرفى بين مراهقين.. وهناك أيضا حالات زواج عرفى بين من هم أكبر.

٢- إنه لا يوجد إطار يبنى خاص يمكن القول انه يقتصر على فئة معينة فى حدوده.. فالظاهرة منتشرة بين كافة الفئات والطبقات- بين الأغنياء والفقراء- وبين المثقفين وضعاف المستوى التعليمى.

٣- أن العذرية لم تعد شرطا لدخول هذه المؤسسة.. فكثير من زبائننا عذارى، وكثير من زبائننا غير ذلك.. والظاهرة تشمل فتيات لم يسبق لهن الزواج، ومطلقات، وأرامل..

٤- إن المؤسسة قد تكون غطاء للهروب من قيود المؤسسة القديمة للزواج، ولكنها فى نفس الوقت تكون غطاء للإباحية والباحثين عن العلاقات المتعددة، بدون ضغوط خاصة، وبحيث يتوفر إطار دينى ملائم لما يمكن أن يحدث بدون ورقه الزواج العرفى.

٥- إن الدعاية المضادة والمستمرة منذ سنوات ضد نظام الزواج العرفى- المؤسسة البديلة

للزواج فى مصر - لم تعطلها، وأن الظروف الاجتماعية والاقتصادية تدفع كثيرات وكثيرين إلى الارتقاء فى أحضان هذه المؤسسة.

٦- إن الانثى هى الخاسر الأول حين تنهار أركان الزواج العرفى، وأن الرجل لا يعانى من متاعب إلا إذا فرضت عليه ضغوط صارمة.. وأن الانهيار عادة ما يحدث إذا علم أحد الأطراف المؤمنين بالمؤسسة القديمة، فيتدخل كى يفرض قواعدها على من رفضوها من الأصل.

هذه هى النقاط التى نراها- مؤقتا- فى هذه الظاهرة.. غير أننا نتوقف كى نستعين بعدة شهادات، نقلت هى الأخرى من معالجات صحفية درست الظاهرة فى ظل غياب دراسات اجتماعية موثقة.

إن الدكتورة نجوى حافظ الباحثة فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ترى أن السبب هو الخلخلة الموجودة فى المجتمع وعدم وجود تقارب أسرى بين الأبناء والآباء..

بحيث أصبح البيت مكاناً للقاء أكثر منه مكاناً للشعور بالصدقة والأخوة.. وهو ما يودى إلى مواقف شاذة وقرارات مندفة يتخذها الشباب ودون استشارة الأب والأم.

إنها ترى كذلك أن هذا نتيجة طبيعية للمنطق المادى الذى يسود العلاقات واستغراق الوالدين فى البحث عن مزيد من الدخل، وهو ما أدى إلى تباعد أفراد الأسرة، فى ضوء ضعف القيم، وضعف التدريب على اتخاذ قرار سليم.

إنه رأى رافض للخروج عن أسس المؤسسة التقليدية للزواج.

وهو لا يختلف كثيراً عن رأى آخر للدكتور يسرى عبد المحسن أستاذ الطب النفسى بجامعة الأزهر: « هناك أسباب نفسية تدفع إلى هذا، وأبرزها ظروف المجتمع الحالية التى تدفع الشباب إلى أن يفعل أى شىء كى يحصل على حقوقه المشروعة، وأبرز هذه الظروف هى افتقاد الحرية الاجتماعية الحقيقية للتعبير عن رأى الشخصى داخل الأسرة الواحدة، وعدم الاختلاط بين الجنسين، وتعدد المشاكل الزوجية، وسوء الحالة الاقتصادية التى تعوق إتمام الزواج العلنى وما يترتب عليه من مسئوليات والتزامات.. خاصة المسكن».

ورغم هذا فإنه يرى: «ان هذا اسلوب خاطىء يسىء إلى المجتمع، ويتسبب فى انحدار قيمه ومبادئه.. ولهذا فإنه محكوم عليه بالفشل قبل أن يبدأ، لأنه ينافى المضمون الحقيقى للزواج وهو العلانية».

والواقع إن هذه هى أغلب آراء العلماء الذين يطلب رأيهم فى الموضوع لكنتى أثناء بحثى هذا فى أوضاع المؤسسة البديلة للزواج صادفت- رأيا مختلفا، صاحبه هو كريمان حمزة مديعة التليفزيون المحجبة، التى بدت من أشد الناصرات لهذه المؤسسة البديلة فى التحقيق المسلسل الذى نشرته سهام ذهنى عام ١٩٩٣ فى مجلة «صباح الخير».

إن كريمان حمزة التى تعقد ندوات عديدة فى مساجد ومنازل ترى أن «انتشار الظاهرة أمر حقيقى».. بل «إنه أكثر انتشارا مما تتصور».. و «إننى أعرف حالات لا تدرى كم هى عددها، وإذا غالبا ما يستشيرنى الشباب أثناء الندوات الدينية حول هذا الموضوع».

ودوافع تأييد كريمان حمزة لهذه المؤسسة دينية بحتة: «إن هذا النوع من الزواج ليس سرىا لأن بعض الاصدقاء يعرفون به، وفى أحيان كثيرة يتم الاحتفال به، ربما لا يعلم الأهل ويغضبون.. ولكن غضبهم أفضل من غضب الرب إذا ما وقع الفتى أو الفتاة فى بئر الزنا».

إنها تقول: إن الجسد كالمعدة، يبحث إذا ما جاع عما يسد رمقه، المعدة الخاوية لا تفرق كثيرا عن الجسد الجائع- وبينما لا نجد الدولة حلا لمشاكل الشقق ومعاناة الشباب الأخرى فإنه لا يوجد حل آخر سوى الزواج العرفى».. وتقول: «إن الأهل ينسون أن غدد الشباب تتطور فى سن المراهقة وأنهم يكافحون ليتجاهلوا مشاعرهم الجديدة إلى أن تصرخ فى الحواس وتبحث عن الجنس الآخر».. «اعطوهم فرصة للحلال».

والواقع أن كريمان حمزة لم تخرج عن سياستها حين أعلنت هذا الرأى، ذلك ان لديها ابنة تزوجت وهى فى عمر السادسة عشرة، وابنا تزوج فى السابعة عشرة، وآخر فى التاسعة عشرة.. والمفارقة ان أيامهم لم يتزوج سرأ، وإنما فى حفل عام على أحدث طراز.. وبالتالي فهى لم توافق على منطق المؤسسة البديلة إلا شفها فقط.. ويصبح كلامها هذا نوعاً من الدعاية الدينية، قبل ان يكون أى شىء آخر.. لاسيما إذا أدركنا أن أوضاع الزواج السرى فى مصر تنشأ فقط لأسباب لها علاقة بالرغبة فى تلبية الاحتياجات

الجنسية الفائرة، ولا سيما أن الزواج المبكر إلى هذه الدرجة - سواء كان فى المؤسسة التقليدية او المؤسسة البديلة - لا يسمح بفرصة لنمو الشاعر ولا يتيح القدرة على اختيار الشريك على أسس ناضجة، بل إن قبول مبدأ الزواج المبكر على طريقة كريمان حمزة يعنى خضوع الشباب لاختيارات الآباء والأمهات وبالتالى وجودهم تحت سيطرة المؤسسة التقليدية.

هذه بعض تفسيرات وتبريرات انتشار مؤسسة الدعارة المقدسة والزواج بالنظام البديل فى مصر.. ولكن هناك سبب آخر أجده أنا أحد أهم وأبرز الأسباب فى تدعيم أوضاع هذه المؤسسة.. وهو السبب الخاص بالمؤسسة الدينية.

ذلك أنه لم يحدث أن وقف رجال الدين فى مصر مع حل بديل وتقديمى فى أى سياق كما فعلوا مع الزواج العرفى، وعلى الرغم من أن مساندتهم دائما ما يكون سببها هو أنهم لا يضعون اعتباراً لأدوات الدولة الحديثة - وهى هنا التوثيق، ويتعاملون مع القصة بمقياس بدوى أصيل، وعلى الرغم من أنهم - كعلماء تابعين لمذهب السنة - يهاجمون دائما زواج المتعة - الذى يقره الشيعة - إلا أنهم دعموا ووافقوا دائما على صيغ الزواج العرفى، فى نفس الوقت الذى كانوا يحذرون فيه من أضراره.

هذا التناقض يجب أن نرصده هنا بدقة.. لأن السؤال الأول الذى يسأله القادم الجديد إلى هذه المؤسسة البديلة هو: «هل هذا النوع من الزواج.. حرام أم حلال؟»

فى عام ١٩٨٠ اعترفت دار الافتاء المصرية - وكان المفتى وقتها هو الشيخ الراحل جاد الحق على جاد الحق - بهذا النوع من الزواج، بشرط أن يتحمل الزوجان الأعباء القانونية الناجمة عن عدم توثيق العقد.

كانت المناسبة قضية طلاق فى زواج عرفى معروضة على محكمة القاهرة الابتدائية. فى أوراق القضية قالت الزوجة : إنها تطلب الطلاق من زوجها - موظف كبير - للضرر واستحالة العشرة بينهما.. «لقد تزوجته من عشر سنوات، وأنجبت منه طفلة عمرها تسع سنوات، قبذت باسمه، وكنت كلما طلبت منه توثيق العقد يتهرب منى، ثم يسبنى ويضربنى لأنفه الأسباب». لكن الزوج استخدم قوانين المؤسسة التقليدية وطلب عدم سماع دعوى الزوجه لأنها لا تملك عقدا موثقاً كما ينص القانون.

كانت هي المحاولة الأولى للحصول على اعتراف رسمى بوجود المؤسسة البديلة.

قد صدر هذا الاعتراف - تقريباً - لكنه لم يمنح المؤسسة الحدیثه كل ماتطلبه.

وقد تمثل هذا الاعتراف فى رأى نيابة الأحوال الشخصية، كما جاء فى مذكرة- عاصم السيد رئيس النيابة الذى قال بالنص: «إن قاعدة المنع من سماع الدعوى يجب تفسيرها فى نطاق ضيق. ولما كانت الدعوى المنظورة دعوى تطليق فإن شرط عدم السماع لا يرد على هذه الدعوى تطبيقاً لقاعده أن المحكمة إذا لم تطلق هذه السيدة فليس أمامها إلا أن تزوج رجلاً آخر، وبذلك تكون قد جمعت بين زوجين فى آن واحد مادام القانون يمنع سماع دعواها بالتطليق فى الزواج العرفى. خاصة أنه نوع من الزواج موجود بالفعل فى مجتمعنا مشكلته قائمة.. ويتعين على المحكمة التصدى لهذه المشاكل».

وانتهت النيابة إلى أنه يجب تطليق الزوجه، ورفض الدعوى بعدم السماع، لأن الدعوى المرفوعة هى دعوى تطليق وليست دعوى إثبات زواج.

وبالتالى فإن النيابة، ولأول مرة، وربما تكون الأخيرة، وضعت يدها على نقطة ضعف خطيرة فى طريقة تعامل المؤسسة التقليدية السائدة مع ماتقوم به المؤسسة البديله غير المعترف بها.. حين قالت: إن عدم سماع الدعوى يعنى الزوجة من حقها الزواج من آخر.. أى الجمع بين زوجين فى وقت واحد.

قبل هذه الدعوى كانت هناك سابقة أخرى حين لجأ أحد المحامين لحيلة وطلب من إحدى المحاكم أن تأمر الزوج العرفى بالأبتعرض لزوجته التى يرفض سماع دعواها لأنها لاتملك وثيقة رسمية..

لكن هذا التحايل لا يتم اللجوء إليه كثيراً. ويبقى الامر معلقاً.

وإذا ماعدنا إلى القضية الأولى ورأى رجال الدين فيها فسوف نصادف التناقض الذى نتحدث عنه.. ألا وهو أن هناك اعترافاً دينياً بهذا الزواج، وعدم اعتراف فى نفس الوقت.

ففى هذه القضية قال الشيخ جاد الحق لجريدة الأخبار «عدد ١٧ / ٢ / ١٩٨٠..»: إن عقد الزواج العرفى يعنى عقد الزواج الذى تم بإيجاب وقبول مستوفيين باقى الشروط الشرعية من وجود شهود وعدم المانع الشرعى بين الزوجين، فإذا تم العقد على هذا

الوجه محل المعاشرة شرعا بين الزوجين، ولكن إذا لم يثبت لدى المأذون توثيق العقد فإنه عند النزاع القضائي فى أى من شئون الزوجية لا تقبل الدعوى...».

أضاف الشيخ الذى اعترف بشرعية المعاشرة: «إن الزوجة هى التى قصرت فى حق نفسها حين لم توثق العقد، والشرع اشترط التوثيق، فإذا لم يحدث فإن الزوجين يتحملان هذا العبء وليس القانون .. اما النسب فثبت بكافة الطرق، فى وجود أو عدم وجود وثيقة، لأن «الولد للفراش».

إنه إذن رأى دينى يؤكد شرعية الزواج .. ونصيحة قانونية بأهمية وجود الوثيقة.

ومن هنا ولد التناقض عند عديد من رجال الدين، إلا قليل منهم اعتبر أن عدم وجود وثيقة يعنى عدم شرعية الزواج، لان وجود الوثيقة هو التزام بطاعة أولى الأمر .. غير أن هؤلاء قليلون للغاية. وبين هؤلاء وأولئك يتنوع التناقض فى رأى الدينى حول شرعية وعدم شرعية الزواج العرفى.

واليكم عدة أمثلة حول هذا :

١- الدكتور عبد الجليل شلى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سابقا .. يقول: «أضرار الزواج العرفى أكثر من نفعه، وعادة لا يقبلها الشرفاء من الرجال ولا الشريفات من النساء» .. ويعنى هذا رأى ان المتزوجين عرفيا هم غير شرفاء.

٢- الشيخ غطية صقر- رئيس لجنة الفتوى بالأزهر - اعتبر أن هذا عقد زواج صحيح، طالما استوفى الشروط، يحل به التمتع والتوارث .. وقال بالنص: «من هذه الناحية لا حاجة إلى توثيقه رسميا» .. وقد كان هذا هو النظام السائد قبل أن تعرف الأنظمة الحديثة للتوثيق.

إلا أنه أضاف : إنه زواج صحيح ، لكن له أضرار، وتترتب عليه أمور محرمة، مثل بقاء معاش الأرمله المتزوجة عرفيا، فى نفس الوقت الذى وجبت نفقتها على زوجها الجديد .. وهذا أكل للأموال بالباطل منهي عنه.

ثم قال إجمالا- معبرا عن التناقض فى وضوح صاخر: من اجل هذه الاضرار فإن الزواج العرفى ممنوع شرعا، مع صحة التعاقد، حل التمتع به، وقد يكون الشيء صحيحا

لكنه حرام.. كالذى يصلى وهو يلبس ثيابا مسروقة.. صلاته صحيحة ولكنها حرام لانه سرق ما يستر به عورته.. وكمن حج إلى بيت الله الحرام بمال مسروق..

٣- الشيخ أحمد حسن مسلم- عضو لجنة الفتوى- قال: هذا حرام.. حرام.. لأن الهروب من توثيق العقد بمعنى أن يكون بعيدا عن أعين الناس وعن الاسلوب الذى يعمل على الاستقرار لاسباب فيه شيء ضار.. ولا تسمع المحكمة دعواه.

٤- الشيخ عبد الله المشد- رئيس لجنة الفتوى الراحل قال قبل أن يموت : إن ضعف التربية الدينية وعدم الحفاظ على التقاليد الشرقية المتوارثة وأزمة المساكن وأزمة الأجور سبب انتشار هذه الظاهرة. وأضاف: الزواج مسئولية ومشاركة.. وهذا الزواج ليست فيه مسئولية ولا مشاركة.. ولا يعتبر زواجا من الناحية الاجتماعية ولا التشريعية.. رغم انه علاقة شريفة إلى حد كبير!

٥- الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح- مدرس العفيدة والفلسفة بجامعة الأزهر- يقول: -الزواج ميثاق أصيل أقيم على ركائز التعارف والمودة والرحمة وكل زواج يخالف هذا باطل.. والفقه الإسلامى لا يعرف زواجا سريا شرعيا.. هذا النوع اغتصاب.. عن طريق التحايل.

هذه بعض الأمثلة، وقد جمعتهما من خلال تصريحات للشيخ نُشرت فى الصحف بين عامى ١٩٨٠ و١٩٩٦.. وهى بالإجمال تعكس عدة نقاط هى:

- إن كثيراً من الشيوخ يتجاهلون الدوافع التى تؤدى إلى هذا النوع من الزواج، وهم حين يتعرضون لها لا يضعون فى اعتبارهم المبررات التى تؤدى إليه، كى يبنوا حكمهم عليها.

- بعض هؤلاء يصف هذا الزواج بأنه باطل.. دعارة.

- أغلبهم يعتبرها علاقة شريفة، ولكنها تخالف أعراف المجتمع.

- كثيرون منهم يقولون: إن الزواج العرفى حلال.. لكنه أيضا حرام.

- وهذا هو التناقض الذى نتحدث عنه، وهو تناقض مؤثر للغاية لأن هؤلاء أصحاب كلمة مؤثرة فى تحديد وضعية وأهمية مؤسسة الزواج البديلة فى مصر..

وإيا ماكان الموقف الدينى، فإن هذا لم يمنع المؤسسة من أن تنمو، رغم كل الفتاوى.. وربما يعنى هذا النمو أن أعضاء تلك المؤسسة- ربحوا كثيرا من خلاف الفقهاء حول شرعية علاقاتهم، واختار أصحاب علاقات الزواج العرفى الانتماء إلى الرأى القائل بـشرعية العلاقة، وتجاهلوا فى نفس الوقت الرأى القائل بالعكس.

- وبالتالي فإننا أمام أزمة حقيقية..

أزمة اجتماعية واقتصادية..

أزمة قانونية..

وأزمة دينية!

الصورة الثالثة لحالات الزواج العرفى فى مصر لاتختلف كثيرا عن القصص التى أوردناها فى بداية هذا الفصل عن أسواق الرقيق فى قرى صغيرة تباع فيها البنات لسائحين عرب.. إنها دعارة بكل معنى الكلمة.. متكاملة الأركان.. رجل يشتري متعة حرام.. وامرأة تبيع متعة حرام.. والتمن واضح.. ولكن الغطاء عقد زواج عرفى.. لكى يتم الهروب من مشاكل المطاردة البوليسية.

وسبب ظهور هذا الشكل يرجع إلى اسباب لها علاقة بتطور جريمة الدعارة فى مصر.. فمن الناحية التاريخية كان فيما مضى هناك مكان أو أكثر مخصص فى القاهرة وغيرها لهذا العمل.. كانت هناك نساء تبعن المتعة فى حى كلوت بك، وفى حى الأزبكية.. وكان من الطبيعى - بل والقانونى - أن تقف بائعة الهوى فى الشارع بحثا عن زبون طالما أن معها ترخيصا بهذا.

لكن هذا الشكل القانونى الذى كان يخضع لإشراف من الدولة ممثلة فى وزارتى الداخلية والشئون الاجتماعية انتهى.. وصدر قانون تحريم الدعارة.. فرفع عنها الغطاء الرسمى.. وصار بيع المتعة الجنسية- بدون تمييز- جريمة. لكن هذا لم يبلغ الجريمة من المجتمع.. بل زادت ونمت وانتشرت، وتعددت أشكالها وشبكاتنا.. من نساء يصطدن الزبائن فى الشوارع.. إلى شبكات تصدير الراقصات إلى دول الخليج تحت غطاء إقامة الحفلات وإلى شبكات بيع المتعة متعددة الأطراف، غير المعلنة.

وبعض هذه الاشكال يتم ضبطه.. وكثير منه يمر أمام جميع الأعين بدون عقاب.. لكن هذا التساهل لم يمنع الداعرات من إبتكار شكل صوري لتغطية نشاطهن حتى يفلتن من قضية مباحث الآداب.. إذا ضبطهن.. وحتى تنهدم أركان الجريمة.. وكان هذا الشكل المبتكر هو توقيع عقد زواج عرفي مع الزبون، حتى تنتهى مدة تبادل المنافع، وحتى تظهر الورقة فى حالة إذا ما «كبس البوليس»

واليكم بعض النماذج:

«س.ع.» هى الإشارة التى اختارتها جريده الوفد فى عدد ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤، حين عرضت قصة سقوط شبكة للزواج العرفي، كانت بطلتها فتاة تحمل هذا الاسم «س.ع.».. وشهرتها «منى».

إن منى مثل مئات.. بل آلاف.. غيرها.. فقيرة.. نشأت فى حى شعبي.. توفى والدها ولم يزل عمرها عاماً واحداً فقط.. وكان ان اختارت لها امها الخدمة فى البيوت كى تتمكن من الإنفاق على بقيه أشقائها القت.. فخرجت من المدرسة.. وبعد أن توقفت عن العمل كخادمة عملت فى مصنع حلوى.. ثم فى محل ملابس.. وبعده فى مصنع بلاستيك.

حين بلغت الخامسة والعشرين تعرفت على «حسن».. شقيق جارتها.. ونظورت العلاقة.. وعرض عليها الزواج.. لكنه طلب منها أن تذهب معه ذات يوم إلى شقة فى حى شبرا.. فذهبت.. وهناك شربت معه بعض كئوس البيرة.. فدارت رأسها، وغابت عن الوعي.. وكان أن مارس معها الجنس وهى نائمة.

وعدها بالزواج.. فاطمأنت.. وظلت علاقتهما معا طوال ثلاث سنوات.. حتى سافر إلى الخارج.. وهرب منها.. وترك لها مايمكن ان تأتى به الايام من عذاب.

لقد تركت فيها هذه القصة استعدادا لأن تفعل اشياء كثيرة.

ومن هنا فإنها حين تعرفت فى سيارة أجرة على احدى السيدات، وذهبت معها إلى كازينو نيلي، لم ترفض عرضا بالزواج من أحد السائحين العرب الأثرياء.. عرفيا.

فى اليوم التالى كان اللقاء مع نفس السيدة فى نفس الكازينو.. حيث جاء العريس..

وحيث اختفت المراه لمدة نصف ساعة، عادت بعدها بورقة زواج موقع من محام، وشهود، وتنتظر فقط توقيعها.. وكان أن وقعت على العقد.. وكان الثمن ٣٥٠ جنيها.

مدة العقد حسب الاتفاق الشفهى كانت أسبوعا. لكن «س.ع» لم تحتمل البقاء مع العريس أكثر من يوم واحد فى فندق خمس نجوم.. «لانه بدين».. وفى اليوم التالى عادت إلى الكازينو.. وتكررت القصة.

إن التفاصيل لا تختلف كثيرا فى بقية الحكايات.

وها هو اسم رمزى جديد «ر.م. ه».. وهاهى صاحبه تروى قصتها المشابهة..
عمرها ١٩ عاما.. أبوها عامل بسيط.. أختها سبعة هى أكبرهم.. تركت المدرسة أيضا.. والاب لم يحتمل ذات يوم كل الأعباء فطرد الجميع من البيت «الأم والأطفال».. وعاش الجميع فى غرفه صغيره داخل قرية لايعرفها أحد.

بحثت عن عمل.. فقلذ لها طريق البحث «بحنان».. طلبت منها أن تساعد.. فأخذتها إلى بيتها.. هناك كانت ام حنان موجودة.. ومعها رجل كبير السن.. عرض عليها الزواج فوراً.. وكان المقابل هو الوعد بتوفيو مسكن وحياء ملائمة لأسرتها.. فلم ترفض.. وبعد اسبوع اتضح لها انه متزوج.. وبعد صدام كان مطلوبا منها أن تخدم أولاده.. ثم طلقها بعد عذاب، بعضه أن قص شعرها، قليل منه أنه كان يطفىء السجائر فى جسدها.

بعد هذا وقعت فى طريق هناء.. ومن هناء إلى أمها.. ومن أمها إلى سائح عربى.. ومن الكازينو النبلى إلى شقة مفروشة فى المهندسين مع عقد زواج عرفى مدته خمسة أيام ثم ٥٠٠ جنيه.. ومن المهندسين إلى فندق فاخر مع سائح آخر، وعقد آخر لمدة أسبوع.

و «ن.ع» لا تختلف أبدا عن «ر.م. ه».. أو حتى عن «س.ع».. عمرها ١٧ سنة.. واحدة بين تسعة أشقاء.. أمها ماتت وهى لم تزل طفلة.. أبوها تزوج من أخرى.. المحب منها خمسة غير التسعة..

هى أيضا تركت المدرسة، وحين بلغت السادسة عشرة قرر أبوها أن يتخلص منها

بزواجها من ابن عمها.. فلم تتحمل العيش معه.. كان يضربها بقسوة.. وكانت النتيجة هى الطلاق بعد شهرين فقط.. ومرة أخرى حاول أبوها أن يزوجها من قريب آخر، لكنها رفضت، ثم هربت..

فى الاتوبيس تعرفت على وفاء.. أخذتها إلى شقتها.. وأقامت معها.. وكان الثمن المؤقت هو أن تبقى فى البيت لرعاية الأولاد حتى تعود وفاء من عمل لاتعلمه «ن. ح»..

ولم يستمر هذا الوضع كثيرا.. فبعد أيام اصطحبتها وفاء إلى نفس الكازينو النيلى.. وجاء بعض العرب.. ودار الحديث.. ودارت الكنوس.. وعُقد زواج بينها وبين أحدهم مقابل ٥٠٠ جنيه.. لمدة خمسة أيام.. فى شقة بالعجوزة..

ومزقوا العقد.. وبعد أيام تم عقد جديد.. ثم آخر غيره.. توالى العقود وتوالى الأزواج كما توالى القصص والحكايات!

لكن الزبائن ليسوا دائما عرباً.. ففى بعض الاحيان تضبط شبكات يكون فيها الزبائن مصريين.

وهذه الصورة من العلاقات الجنسية التى تحاول أن توقع بنفسها إلى قلب المؤسسة البديلة للزواج.. ليست سوى نوع من المخادنة مدفوعة الثمن.

والمخادنة حسب التعريف الذى نقله عن الدكتور محمد نيازى حتاته فى كتابه «جرائم البغاء».. مكتبة وهبة.. القاهرة. هى «رابطة تقوم على اتفاق صريح أو ضمنى، أساسه العاطفة المتبادلة أو المصلحة يستمتع كل من طرفيه جنسيا بالآخر خلال فترة المعاشرة أو تكرار الاتصال، تطول أو تقصر حسب الاحوال، ولايستلزم هذا الاتفاق نية الدوام ولا تولد عنه حقوق أو التزامات يحميها القانون لمخالفة السبب الذى يستند إليه للنظام العام أو الآداب».

وبالتالى، فهى رابطة قلقية، رغم أن بعض الناس يظنونها زواجا قائما.. وهى ليست بغاء فى حالات كثيرة لأن صلة المرأة ليست كصلة داعرة بخليط غير متميز من الرجال.

وهذا الشكل الذى ابتكرته شبكات الدعارة فى مصر وغيرها يعود بنا إلى أشكال تاريخية عائلية..

فكما يقول نيازى حتاته فإن ظهور الخديנות فى تاريخ العلاقات الجنسية للناس ليس جديدا، إذ عرفه العبرانيون ومن جاء بعدهم، وكانت الخدينة فى بعض الاحيان لها حرمة الزوجة، وتعاقب على الخيانة كعقاب الزوجة على الزنا، وكانت الكنيسة والدولة تسمحان بها أحيانا، ولم يبدأ هذا الشكل فى الاضمحلال إلا فى عهد الإصلاح الانجلى فى أوروبا.

وفى أيام الاغريق كانت الخدينة من الإماء، وكانت تتقاضى الحكومة عليهن رسما مقررًا، وفى دولة الرومان كان على الرجل إذا حاول اتخاذ احدى السيدات خدينة أن يقر بذلك أمام شاهدين.. وهو ما يشبه إلى حد بعيد ما يحدث فى القرى المصرية بين رجال عرب وفتيات ريفيات، يظن أهلهم أن هذا زواج، ويعرف السمسار والزوج أنه مخادنة.. أو دعارة تحت غطاء قانونى.

والواقع أن النساء الداعرات اللواتى يوقعن عقدا صوريا مع رجل ما يستفدن من أن القانون لا يعاقب على هذا، ليس فقط لوجود العقد، ولكن أيضا لأن الدعارة حسب نص القانون تشترط الممارسة بدون تمييز مع أى علد من الناس كما قال حكم النقض الصادر فى ١٨ اكتوبر ١٩٥٤.

إن الصورة الأخيرة للزواج العرفى فى مصر تكشف عن أن الإقدام على هذه الصيغة لم يكن مقصوراً فقط على فئات خاصة، أو طبقات بعينها، وإنما تؤكد أن مؤسسة الزواج العرفى ضمت فى بعض الأوقات فنانين ومثقفين ومشاهير.. وأنه تم اللجوء إليه كنوع من الحل الشرعى لعلاقة سرية بين سياسى معروف وامرأة من نوع خاص.

فى هذا السياق لا يعتبر الكتاب كل زواج تم بعيدا عن المأذون الشرعى هو دخول فى عضوية هذه المؤسسة، لأن الزواج يمكن ان يتم عند محام، ويُعلن فى الصحف، ويوثق فى الشهر العقارى دون أن يتميز بالصفات السرية المميزة لمؤسسة الزواج الحديثة.

وكمثال فإن الفنانة يسرا تزوجت فى منتصف التسعينيات بدون مأذون من مليونير فلسطينى لبنانى اسمه فادى الصفدى، ولكن عقد الزواج الخاص تم على يد محام هو السفير السابق صلاح بسبوني.. ورغم أن الصيغة عرفية إلا أن العقد كان موثقًا ومعلنًا.. وبالتالي لا تنطبق عليه مواصفات الزواج العرفى العادى.

والواقع المتكرر يقول: إن بعض الفنانين والمشاهير يلجأون إلى هذا الحل، وهو الدخول فى مؤسسة الزواج الحديثة، ليس لأسباب لها علاقة برفض الأهل، أو لعدم الوصول إلى مرحلة البلوغ الاجتماعى بصورتها التى حددناها من قبل، ولكن لأن أحد الزوجين يكون بالفعل غير بالغ اجتماعيا من حيث كونه غير قادر على إعلان زواجه هذا، إما لضغوط إعلامية، أو لأسباب سياسية، أو لأنه لاينوى الاستمرار فى هذا الوضع إلى مالا نهاية .

هذا الواقع ينطبق تماما على قصه مغنية معروفة-راحلة، كانت ملء السمع والبصر حتى نهاية الستينيات، حين بدأت فى فرض عزلة إجبارية على نفسها، بعد أن عانت من تراجع الحبوية والشباب بسبب تقدم السن. حتى ماتت فى عام ١٩٩٥ .

حين ماتت نشر النعى فى جريدة الأهرام، وحين قرأ كثيرون هذا النعى ظهر فيه اسم ابن لها من مليونير راحل كان قد مات قبلها بعامين.. وحين مات هو لم يرد فى نعيه اسم هذا الابن، الذى لم تعترف به أسرته المليونير حتى الآن.

إن هذا الابن الذى يعمل الآن فى فندق خمس نجوم شهير وكبير هو واحد من ثمرات علاقة تمت بين المليونير والفنانة، ثم أضفيت على هذه العلاقة صفة الزواج العرفى، كنوع من الحل كى لايصبح الابن ثمرة فراش حرام.. لكن هذا لم ينقذ الابن من رفض دائم من أسرة الأب.

لقد كان المليونير أحد الضباط الأحرار، وكان فيما بعد محافظا للبحيرة، وفيما بعد أيضا صار أحد أهم صناعات السيارات فى مصر.. وقد نجح فى اقامه مؤسسة فخمة ذات طابع عائلى مميز، لها شركاء فرنسيون، وصار العمل على قمة هذه المؤسسة مقصوراً على أبناء الأسرة التى خلفها المليونير الراحل فى كنف المؤسسة التقليدية للزواج.

ولا توجد مصادر تريد أن تحكى القصة التى نحن بصدددها بوضوح أكبر، لكن المؤكد أن العلاقة كانت موجودة، وأن كثرة ما تردد حولها جعل الشريكين فى هذه العلاقة يعلنانها على أنها زواج عرفى.. واتتهى الامر بدون الخوض فى تفاصيل ونزاعات وبدون إنكار نسب الابن الذى لم يزل مرفوضا من الاسرة الأصلية.

ولكن لماذا نروى نحن هنا هذه القصة؟

إننا نروىها كي نشير إلى أن الطبقات المميزة في المجتمع يمكن أن تقبل قيما مختلفة في العلاقات الجنسية.. لكنها على الرغم من هذا التحرر الذي قد يصل إلى حد الإباحية ترفض في نفس الوقت الصيغ غير التقليدية في الزواج، وتفرض على نفسها قيما وعادات كلاسيكية، إذا ما كان هناك إعلان عن علاقه من نوع ما..

نفس النتيجة يمكن الوصول إليها من خلال قصة نسب الفنانة المعروفة شريهان، والتي خاضت مع أمها صراعاً طويلاً في المحاكم من أجل نسب الابنة لرجل أعمال راحل.. رفض الاعتراف بها، حتى حصلت على الاعتراف من القضاء.

والواقع ان هناك قصة أخرى سببت جدلاً كبيراً على المستوى السياسى والاجتماعى، لأنها كانت تنتمى لمؤسسة الزواج الحديثة.. وهى قصة زواج المشير الراحل عبد الحكيم عامر عرفياً عن الفنانة برلتى عبد الحميد فى دوله الرئيس جمال عبد الناصر.

لقد كانت هذه القصة واحدة من أبرز حالات الزواج الحديث المعترف بها فى طبقات المشاهير والسياسيين.. ولهذا نحن نعرض لها بالتفصيل، فهى تقريباً النموذج الوحيد الموثق تاريخياً.

حسب رواية عبد الله إمام فى كتابه «ناهد وعامر» - «دار الخيال - القاهرة - ١٩٩٦» - فإن المشير عبد الحكيم عامر تعرف على الفنانة برلتى عبد الحميد عن طريق صلاح نصر - رئيس المخابرات الراحل، حين أقام عدد من الضباط حفل شاي للمشير الذى كان عائداً من سوريا بعد الانفصال محبطاً.. وكان هدف الحفل رفع معنوياته، ومشاركته أزمته النفسية. ويقول صلاح نصر: حين انتهى هذا الحفل أردت إقامة حفل ضيق للمشير تحضره نخبة من الاصدقاء، وفى هذا الحفل رأى عبد الحكيم عامر برلتى لأول مرة.. ويبدو أنه قد بُهر بثقتها.

المفاجأة فيما بعد أن أحد ضباط المشير اكتشف بالصدفه أن العلاقة تطورت بين برلتى عبد الحميد والمشير عامر. ذلك أنه كان فى زيارة ذات مرة لأحد البيوت التى كانت مصر

تستضيف فيها الخبراء الالمان فى الصناعات الحربية، وقالت له زوجة البواب أن الخواجاية وصلت . وقابل هذه الخواجاية فشكرته على طريقة إعداده للبيت، واختياره للمفروشات.. وحين قابل المشير قال له عنها: «بكره لما تعرفها ثلاثيها طيبة، غير النظرة اللى انت فاهمها».

ويقول عبد الله إمام : إنه لأحد يستطيع أن يجزم أن عبد الناصر - الرئيس الراحل - كان يعرف قصه زواج المشير عامر من برلتى.. لكن برلتى فى مذكراتها تنفى هذا.. وتقول انه زارهما فى بيت بالهرم.

والواقع أن قصه العلاقة - قبل أن يعلن عن أنها زواج - كانت قد صارت مثار أقاويل.. وفى هذا السياق يروى أن مسئول الشباب فى حى عابدين فوجىء بورقة تحت باب بيته مكتوبة على الماكينة تقول: إن المشير عامر يتردد على برلتى عبد الحميد فى قبلا بالمريوطية.. وإنها على وشك أن تنجب منه . أسرع مسئول الشباب ونقل الورقة إلى قائد منظمة الشباب الدكتور حسين كامل بهاء الدين الذى ذهب بها إلى على صبرى.

ويقول صلاح نصر: إن على صبرى أرسل الورقة إلى شعراوى جمعة لإجراء التحريات.. وقامت أجهزة الأمن بفتح ملف تحريات.. وأرسل الملف إلى جمال عبد الناصر فوضعه أمام المشير عامر.. وثار المشير لانه كيف يراقب نائب رئيس الجمهورية من ضباط ومخبرين بدون أمر الرئيس.. وطالب بإخراج شعراوى جمعة من الوزارة.. وإخراج على صبرى من الاتحاد الاشتراكى.. بل وهدد بالسفر للاقامة مع أسرته فى اسبانيا.

بعد حرب ١٩٦٧، واستقالة المشير، ثبت أن برلتى عبد الحميد هى التى طبعت الاستقالة ووزعتها على نطاق واسع فى مجلة الامة والنقابات العمالية وداخل القوات المسلحة.. وألقى القبض عليها.. وتم التحقيق معها فى المخابرات العامة.. ولكنها رفضت أن تتكلم إلا فى وجود جمال عبد الناصر أو من يرسله نيابة عنها.. فأرسل لها سامى شرف.. وقد قالت للأخير: إنها متزوجة بورقة عرقية من المشير عامر، وكانت تلك هى المرة الأولى التى يعلن فيها النبأ.

وقالت اصلاح عبد الحميد فى تحقيق اجرى معها فى مارس ١٩٩٨ : إنه كان من امنيات برلتى عبد الحميد طوال حياتها الزواج من شخصية شهيرة.. وأنها كانت تريد المشير خالصا لنفسها وتغير من كل شخص يعطف عليه المشير.. وأن علاقه المشير ببرلتى كانت وثيقة للغاية فى الأيام الأخيرة حتى انه كان يظلمها على جميع تحركاته ويناقش معها أمورا سياسية.. وأن اسباب انتحار المشير حساسيته وخوفه من الفضيحة خاصة بعد أن علم أن المخابرات استدعت برلتى ثلاثة أيام على التوالى».

ويقول عبد الله إمام: إن ثمرة هذا الزواج العرفى «عمرو» سُجل فى دفتر المواليد باسم عمرو ومحمد عبد الحكيم عامر.. وأنه نشأت مشكلة حول ميراث عمرو وحقه فى المعاش.. حتى ان عبد الناصر تدخل شخصيا لصرف جزء من المعاش من رئاسة الجمهورية لابن. وأضاف: بعد وفاة المشير لجأت برلتى للقضاء من أجل الحصول على نصيب ابنها عمرو فى ممتلكات المشير الراحل لان الزواج العرفى وفقا للقانون لا ترتب عليه حقوق.. وتدخل مصطفى عامر وحل المشكلة وديا وأعطى عمرو حقوقه كاملة.

الآن هذه هى القصة ويمكن من خلالها أن نفهم عدة نقاط فى إطار وضع المؤسسة البديلة للزواج فى مصر.. هى:

١- إن المؤسسة عامة الانتشار، وأن اللجوء إليها يحدث حتى على مستوى كبار القيادات فى مصر.. الذين يتمتعون بالبلوغ الاقتصادى ولكن أوضاعهم تجعلهم بعيدين عن حالة البلوغ الاجتماعى التى تسمح لهم بإقامة علاقة زواج ثان على فى إطار المؤسسة التقليدية للزواج.

٢- إن سرية المؤسسة يمكن ألا يتم اختراقها، حتى لو كان المتزوج شخصية عامة، بدليل انه كان هناك تصور أن العلاقة بين المشير وبرلتى غير شرعية.. وهذا لم يكن صحيحا.. وأن السر كان خافيا حتى على أجهزة المخابرات.. وفى حالة شخص بحجم المشير عامر، مما يشير إلى أحد معالم خطورة المؤسسة.. وهو السرية.

٣- إن جميع أبناء الزواج عن طريق هذه المؤسسة ليست لهم حقوق، وأنه لولا تدخل جمال عبد الناصر ما حصل عمرو عبد الحكيم عامر على معاشه، ولولا الترضية

الأسرية ما حصل على ميراثه.. فما بالنّا بحالة أشخاص عاديّين يقفون عاجزين أمام القانون، لأنهم لم يحصلوا على خطوة رئاسية، وتدخل بقرار سيادي صادر من أكبر وأهم رجل في الدولة.

ربما تكون هذه النقاط الثلاث الأخيرة ختاماً ملائماً لهذا الفصل الطويل، ونقطة أخيرة تضع ملامح واضحة في صورة المؤسسة بكل جوانبها، وبكافة مظاهرها، من الاغنياء إلى الفقراء، ومن المشاهير إلى العاديين، ومن الشباب الصغير إلى رجال في عمر المشير عبدالحكيم عامر.

نهاية الصيام الجنسى

ظواهر ومستقبل مؤسسة
الدعارة المقدسة

والآن ماهو مستقبل هذه المؤسسة البديلة للزواج؟

ثم ماهو موقفنا نحن من كل هذه الأوضاع الاجتماعية والدينية الحديثة؟

إن هذين سؤالان مهمان للغاية فى نهاية ذلك الكتاب كى نعرف أين نضع أقدامنا.

بداية.. نشير إلى أن العرض الكامل للصورة أظهر أن هذا الواقع المختلف لنظم الزواج ليس مقصوراً على مجتمع بعينه، ولادولة وحدها، ولاهو خاص بدين ما، أو محصوراً فى مذهب عقيدى خاص.. ذلك أنه موجود فى مصر وإيران والسعودية وهو موجود أيضاً فى لبنان والسودان وأفغانستان.. ومنتشر بين المسلمين سواء كانوا سنة أو شيعة أو وهابيين.. وبين المسيحيين كذلك.

وكما أنه لا يخص أهل دولة بعينها، ولا أتباع دين خاص، فانه أيضاً ليس مقصوراً على طبقة أو فئة اجتماعية، وإنما هو موجود بين الجميع، بشكل يؤكد أن المؤسسة البديلة للزواج صارت وطيدة الأركان، ولم تولد بين يوم وليلة، ولن تنتهى خلال لحظات إذا ما صدرت فتوى مضادة أو قانون رادع.

وبعيداً عن هذه الصفة العامة. والخاصية الشاملة، لمؤسسة الدعارة المقدسة، فإننا يمكن أن نرصد فى الصورة الاجتماعية عدة ملاحظات نهائية على وضع المؤسسة فى المجتمعات التى رصد الكتاب الظاهرة فيها، وبحيث يمكن أن توحى هذه الملاحظات بمستقبل المؤسسة وأوضاع من دخلوها وخرجوا منها وقد يدخلونها مجدداً.

أولها: إن الأوضاع الاجتماعية هى التى تفرض على الشباب والمعجائز الهروب من المؤسسة التقليدية إلى المؤسسة الحديثة.. هذه الأوضاع التى عبرنا عنها فى البداية حين أكدنا على التفاوت الزمنى الفادح بين البلوغ الجنىسى والبلوغ الاجتماعى.. تفاوت يبلغ مداه سنوات عديدة.. قد تكون عشرين سنة، إذا ما فرضنا تمام البلوغ الجنىسى فى الخامسة عشرة وتمام البلوغ الاجتماعى فى الخامسة والثلاثين - إذا تم - وهو ما يعنى أنه مطلوب من الشاب المؤمن والفئة المؤمنة البقاء فى حالة صيام جنسى طوال عشرين سنة، والامتناع عن قضاء هذه الحاجة البيولوجية المهمة فى سبيل إرضاء قيم وقواعد المؤسسة التقليدية للزواج.

ولأن هذا مستحيل من الناحية العملية، فإن النتيجة المتوقعة هي: إما الإقدام على الإباحية الجنسية مع تمرّد كامل على كل القيم الدينية والصحية، وإما الاستسلام لأمراض وظواهر جنسية خاصة أقلها ممارسة العادة السرية، أو- أخيراً- وهذا هو الحل الأكثر انتشاراً- الدخول فى عضوية المؤسسة الحديثة للزواج، التى نسميها الدعارة الحلال بكل مافيه من سرية وبكل مافيه من تمرّد وبكل مافيه من وقية وبكل مافيه من عدم استقرار وبكل مافيه من تناقض، وبكل مافيه من خلط فى المفاهيم بين حكمة الزواج الحقيقية.. وهى تكوين أسرة، ومافى الزواج السرى من قيم خاصة ضد هذا المفهوم الأسرى.

ثانيها: إن وجود هذه المؤسسة يعكس حاله فصام كبرى تعاني منها المجتمعات الشرقية بوجه عام.. بحيث صار هذا الفصام سلوك حياة.. فصام يسمح للموظف أن يصلى وأن يرتشى.. فصام يجعل النشال وهو فى طريقه إلى الانوبيس يدعو الله أن يوفقه.. فصام يؤدى إلى قبول كبار الموظفين الحج على نفقه الدولة.. فصام يدعى فيه الناس دائماً أنهم مع الاخلاق علناً بينما هم فى الواقع ضدها على طول الخط.. فصام من خلفه يطالب المتطرفون بتطبيق الشريعة بينماهم يقتلون ويسرقون وينهبون ويغرقون فى بحار الدعارة المقدسة..

وهو حالة عامة «الفصام» لأنه موجود بين الجميع.. وفى كل الفئات. وقد أدى الدفاع الحاد عن الاخلاق من رجال الدين وموافقتهم الواضحة على الزواج العرفى.. أو رفض علماء السنة لزواج المتعة وموافقتهم على الزواج العرفى.. إلى ميلاد المؤسسة بأشكال أخرى فى دول يدعى رجال الدين فيها أنهم ضد الدعارة.

ثالثها: وفى أحد جوانب هذه المؤسسة سوف نكتشف أن المسلمين والشرقيين قد دخلوا بالفعل فى واحدة من مراحل الإباحية الجنسية الغربية التى يرفضونها على طول الخط.. وهذه الظاهرة تتضح فى إيران أكثر من غيرها حيث زواج المتعة متاح بصورة جلية.

ومن هنا فإن النموذج الغربى المرفوض مطبق بالفعل.. وتطبيقه يعبر عن حالة تحايل كبرى.. وحالة عدم مواجهه للحقائق.. وحالة هروب.. وحالة تقليد، لكن تحت مسميات أخرى مختلفة، غير صريحة.. وهى حالة موجودة أيضاً فى جماعات التطرف السنية فى مصر.

رابعتها: إن المؤسسة الدينية فى أغلب الدول التى درسها الكتاب بدت عاجزة عن الابتكار، والاجتهاد، والابداع الفكرى.. ولم تعد قادرة على أن تجد الحلول الملائمة.. خاصة فى حالة المؤسسة الدينية المسيحية فى مصر التى تفرض على التابعين لها عدم الطلاق إلا بسبب الزنا، وتركت مشاكل تعقيد العلاقات الزوجية تتضخم وتكبر، دون حل، فما كان من بعض الاتباع إلا أن دخلوا المؤسسة البديلة، ومعهم أيضا حجة دينية فى مواجهة الحجة الدينية للكنيسة.. ويرون أن الزواج العرفى لم يرد معنى بتحريمه فى الإنجيل.

هذا العجز يؤدى بالضرورة فى أحوال أخرى إلى ترك المؤسسة الأم، مع عدم التخلّى عن التدين.. ففى الوقت الذى عجز فيه الأزهر عن احتواء الأفكار الدينية اندفع بعض الشباب إلى جماعات التطرف.. وفى الوقت الذى عجزت فيه الكنيسة عن أن تجد حلا لمشاكل الزواج والطلاق هرب بعض المسيحيين إلى مذهب مسيحى آخر، أو تركوا المؤسسات الدينية برمتها،

خامستها: إن هذه الأوضاع التى غب فيها مؤسسة الدعارة المقدسة ساهمت فيها بشكل واضح ثروات السبعينيات الخليجية.. لاسيما وأن أصحاب هذه الثروات برعوا فى التحايل الدينى.. وآثروا تماماً الجانب الداعر للغاية فى المؤسسة الحديثة للزواج حين وجدوا فى العقود العرفية، والزيجات الصيفية، والعلاقات السرية شبه الشرعية وسيلة للإشباع رغباتهم الجنسية الجامحة.

لقد كان هؤلاء، ومازالوا، هم أهم زبائن شبكات الرقيق الأبيض والدعارة الحلال خلف عقود وهمية.. ودفعوا الدماء فى شرايين هذه المؤسسة بإقبالهم على الزواج الخالى من الالتزامات، أو قبول الدعارة خلف أوراق الزواج العرفى لمدة أيام.

سادستها: إن الخاسر الأول فى هذه الظاهرة هى المرأة.. فهى «ضحية مكسورة الجناح» تخشى العنوسة فى زواج الميسار السعودى.. وهى ضحية بلاحق فى الزواج العرفى المصرى.. وهى تواجه الاتهام بالزنا فى الزواج العرفى المسيحى.. وهى المطيعة المستغلة فى زواج الهبة عند جماعات التكفير.

آخرها : إن القوانين أيضا عاجزة عن أن تجد حلا ملائما، فلا هى ضد هذا ، ولاهى معه.. ولاهى حامية للحقوق .. ولاهى رافضة لها.

إذن وفى ضوء هذا ماهو مستقبل هذه المؤسسة؟

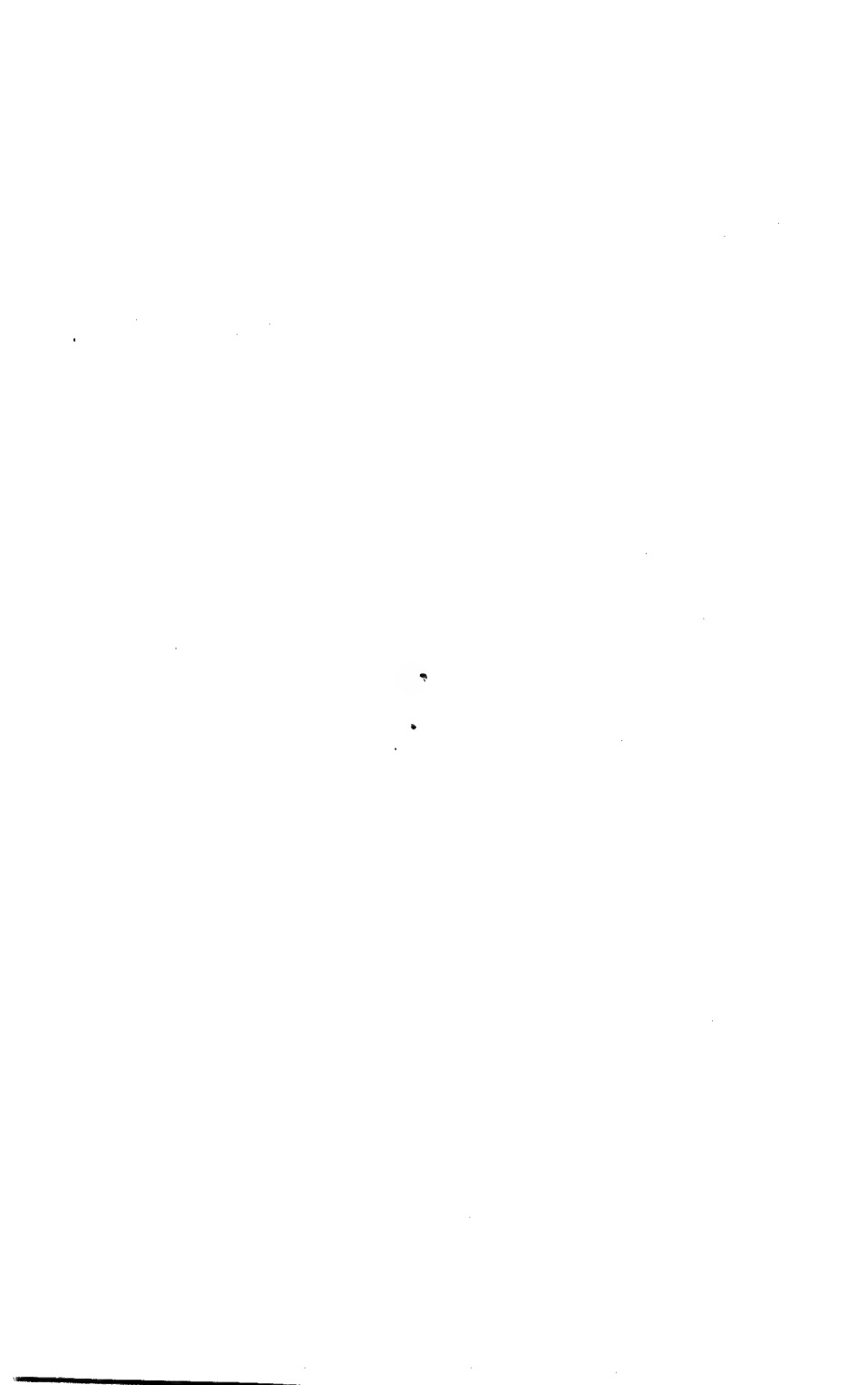
الواقع يؤكد أنها لن تنتهى.. وأنا شخصا اعتقد أنها حل ملائم، طالما أنها لم تكن مؤقتة، وطالما أنها تلتزم الأركان الشرعية، وطالما أن الهدف منها ليس هو التريح من الدعارة.

إن الزواج العرفى حل حقيقى لمشكلة الزواج فى مصر، ولكن قبوله يقتضى توافر شرط الشفافية والعلانية، واختفاء العلاقات السرية.. لكنه حل سيقى غير مقبول اجتماعيا فى ظل مفاهيم «البكارة»، وفى ظل حالة الفصام التى شرحناها طويلا..

ومن هنا فإن المجتمع مطالب بالبحث عن صيغة ملائمة علنية تنهى حالة الصيام الجنى بدون السقوط فى هوة الإباحية الجنسية المشرعة.

وسيقى الزواج الشيعى على طريقة المتعة حلا هو الآخر.. عندهم.. لكن الذى يعوقه دائما هو الاتهام السنى للشيعه بالدعارة.. والخلاف الفقهى الحاد حول هذا الموضوع.

وقبول هذا الحل لايعنى على الإطلاق أننا يمكن أن نقبل الزواج الشفهى، أو غير الموثق، ولايعنى أننا نقبل الصيغة الداعرة للزواج السرى.. ولايعنى أننا نقبل الفتاوى الملققة.. أو الآراء الدينية المتناقضة.. إنما يعنى أننا نطالب المجتمع بحالة شفافية أكبر، وأن يتخلص من تناقضه، وأن يقبل الحل المفروض كبديل لحالة الصيام الجنى، طالما أنه لم يتمكن من أن يجد حلا لمشاكله الاجتماعية والاقتصادية ، ويرفض فى نفس الوقت - وهذا حق - الإباحية الجنسية.



فى فراش الدعارة الحلال

حكايات من دفتر الجنس
تحت رعاية الفتاوى!!

يمكن اعتبار هذا الفصل ملحفاً أول للكتاب، ولهذا فإننى أوردته هنا بعد الخاتمة التى أعلن فيها الكتاب موقفه من الدعارة المقدسة، ومؤسسة الدعارة الحلال.

وهذا الملحق ليس سوى مجموعه قصص وحكايات حقيقية، حدثت بالفعل، تجسم بوضوح حجم وطبيعة ونوع المؤسسة التى ندرسها. سواء فى مصر أو غيرها.. وعند المسلمين وغيرهم. ولهذا فإن مجموعة القصص تتضمن حكايات من مصر وإيران، وروايات عن وقائع عند الشيعة والسنة والأقباط.. كما لم يخل الأمر من غاذج سعودية باعتبار أنها أحد أهم أسباب ترعرع مؤسسة الدعارة الحلال فى مصر، وهو أمر واضح للغاية فى القصة الأخيرة التى عنوانها «المتعة المصرية».

سيكون ملحوظا بالطبع أنه كان يمكن أن نورد هذه القصص فى الفصول الخاصة بها، غير أننا فصلناها فى ملحق خاص بها.. لسببين.. الأول: هو أنه ليس هدف الفصول الاساسى رواية القصص. والثانى: هو أن هذه القصص مجتزأ، تجسم حقيقة المؤسسة بوضوح.

سيكون ملحوظا كذلك أن القصص تخص ضحايا النساء.. وهذا طبيعى.. لأن المرأة هى الأكثر تضررا من هذه المؤسسة التى من الواضح أن الذى خلقها فى الأساس هو الرجل عموما.. ورجل الدين بالذات ولأن هذه القصص لو لم تكن لضحايا ماكانت ستكشف، إذ أن هناك قصصا غيرها رضى أصحابها بكتمانها لأنهم راضون بوضعهم فى مؤسسة الدعارة الحلال.. الدعارة المقدسة.

دعارة بدون آثار جانبية

اسمها زهراء خانوم

عمرها ٥٤ سنة

هذه السن أعطتها حصانة كى تمارس الدعارة الحلال تحت ستار زواج المتعة بدون أية آثار جانبية.. لقد تخطت سن اليأس.. لم تعد تنتظر مثل كافة النساء مايتى كل شهر. وبالتالي فهى جذابة جداً لعدد من الرجال.. زواج المتعة منها.. متعة. لايعنى أنها سوف تنجب وتترك وراء فترة الزواج القصيرة مشاكل لاحصر لها.. وبدون عازل طبى أو مانع حمل!.

وبالنسبة لها فإن هذه السن أعطاها ميزه خاصة جدا، فهي تستطيع أن تتزوج من عشرة رجال فى يوم واحد... بدون أن يكون مطلوبا منها أن تقضى فتره العدة بعد كل زواج وقبل أى زواج مؤقت جديد.

إنها امرأة متعلمة، تعيش فى مدينه قم، تلك المدينه المقدسة عند الشيعة فى إيران، كانت زوجة لضابط فى القوات الجوية الايرانية، ساقه حظه العائر لأن يكون أحد المشاركين فى خطة قلب نظام الحكم... وكانت النتيجة إعدامه.. فترملت الزوجة، وبقيت بلا معاش مادى أو جنسى.

لم يكن الجنس - بعد موت الزوج ملحاً وضاعطاً مثل الفقر، فقدمت إلى السيد ريشهرى وزير المخابرات الايرانية - حين ذاك - طلباً، تمت فيه أن يصرف له اراتب زوجها الذى أصدر الوزير حكماً بإعدامه. لكنه رفض.. ورفضه بقى جيبها خاوياً، ومعدتها بلا طعام، وسريرها بلا رجل.

وكان الحل هو الدعارة الحلال.

زواج متعة.

ليس مرة أو مرتين، بل مرات عديدة، حتى صارت تحترف هذا النوع من الزواج، وأصبحت مهنتها التى تأكل منها قوت يومها هى «الدعارة الحلال». حتى أنها تقول: منذ توقفت الدورة الشهرية وأنا أنلقى عروضا متزايدة لزواج المتعة، الرجال يبحثون عنى وغالبا ماأتزوج رجل دين، أو طالبا فى إحدى حوزات قم لمدة ساعة مقابل ألف أو ثلاثة آلاف تومان.

والطريف أنها حصدت ذات مرة عدد من تزوجتهم فى الدعارة الحلال، فوجدت انها تزوجت من أحد آيات الله.. وعشرين رجل دين، وخمسة تجار، ورئيس مستشفى، ونحو بضعة مئات من طلاب الحوزات الدينية.

ولهذا فإنها تنوى أن تنشر مذكراتها مع كل هؤلاء.

وقد قالت لعلى نور زادة فى مجله «المجلة» (١٩٩٦/١/٢٠) - راجع الفصل الأول: إنها تحمل ذكريات جميلة فى قلبها للطبيب الذى تزوجته فى مدينه قم:

«كان وسيما ومؤدبا، عاملنى باحترام ومحبة، كان يقرأ لى الاشعار، ونستمع إلى

شجريان و سيمفونيات بيتهوفن، قضيت معه ثمانية أشهر، لكنه اضطر لأن يغادر قم بعد أن أدركت زوجته حقيقة العلاقة بيننا.

«اننى أيضا لانسى زواجى من حجة الاسلام الذى لن أذكر اسمه».

«منحنى لقب «هايده» لأننى اشته مطربه إيرانية راحلة لها نفس الاسم، وكان رجلا مختلفا، له سلوك فى شقتى لا يشبه سلوكه الذى يعرفه به الناس خارج الشقة، فى الخارج كان هو القاضى العابس الصارم الذى يصدر أحكام الإعدام بسرعة البرق.. وفى السرير داخل الشقة كان يصبح دنجوانا عاشقا، يحب الرقص والغناء والأفيون».

«هذا الرجل أعطانى مائه ألف تومان هديه فى عيد النيروز».

ورغم هذه الذكريات الجميلة، إلا أنها لاتنسى الأيام السيئة:

«ذات يوم تزوجت طالبا تركيا فى مدرسة «حقانى» بمدينة «قم».. لم يتمكن من أن يعارس الجنس معى، فشل فى أن يدفع قضيبه للانتصاب، وحين يأس بعد ساعة.. ترك البيت.. ولم يدفع الصداق».

إن الدعارة الحلال فيها أيضا مواقف عديدة كما فى الحرام.. وكما يمكن أن تقابل العاهرة زبونا لايدفع ثمن النوم.. يمكن أيضا أن تقابل زوجة المتعة من لايدفع مايسمى «بالصداق».

زواج باطل !

كان يمكن أن يبقى السر محفوظاً سنوات طويلة أخرى، بعد أن بقى طى الكتمان سنوات طويلة .. قبلها.

لكن هذا لم يحدث.

وانتهى الأمر بفضيحة فى محكمة الجيزة الابتدائية.

البدايه كانت مثل أى بداية فى ملف الدعارة الحلال.. فى قرية الصف.. حيث كانت «سيدة» تعمل خادمة فى بيت تاجر قطع غيار سيارات.

صبية، صغيرة، نضارتها لاتقارن بذبول السيدة صاحبة المنزل- الزوجة- وكان جمالها

مدفوناً تحت أثربة الفقر.. لكن الزوج الذى كانت عيناه لاتتوقفان عن مراقبة الخادمة فى كل لحظة، أدرك سر الجمال المدفون خلف تعب الأيام .. وسرعان ما أقترب حتى التصق.
ولأنها لم توافق على العرض الأول.. وافقت على العرض الثانى.

العرض الأول هو الجنس فى الحرام.

العرض الثانى كان: الدعارة .. الحلال.

وسرعان ما اختفت الخادمة من بيت قريه الصف، وخلف وهم ورقة الزواج العرفى تحولت الفتاة الفقيرة إلى سيدة فى شقة سرية فى قلب القاهرة.. شقة مفروشة.. دخلتها الخادمة تسبقها نظرات سمسار خبير لم تكن فيها- النظرات- أية لمحة لإحترام.
لكنها لم تفهم معنى هذه النظرات فى تلك اللحظة.
كانت تعتقد أنها زوجة.

وكان الزوج يعتبرها محظية.

وكان السمسار يرى أنها داعرة.. وإن كانت ليست لبعض الوقت.

والواقع أن الصراع بين طرفى القصة فيما بعد كان محاولة من كل جانب أن يفرض وجهة نظره على العلاقة.. هو يريد أن تبقى له سريراً وثيراً مؤقتاً وبعيداً عن أشواك البيت فى «الصف» حيث لايجد نوع «الجنس» الذى يريد.. وهى تحلم بأن تكون تلك علاقة زوجية سليمة، خاصة أنه وقّع أمامها على عقد الزواج الذى أعده محام محترف لم يجد أدنى صعوبة فى أن يعثر على شاهدين، لم يكن أى منهما يعرف أى شخص من الذين لهم علاقة بالعقد.. حتى المحامى الذى دفع لكليهما عشرة جنيهات مقابل الشهادة وتدوين بيانات البطاقة الشخصية.

إن الزوج لم يكن ينوى أن تستمر القصه طويلاً، كان متأكداً أن هذا الذى يحدث سوف يكون مؤقتاً مهما طال عمر هذا الزواج العرفى.. وكان يتصور أنه حين إحتفظ بصورة واحدة من عقد الزواج معه فى جيبه قد أمسك بكل الخيوط فى يده.. وأنه يستطيع أن يمضى هارباً بعيداً عن الخادمة فى أى لحظة.

لكنه فى الواقع كان يتوهم.

ذلك أن العلاقة بين الرجل والأنثى، حتى لو كان مدخلها هو الدعارة المستترة،
لأنحكم فقط بورقة أعددها محام يتستر على ما يعرف أنه لن يكون صحيحا.

فمضى الوقت صار تاجر قطع الغيار أسيراً لهذه الفتاة التي كانت خادمة زوجته..
أسيراً إلى درجة العبادة، حتى أنه تصور ذات يوم أنها لجأت للجن، وعملت له «عملاً»..
وبناء على هذا التصور فإنه بدوره لجأ لمحترفي هذه الحيل، وطلب منهم أن يفكوا هذا
«العمل».

ومن المؤكد أنهم فشلوا، ليس فقط لأن الجن لا يمكن أن يحكم سير العلاقات
ال عاطفية، ولكن لأن الزوج كان بالفعل يحبها.. رغم أنه قاوم.. ورغم أنه حاول الابتعاد..
ورغم أنه لم يكن يترك قطعة من ملابسه في الشقة المفروشة كي لا تكون «قطراً» في عمل
جديد.. ورغم أنه اتفق نفسه بأنه شبع تماماً من الجنس مع هذه المرأة، وأوهم نفسه بأنه
حين يقيم علاقات مع أخريات غيرها يمكن أن يهرب ويقطع عقد الزواج ويتهى الأمر.
لكنه كان دائماً يعود.

وقد كانت هي تدرك بفطرة نقيه طبيعة ما يحدث.. ولهذا فإنها كانت في كل مرة يعود
إليها بعد غياب طويل تفيض عليه بمزيد من المشاعر الناعمة والعواطف الجياشة
التي سرعان ما يفرق فيها، رغم أنه يقاوم أحاسيسه ظناً منه أن هذا عمل سحري جديد.
في واحدة من هذه المرات أثمر اللقاء عن طفل.

ولم يعترض

رغم أن هذا لم يكن مدرجاً على الإطلاق في جدول أعمال العلاقة الذي تصوره
حين تزوج تلك الفتاة..

ولم يطلب منها إسقاطه.

رغم أنه كان يشتري لها وسائل منع الحمل بنفسه.

في واقع الأمر كان يدرك أنه لن يتعد عنها أبداً.

وقد استغلت هي تجاهله لقصة الطفل، وحالة الهدوء التي لبسته بعد أن عرف

الحمل، فطلبت منه أن يحول هذه العلاقة إلى علاقة محترمة.. طلبت منه أن يعيش الطفل
في إطار شرعى.. أن يتربى في كنف أب طبيعى بدلا من أب تشعر أمه بأنه يمكن أن
تركها بين لحظة وأخرى..

وتحول الزواج العرفى.. إلى زواج رسمى.. استبدل المحامى بالمأذون.. والورقة
وحيدة بوثيقة زواج معترف بها.. وإن بقيت الزوجة فى نفس الشقة المفروشة، وإن
نبتت العلاقة سرية لايعرف عنها أحد شيئا بناء على طلبه.

بعد ذلك، لايعرف أحد كيف إنقلبت مشاعر الزوج رأسا على عقب، كيف لم يعد
طبق هذه الزوجة التى كان يعاملها معاملة العبد للإله، كيف ارتوى منها تماما إلى حد أنه
رر أن يتخلص منها تماما، ويأى شكل، وفى أسرع وقت، وبدون أية آثار جانبية.

إنها حالة رجل انتهت نزوته.. كان يريد أن يرتدى ملابسه ويذهب بلا عوده.

لكن المشكلة التى واجهته هى أنه فى لحظات «الأسر» العاطفى سقط فى فخ قانونى
صين وقع على مؤخر صداق قدره خمسون ألف جنيه.. إنه فخ له عديد من الآثار الجانبية
بما هو يريد أن يقطع العرق ويسيح الدم».

مرة أخرى ظهر المحامى.

كان الهدف هو البحث عن طريقة للهروب بدون أن يدفع الزوج أى شىء.

وفى محكمة الجيزة الابتدائية طالب الزوج « ببطلاق عقد زواجه من زوجته، لأنه
كتشف أن زوجته سبق لها الزواج بعقد عرفى وأنجبت طفلا بدون مستندات تدل على
سببه».

قال الزوج فى أوراق الدعوى: « لقدخدعتنى، اكتشفت انها انجبت طفلا من زواج
سابق، وليست معها أوراق تثبت ذلك، وبهذا فهى أدخلت على الغش والتدليس، مما
ترتب عليه بطلان عقد الزواج»

وبهتت الزوجة، وفاجأت المحكمة بالقصة كاملة.. قالت: إن الاب الحقيقى للطفل هو
لزوج نفسه، وأن الزواج العرفى كان معه هو، وأنها طلبت منه « أن يحول الزواج العرفى

إلى زواج رسمى على يد مأذون فوافق.. لكن خلافات كثيرة بينهما دفعته لأن يدعى هذا الذى يقوله، لأنه يريد أن يطلقنى بدون أن أحصل على أية حقوق شرعية.

المفاجأة الأهم فى هذه القصة كانت متمثلة فى رأى المحكمة.

لقد تجاهل القضاء القصتين تماماً. وقال الحكم الذى رفض دعوى الزوج وحكم بصحة عقد الزواج: «المقرر شرعاً أن الزواج الباطل هو الذى فقد ركنا من أركانه أو شرطاً من شروط إنعقاده. وأركان الزواج التى أقرها المشرع هى: الإيجاب والقبول، شروطه هى إتحاد مجلس الإيجاب والقبول. وإن كان العاقد (المأذون) صبياً غير مميز أو جنوناً أو لو عقد الرجل على إمراه محرمة عليه شرعاً أو متزوجة بآخر فالزواج فى هذا كله باطل ولا يترتب عليه شيء من آثار العقد الصحيح فلا يحل به دخول بالمرأة ولا يجب به مهر ولا نفقة، ولا طاعة ولا يثبت به توارث، ولا يقع فيه طلاق لأن الطلاق لا يجوز إلا بزواج صحيح».

وأنه «لما كان طلب الزوج ببطالان زواجه مؤسساً على أنه اكتشف بعد الزواج أن لزوجته إننا دون أن يكون معها وثيقة زواج فهذا الادعاء - حتى وإن صح - ليس من الأسباب التى تؤدى إلى البطلان مادام الثابت أن الزوجة وقت زواجها كانت خالیه، وليست فى عصمة زوج آخر، ويكون زواجها قد إنعقد مستوفياً أركانه وشرائط انعقاده».

زواج قبل الطلاق

مسيحية

إنها الآن فى الخامسة والأربعين

قبل نحو ربع قرن، حين كانت فى العشرين، دفن أهلها صباحاً فى قبر رجل كانت ترفضه.. كان يكبرها بخمس سنوات.. عامل بسيط فى أحد المطاعم.. ولم تكن به ميزة واحدة يمكن أن تجذب إليه أى أنثى.. وقد رفضت.. وتمردت.. وعلنت العصيان.. لكنها فى النهاية.. وبسبب الضغط الشديد تزوجته بأمر الأهل.

لم يكن زواجاً، كان جحيماً.

وكانت الحالة النفسية التى أعترتها من هذه العلاقة كافية لأن يكون البيت قطعة من

نهم.. لم تشعر أبدا بالسعادة معه.. كانت تمقته.. لاتطيقه.. ولم تستطع أبدا أن تفرض
لى نفسها قبول منطق الأمر الواقع، خاصة أنه كان فقيرا، لا يقبض أكثر من ٦٠ جنيها فى
سهر.. فصار فقر الحياه والعواطف معا.

وسط هذا مضت السنوات.. ومضت بجانبها المتاعب.. وتزايدت أعباء الزوج فوق
سها وفى داخل جسدها.. فأنجبت منه أربعة أطفال.. هم - رسميا - مقيدون فى مدارس
ختلفة.. لكنهم فى الواقع يرمحون فى الشوارع يبحثون عن لقمة عيش عجز الأب عن
يوفرها.

ولا يعرف أحد لماذا توقفت عن الصبر على هذه الحالة فجأة.. ولماذا بعد ٢٢ عاما من
زواج المتواصل دب الحياة فى جسد تمردها الذى ظن الجميع أنه مات منذ سنوات
ويلة.. لا يعرف أحد السبب.. لكنها فعلا أعلنت الثورة، وطلبت الطلاق من المحكمة..
فوبل الطلب برفض شكلى وموضوعى.
إنفصلت عنه..

فقد خلقت الدعوة القضائية فجوة هائلة لا يمكن فى وجودها أن تعود إليه.. وقد
انت فى الواقع تريد هذه الفجوة.. ولا تريد أن تعود مره أخرى.. ووجدتها فرصة كى
رب من الجحيم.

ويبدو أن تمردها هذا لم يكن مقصورا على البيت الذى كرهته دائما.. وإنما امتد إلى
لميع.. فتمردت على الأهل.. وعلى سلطة الكنيسة.. وعلى الأبناء.. وعلى الحكم الذى
نض طلب الطلاق، فأستأنفته.

لكنها لم تنتظر حكم الاستئناف.. وتزوجت رجلا آخر.. وضربت عرض الحائط بكل
م وتعاليم الكنيسة.. وقبلت أن تقيم علاقة الزواج الجديدة قبل أن يتم الطلاق من الزوج
أول.. وبورقه عريفة.

لم يهمها ما هو رأى الكنيسة، وما هو رأى الناس.. الذى همها هو أن تجدد - أخيرا -
جلا وسيماء له راتب مناسب.. لا يجهد ذهنها كل يوم فى الطريقة التى يمكن ان تدبر بها
ثون حياتها.

تقول: «اعرف انهم يقولون إن الزواج العرفى حرام.. ولكن لا يوجد نص فى الانجيل

يقول «لاتزوجى عرفيا». وتقول أيضا: أيهما أفضل .. ان انحرف أنا وأبنائى وأناجر بأجسامهم فى الدعارة. أم أعيش تحت سقف واحد مع رجل فى الحلال؟
لقد تزوجت منذ ثلاثة أعوام، ولكن حكم الطلاق لم يصدر إلا من عام واحد فقط، وهو حكم غير مقبول كنسيا.. لكنها فى الواقع تمردت على كل شىء.. حتى الكنيسة!

البحث عن فتوى !

هذه قصة فنانة مصرية يمكن أن تدرج ببساطة غير مخلة فى ملف الدعارة الحلال.
ليس فقط لأن زواجها المتكرر كان دائما زواجا من أجل المال، ولكن لأنها أدخلت ذات مرة نفسها فى ورطة دينية تستوجب إصدار فتوى كى تزوج نفس الرجل من جديد، مخالفة بذلك كل مايقوله الدين، وكل ماتنص عليه الشريعة.
إنها فنانة قررت ذات يوم، ومن أجل الزواج، أن تعتزل الفن، وتتجنب، وتنتهى مشواراً طويلاً بدأ وهى فى السادسة عشرة من عمرها بطريقة قسرية ومفاجئة.

فى البداية تزوجت من فنان مجهول، لم تستمر علاقتها به طويلا، وسرعان ماتم الطلاق لأسباب لها علاقة بأن نجمها سبق نجم الزوج.. وبينما هى كانت تتقدم فى عالم الشهرة والأضواء.. كان هو باقيا لم يزل فى مكانه يعانى من ضعف الموهبة والفقر.
الزواج الثانى كان فى بداية الثمانينيات.

الزوج رجل أعمال، متزوج، ولديه أبناء، ولكن هذا لم يمنعها من أن تتزوجه، وتتجنب منه إنها الوحيد، وسرعان ماجاءت المشاكل.. فانفصلت عنه، وعاشت فى شقة خاصة فى نفس المبنى الذى يعيش فيه الزوج.. وعن طريق فنانة صديقتها تعرفت على محام قيل لها انه سوف يحصل لها على حريتها من الزوج رجل الأعمال.
وقد كان.

وسرعان ماعدت الفنانة بعد الزواج الثانى إلى العمل من جديد، فاشتركت فى أكثر من فيلم، وأكثر من مسلسل.. لكنها عادت بسرعة مرة أخرى إلى هواية الزواج من رجال الأعمال.

فى هذه المرة كان الزوج شبه ملياردير، وكان الزواج منه أمنية كثيرة.. لكن حياتها معه لم تكن مستقرة.. إذ تزوجته وطلقت منه ثلاث مرات خلال عام واحد.. وهكذا وصلت سريعا إلى الفخ الدينى الذى يحرم الزواج من نفس الرجل مرة جديدة.

قبل أن يتم الطلاق كانت قد تحجبت

وبعد أن تم الطلاق سافرت للعمرة

وبينما هى هناك تحاول أن تجد حلا للعودة إلى الزوج الثالث كان الزوج قد تزوج بالفعل من فتاة غيرها.

فى المدينة المنورة قابلت المحامى الذى نجح فى أن يحصل لها على الطلاق من الزوج الثانى. وفى القاهرة ذهبت إليه تستشيريه فى شراء قطعة أرض.. فتطورت العلاقة، وصارت زواجا.. سرعان ما انتهى بعد ١٥ يوما فقط.

وكما تم الزواج سريعا، والطلاق سريعا، كانت العودة لنفس الزوج بشكل أسرع.. وتم الزواج للمرة الثانية بعد عدة أشهر.. وخلال عدة أشهر تالية كان الطلاق الثانى قد وقع، وتم الإتفاق على أن تبقى العلاقة بينهما مجرد علاقة ود وصداقة.

لكن الواضح أنهما لم يستطيعا البقاء هكذا كثيرا..

ففى خلال إسبوعين تم الزواج بين الفتاة والمحامى للمرة الثالثة.

وسافر الزوجان إلى العجمى لقضاء شهر العسل. وخلال شهرين كانت الخلافات قد عادت، وعاد معها الطلاق الثالث الذى قيل عنه فى وثيقة طلاق أنهما مأذون جاردن سيتى: «إنها طالق منى واعترف بأن هذا ثالث طلاق وقع منى عليها لسبقه بطلقتين قبله، فصارت الزوجه مطلقة من زوجها طليقة ثالثة بينونة كبرى لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره».

لكن هذا لم يعطل تفكير الفتاة والمحامى فى البحث عن طريقة للزواج مرة أخرى.. وكانت الطريقة المطلوبة هى البحث عن فتوى تؤكد بطلان الطلاق الثالث، ومن ثم الزواج من جديد!!

لكن الفتوى لم تصدر بعد.

الحل .. هو الصمت !

أمام غرفة العمليات الجراحية فى مستشفى الجلاء لم يكن هناك أى شخص يهتم بأن يسأل عن نوع المولود، أو صحة الأم.. هكذا بدت الحياة غير عابئة بوصول ياسمين .. هذه الطفلة البريئة التى حملتها المريضة من غرفة الجراحة إلى غرفة الأطفال الرضع دون أن يعترض طريقها أحد بسؤال، أو رغبة فى كشف وجه الطفلة لاحتضان ملامحها البكر.

على الفراش كانت آلام الولادة تفارق الأم، فى نفس الوقت الذى تأتىها آلام الذكريات المرة، حين اجترت أحاديث والد ياسمين، ووعوده بالحياة الرغدة، والعيشة الناعمة .. كان يقول لها: «سوف تتركين هذه الغرفة الحقبيرة أنت وأمك، وتسكنان معى فى أرقى أحياء القاهرة.. وتسير حياتك كما تشائين، وليس كما تحلمين»..

لكن هذا لم يحدث .. فقد عقدت الحياة معها عقداً مؤداه أن تأخذ منها ولا تعطى .. أن تمنحها الحزن دائماً.. وأن تحجب عنها السعادة فى كل الأحوال. وبالتالي فإنها حين وثقت فى كلماته كانت تخالف عقد الحياة معها، وكانت النتيجة أن طبق عليها الشرط الجزائى. بعد أن تم كل شىء.. انضج أن كل شىء لا يساوى شيئاً.

معها ورقة، عليها توقيع رجل قال: انه الزوج، ورجل آخر قال انه محام، ورجل ثالث ورجل رابع قالاً أنهما شاهدان.. ولم يكن لهذا كله أى قيمة .. فقد تركها بعد أن امتص رحبها.. وتركها بعد أن ترك لها الحزن والألم وطفلاً يتحرك فى الأحشاء.

وتوقفت حركة الأحشاء ، إذ ولدت ياسمين.

ولكنها ولدت وولدت معها مشاكل عديدة.

لقد أنكرها الأب. فهو لا يريد أن تعرف زوجته الأولى أى شىء عما حدث. وكان الحل هو اللجوء للمحاكم.

غير أنه لم يكن حلاً.. كان مشكلة جديدة .

فالزوج أنكر العلاقة برمتها.. والمحكمة لا تعترف بهذه الورقة التى تسمى عقد للزواج العرفى.. ولم يثبت نسب «ياسمين»- اسم الطفلة- وكانت النتيجة أن قرر الزوج

انتقام، وقدم إلى المحاكم شيكات عليها توقيعات مزورة من الزوجة- فظلت تواجه في
ل يوم محاولة لإدخالها السجن عقابا على إصدار شيك بدون رصيد... لكن القضاء كان
نما ينقذها.

ولم يتوقف عن مطاردتها..

قال لها : إن لم تصمتي ستموتين.. إن لم تتوقفي عن أن تقولى ان هذه هى ابنتي
أقضي عليك وكان أن قبلت هذا الحل.

قبلت أن تتوقف.. وكان الحل هو أن تبتلع آلامها وتصمت !

مهواش خانم .. وأشهر العدة !

التقت « مهواش خانم فى مزار «المعصومة» فى مدينة قم، صيف ١٩٧٨.

كان أول تعليق لها حول الإجحاف الذى يلحق بالمرأة بسبب إرغامها على إقامة العدة،
قالت: « من الظلم إرغام المرأة على الامتناع عن ممارسة الجنس لمدة شهرين، لأنها
ارسته لساعتين فقط». صراحتها وصدقها أنعمشأنى وفاجأنى فى آن معا. فقد اعترفت
لنا بأنها عقدت زواج المتعة من أجل اللذة الجنسية، وتمنت لو كان بإمكانها ممارسته « كل
ليلة».

وقد أجريت ثلاث مقابلات مع « مهواش خانم »، مرتين على إنفراد ومرة فى
حضور مجموعة من نساء مدينة قم فى منزل مضيقتى. إنقيتها صدقة، وفيما كنت أشرح
سيداتين أخريين فى المزار طبيعة البحث الذى أقوم به دعانا صوت ناعم ولطيف إلى
الجلوس. فقد سمعت مهواش حديثنا. وتطوعت لتزويدى بالمعلومات دون التدقيق كثيرا
فى طبيعة بحثى.

كنت متحمسة جدا لأننى تمكنت أخيراً من التعرف على سيدة عقدت زواج متعة.
بسبب حماسى لتسجيل كل شىء. ارتكبت غلطة كبيرة. فطلبت منها ان تنتظرنى ريثما
ذهب إلى المنزل الذى لايبعد كثيرا عن المزار، لاحتضار آلة التسجيل. وافقت «مهواش»
أسرعت إلى المنزل لكن عند بلوغى بوابة المزار الخارجية لاحظت أنها أسرعت هاربة،
تحقت بها وسألتها عن سبب هروبها. بدت خائفة وتكلمت بسرعة فيما أخرجت خفيها

من كيس كبير نعمله، وطلبت منى أن أضعها وشأنها لأنها لم تعد راغبة فى الكلام. حاولت أن أطمئنتها وأشرح لها طبيعة بحثى ولكن دون جدوى، ابتعدت عني وأنهت لقاءنا القصير وهى تردد مثلاً يقول: «من لا يعانى صداعا لا يربط رأسه بوشاح» كنت محبطة فبسبب أجواء الخوف والتوتر المسيطرة على ايران آنذاك أرعبت «مهواش» من دون قصد عندما إقترحت عليها تسجيل محادثتنا.

خرجت من المزار يائسة ووقفت فى الساحة المزدحمة بالناس لم أرغب فى الذهاب إلى المنزل وسرت من غير هدى بين الحشود أهدق فى البشر وأحاول جاهدة أن أثبتن من منهن يمارس المتعة ويوافق على التحدث إلى ويبقى أفكر فى كيفية العثور على شخص يمارس المتعة؟

عند الغروب بدأ المصلون فرش سجاجيدهم الصغيرة فى الساحة استعداداً للصلاة وقبل بلوغ الطرف الآخر من الساحة لمحت مهواش جالسة على سجادتها الصغيرة وكيسها الكبير أمامها..

لمحتنى بدورها وابتسمت لى، ابتسمت لها بدورى لكننى لم أسارع للتحدث إليها اردت عدم إخافتها مجدداً لكنها أومأت إلیى ودعتنى إلى الجلوس بجانبها. وبسعادة كبيرة لببت دعوتها وسألتها عما أخافها فى حديثنا السابق فأجابتن أن المسألة ليست خوفاً وأن هناك أشياء لا تستطيع الآن الخوض فيها لأنها «مراقبة». وقالت: «العدو يبحث عن أعذار لوضعى فى مصحة للأمراض العقلية أو دفعى إلى الانتحار!» تكلمت بسرعة وكان من الصعب عليّ متابعة حديثها وعلى الرغم من تنامى فضولى قلت لها: إنها حرة فى التحدث إلى أو عدم التحدث.

وفى ثانى مقابلة بدت مهواش الطف فسألتها من يكون هذا العدو فأجابت بأنه جهاز الاستخبارات الايرانية «السافاك» Savak فسألتها ولماذا يلاحقك السافاك فقالت: «لأننى من أتباع إمام الزمان الإمام الغائب وسأنفذ كل ما يطلبه منى، العدو يحاول دفعى إلى ممارسة الدعارة أو الانتحار لكننى لن أرضخ له أبداً».

على الرغم من أننى لم أعرف قط عم تحدثت «مهواش» بالضبط فإننى تفهمت خوفها بعد أن غادرتها إذ أوقفنى شرطى وحاول أن يعرف ماذا كنت أتحديث وإياها ولماذا أعطيتها بعض المال كان غاضبا لا بد أنه كان يراقبنا منذ اللحظة الأولى للاقائنا توترت أعصابى

قلت له: إننى أجريت معها مقابلة للبحث الذى أجريه وأعطيتها بعض المال مقابل وقت الذى أمضته معى عند ذلك تركنى الشرطى وأنا أفكر فى كلام مهواش وأنساءل ن أهداف الشرطة من مراقبتها.

وفى مقابلة لاحقة أخبرتنى «مهواش» أنها لاترغب فى التحدث إلى لأنها قامت باستخارة^١ سريعه بسببحتها وكانت النتيجة سلبية، طلبت منى أن أنتظرها حتى تتوضأ استعداداً لصلاة العشاء ثم تقوم بإستخارة جديدة قبل أن تتحدث معى لكنها لم تتوضأ ل تحدثت وكنت سعيدة بالاستماع إليها وحفظ النقاط المهمة.

ولدت «مهواش» فى عائلة متدنية وفقيرة فى مدينة «شيراز» وكانت فى السابعة والثامنة من العمر عندما ترك والدها أمها وأشقائها وشقيقاتها الستة. وتوجه إلى طهران بحثا عن عمل لكن لم يعد قط وعلى الرغم من جميع الصعوبات التى واجهتها تمكنت «مهواش» وهى كبرى أشقائها من الذهاب إلى المدرسة.

وتقول: «لأن والدتى ابنة عالم دينى كبير مابكانت ترضى بجلب الماء من البئر أو شراء لحبز لأنها تيمتد أن هذه الأعمال لاتليق بها. لذلك كان على أداء جميع هذه الأعمال اليومية والذهاب إلى المدرسة فى الوقت نفسه. لم أكن أملك ثوباً لائقاً فالشوب الوحيد الذى أملكه كان ممزقا لكننى كنت أكويه وأرتديه». كافحت «مهواش» بشدة حتى نالت الشهادة الابتدائية وأظهرت لى الشهادة بفخر بعد ذلك بفترة قصيرة وعند بلوغها الثالثة عشرة من العمر تم تزويجها لرجل يكبرها بأحد عشر عاماً لتخفيف الأعباء المالية المفروضة على عائلتها.

زواجها كان سلسلة من الأحداث المحزنة فبسبب طيشها وقلة حرصها كشفت أمام جيرانها انتماء زوجها السياسى: «كان زوجى من مؤيدى مصدق رئيس الوزراء الايرانى الأسبق الذى أطاح به الشاه محمد رضا بهلوي فى الخمسينيات وكان يشتم الحكومة والشاه، وكنت شابة وجاهلة أتحدث عن حياتنا الخاصة والجنسية وأى شىء آخر دون تحفظ» ونتيجة ذلك عرفت استخبارات الشاه «السافاك» بأمر زوجها واقنعت رب عمله بطرده ومن شدة غضبه على «مهواش» طلقها زوجها واحتفظ بأولادها الثلاثة ولم يسمح لها برؤيتهم على حدقولها فقد أصبحت مطلقة وهى فى الحادية والعشرين من العمر

وعندما أجريت معها المقابلة كانت فى الرابعة والأربعين. وأخبرتني أنها لاتعلم شيئاً عن مصير أولادها.

بعد طلاقها بفترة وجيزة ذهبت «مهواش» إلى مدينة النجف فى العراق والتي تشتهر بأنها مدينة تُمارَس فيها «المتعة» على غرار مدينة قم. وهناك تزوجت رجلاً عراقياً زعمت أنه عاجز جنسياً وتقول إنه بسبب خيبة أملها على الصعيد الجنسي لجأت: «إلى ممارسة العادة السرية بكثرة إلى درجة أننى كدت أن أجرح نفسى» وأسوأ ما فى الأمر أنه كان يرفض إسكانها فى منزله أو الإنفاق عليها. وعندما لم يعد بإمكانها الصبر أكثر من ذلك تخلت عنه وعادت إلى إيران وإلى مدينة قم بالذات حيث يستطيع المرء اكتشاف زواج المتعة والعثور على شريك ملائم. كانت دقيقة جداً فى الوصف وادهشتنى بقدرتها على وصف تجربتها دون الشعور بالإحراج كانت المرأة الوحيدة التى قالت لى بأنها تمارس العادة السرية.

وفى نقاش مع مجموعة من نساء مدينة قم تمكنت «مهواش» من الهيمنة على النقاش كانت لطيفة لكن لهجتها كانت إنتقامية وعلى ما يبدو كانت تعلم أن سمعتها ليست جيدة بالنسبة إلى هؤلاء النساء ورداً على إنتقادات شابة لزواج المتعة قالت «مهواش»: «زوجى الأول كان شاباً ووسيماً لكنه طلقنى وزوجى الثانى (أى الرجل العراقى) كان عجوزاً ولا يحب النساء ولا يريد أن يطلقنى أيضاً! عذبنى طوال ستة عشر عاماً أو سبعة عشر لم يرد أن يطلقنى أو ينفق على كنت يائسة ومنهارة حرمت من ممارسه الجنس طوال تلك السنوات كنت شابه وأنا من السادة (أى من نسل النبى ويعتقد بانهم اقوى من الآخرين على الصعيد الجنسي) " كنت ارجب فى ممارسة الجنس وكنت معتادة على ممارسته لكن زوجى لم يكن بحاجة للنساء كل ماكان يحتاجه هو من يطبخ له ».

فى بعض الأحيان كانت غامضة ومبهمة وأصبحت مراوغة عندما سئلت عن كيفية حصولها على الطلاق من زوجها العراقى العجوز الذى رفض تطليقها باستمرار وبطريقة غير مباشرة المحت إلى وفاته لكننى غير واثقة تماماً من وفاته فعلاً.. ربما أئتمت «مهواش» نفسها بأنه توفى .

على أى حال مارست بعد ذلك زواج المتعة باستمرار وقالت: إن السبب هو أنها تأمل

فى المشور على زواج دائم لأن ذلك أفضل من وجهة نظرهما.. وفى ظل إرتباطها بزواج دائم فأنها تفضل عقد زيجات متعة طويلة الأجل «الثلاثة أشهر أو أربعة ولقاء مهر يراوح بين أربعة آلاف تومان وخمسة لتأمين إحتياجاتى لبضعة أشهر على الأقل». فى غضون ذلك فأنها تعقد زواج متعة كلما أمكن لها ذلك ولمدة ساعه أو ساعتين أو ليلة كحد أقصى. «أرغب فى الزواج» (تعبير ملطف لممارسة الجنس) دوما وكل ليلة إذا أمكن».

آخر زواج متعة عقدته «مهواش» تم فى أحد فنادق مدينة قم لاحظت شابا وسيما حضر إلى المدينة برفقة والده وأخيه الأكبر لاداء الحج أعجبت به كثيرا وقارنت جماله وقوته بجمال «رخسين» اسم جواد «رستم» (البطل الشعبى الايرانى) إقتربت من الرجال الثلاثة باحتشام وأخبرتهم أنها وحدها «ومن دون مرافق» واستعملت مصطلحا عاما لابلاغهم بأنها «أعزب» وأضافت أنها تخشى صاحب الفندق الذى قد يخلق الأعدار لدخول غرفتها ليلا وبذلك استثارت شهاتهم ووضعت نفسها بحمايتهم وبالطبع فقد فهم الشاب رسالة مهواش وطرق باب غرفتها ليلا بمجرد نوم والده وشقيقه.

لقد عقد زواج المتعة لليلة واحدة وطلبت «مهواش» قطعة من الحلوى كمهر قائلة انها لا تكثر لهذا الأمر لكن الشاب أصر على إعطائها مائة تومان كمهر. مالىس واضحا هنا هو من اقترح على الآخر عقد زواج المتعة. مهواش ادعت أن الشاب اقترح عليها عقد زواج متعة لكننى أظن أنها عرضت الفكرة عليه ولاسيما أنها إختارته منذ البداية وعمرها يقارب ضعف عمره وهى تعرف كل شىء عن زواج المتعة عن قواعده واجراءاته.

خلال المناقشة انتصرت «مهواش» لحقوق الرجال مما أزعج النساء المشاركات فى الاجتماع وقالت «الله خص الرجال بطاقة جنسية كبيرة فالرجال يحبون ممارسة الجنس وهو أمر مفيد لصحتهم وامرأة واحدة لا تكفى الرجل وهذا مذكور فى القرآن لكن على الرجل أن يعدل بين زوجاته. كما أنه باستطاعته عقد ما يشاء من زيجات المتعة وهذا أمر مفيد لصحته والله سمح له بذلك ولم يسمح به للمرأة».

وبدأت «مهواش» بوعظ النساء قائلة: «إذا كانت المرأة طيبة وطاهرة فأنها لن تفقد إيمانها ولو عقد زوجها زيجات متعة مع ألف امرأه غيرها» وعندما لاحظت أن النساء يعتبرنها مصدر خطر على استقرار عائلاتهن حاولت «مهواش» التشديد على السلوك اللائق بالمرأة المسلمة.

أخبرتني «مهوش» أنها تتلقى عروض زواج مؤقت مع رجال من مختلف المشارب والأعمار لكنها تختار الرجال الذين تشعر بالجنذاب جسدي نحوهم ورداً على سؤال حول ما إذا كانت تتفق أزواجها المؤقتين عادة من بين الحجاج في المزار هزت كتفيها قائلة «الله يعطيني قسمتي» ورداً على سؤال آخر حول ما إذا كانت تختار أزواجها المؤقتين من بين طلاب الحوزات الدينية في قم ردت بازديء: «كلا فهؤلاء الحمير لا يملكون غرفة ويطلبون من المرأة أن تذهب معهم في نزهة طويلة أو ممارسة الجنس في مقبرة خلف أحد المدافن.. لا توجد لذة في هذا النوع من الزواج».

وأضافت أنها تتزوج أحياناً رجال دين وسيمين. لقد فاجأتني لهجة الازدياء التي استخدمتها خصوصاً في وقت (عام ١٩٧٨) تتصاعد فيه شعبية رجال الدين في كل أنحاء إيران ونظراً لتدينها الشديد في الواقع أطاحت «مهوش» بأفكارى المسبقة حول النساء في قم عند كل منعطف في مناقشاتنا الطويلة.

ورداً على سؤال حول كيف تلتقني بأزواجها المؤقتين أجابت «مهوش»: «رجال كثيرون يطلبون عقد زواج مؤقت معي. رجال من كل الأعمار والمستويات اغنياء وفقراء».

وتضيف أنها تقترب من الرجال أحياناً وفي أحيان أخرى يكون الرجل هو المبادر وفي المزار قد ينظر إليها رجل بلهفة وبطريقة غير محتشمة فإذا أعجبها تقترب منه وتبادل معه التحية كما لو أنهما يعرفان بعضهما منذ زمن وهذا يساعد على عدم إثارة فضول الموجودين في المزار والذين قد يعتقدون أن شيئاً مريباً يجري! وتضيف «مهوش» مبتسمة «بعد ذلك تأخذ الأمور مجراها الطبيعي».

في أحيان أخرى قد يعطيها الرجل إشارة مابوجه أو بإظهار مفاتيحه للإشارة إلى أنه ذو اقتدار ويملك غرفة خاصة به وعلى ما يبدو فإن هذه السلعة مطلوبة جداً في مدينة قم وقد يشير بعد ذلك إلى باب المزار للإشارة إلى ضروره مغادرته. وبعد أن يصبحا بعيدين عن أعين المراقبين والوشاء يتفاوضان حول شروط زواجهما المؤقت ويقومان بالإجراءات اللازمة وعلى الرغم من أن «مهوش» قالت بأنها تحتاج إلى إشارة من الرجل قبل الإقتراب منه يبدو أنها تعرف تماماً ماذا تريد وتعرف أيضاً كيف تحصل عليه.

تؤكد «مهواش» انها لم تلجأ إلى «مرتبة زيجات» لتسهيل عقد أى من زيجاتها المؤقتة. انها لاتعرف أى مرتبة زيجات فى مدينة قم، كانت تعرف واحدة فى مدينة النجف لعراقية وكانت هذه السيدة تحتفظ بلائحة بأسماء وعناوين نساء فى المناطق المجاورة. وعند توفر زوج مؤقت لأى واحد منهن تتصل بها مرتبة الزيجات وتتقاضى نسبة من مهر المرأة مقابل خدماتها هذه.

اعتقد ان زعم «مهواش» عدم وجود «مرتبات زيجات» فى مدينة قم يفيدها وهذا لزعم يعكس واقع ازدواج النظرة إلى مرتبى الزيجات فى ايران والشك الذى يحيط بهم احيانا على الرغم من تشديد المؤسسة الدينية على ايجابية الدور الذى يلعبونه وعلى أهميته. لقد كانت مهواش فقيرة لدرجه لاتستطيع معها احتمال ثمن خدمات «مرتبى لزيجات»، وكانت ذكية لدرجه تمكنها من الاستغناء عن خدماتهم، وفى الحقيقة فقد كانت مهواش معروفة أيضا على انها «مرتبة زيجات».

فى البداية يتفاوض الزوجان المؤقتان على شروط العقد وتؤكد «مهواش» انها تفضل تقاضى المهر قبل اتمام الزواج خوفا من احتمال تمنع الرجل عن دفع أى شئ بعد دخوله منزله.

لكنها بدت غير جازمة حيال مسألة المهر ففى احدى المرات اخبرتنى انها لاتأبه بالترتيبات المالية عند زواج المتعة وان كل مايهمها هو وسامة الرجل وخلال المناقشة الجماعية قالت مهواش: المرأة المؤمنة لاتطلب شيئا إلا من الله. لايجب على المرأة ان تمارس المتعة لتأمين احتياجاتها المادية (المتعة من أجل المال).

والله هو المدبر والمعين لاتوقع العون إلا من الله. لكنها اخبرتنى فى مناسبة سابقة انها ترغب بعقد زواج دائم يوفر لها الأمان على الصعيدين المادى والجسدى وفى حالة عدم تمكنها من تحقيق هذه الرغبة فانها تود عقد زواج متعة طويل الأمد.

فى إحدى المناقشات الجماعية ردت «مهواش» على تحدى شابتين معارضتين لزواج المتعة بلطف ولكن بلمحة الواعظ قائلة: «واذا ارادت امرأة الزواج (أى عقد زواج دائم وممارسه الجنس ايضا)، ولكنها لم تعثر على زوج ملائم اعتقد ان زواج المتعة سيكون عندئذ أفضل من لاشئ. والسبب لايعود إلى رغبة المرأة فى العيش بهذه الطريقة او

الحصول على المال. السبب هو الغريزة لأن المرأة تريد ممارسة الجنس ولكنها لا تريد ارتكاب خطيئة. فإذا أعطاها الرجل مهراً. كان هذا أمراً جيداً، وإذا لم يعطها. تكون على الأقل قد أشبعت رغبتها الجنسية.

فى صيف ١٩٧٨، كانت «مهواش» مقيمة فى المزاره لانها لاتملك منزلاً أو غرفة. واخبرتني بأنه لاأحد يرضى بتأجيرها غرفة أو منزلاً بسبب سمعتها كامرأة تمارس المتعة بكثرة. وعلى ما يبدو فإن والدتها واشقاءها وشقيقاتها، لا يختلطون بها. لكن «مهواش» لم تظهر أى مرارة من جراء ذلك. فقد كانت مدركة لازدواجية النظرة إليها وقانعة بقدرها. وتقول «هناك شائعات كثيرة تتناولنى، كمثل القول بأننى «مرتبة زيجات» كل هذا غير صحيح، انا من أتباع خط الله والرسول».

تؤكد «مهواش» أنها متدينة جداً وفى الواقع فقد كانت على إمام كبير بالشريعة الاسلاميه وكانت بإمكانها قراءة القرآن وكتب الشريعة والأدعية، وكانت تتقاضى المال من النساء مقابل قراءة القرآن لهن. راقبتها عدة مرات فى المزار وهى تقترب من نساء وتساألهن ما إذا كن يردن سماعها وهى تقرأ القرآن او يرغبن فى ان تودى بعض الصلوات لأجلهن أو أن «تشرح» لهن مسائل دينية محددة وفقاً لاجتهادات آيات الله. إن معرفتها بالقرآن والشريعة وثقتها بنفسها، قد وضعها فى موقع قوة فى مواجهة النساء، وخلال المناقشات الجماعية، فكانت «مهواش» تدعم وجهة نظرها بحديث نبوى ملائم. أو بحديث لأحد الأئمة الشيعة، وترد على انتقادات النساء بالأسلوب نفسه.

وعلى الرغم من معرفتها بعدم قدرتها على الإنجاب بسبب عملية جراحية أجريت لها، فإن «مهواش» أصرت على تأكيد أنها تقيم أشهر العدة. لكنها كانت محبطة بسبب اضطرابها للامتناع عن ممارسة الجنس لمدة شهرين، بعد انقضاء مدة زواج المتعة. وبدا أنها موزعة بين قناعاتها الدينية من جهة وبين رغباتها الجنسية من جهة أخرى. وفى إحدى المرات انقلبت الأدوار، وأخبرتني «مهواش» أنها تريد طرح سؤال على، ولكنها مترددة، وبعد ان طمأنتها وأخبرتها اننى مهتمة بالسؤال قالت: «هل يتعين على المرأة إقامه اشهر العدة، فى حال تمت المضاجعة بين رجلها فقط، أو اذا أتاها الرجل من الخلف (أى الدبر)؟»

صعقنى السؤال! افهذه المرأة المتشددة فى حجابها، تكشف لى اهتماماتها الأشد حميمة بالجنس داخل مزار دينى فى مدينه قم، أى المكان الذى طالما ارتبط فى ذهنى بالتقى والورع. لكننى ارتحت للسؤال أيضا. فقد مكنتى من إدراك مبلغ قناعاتها بوجوب الامتناع عن ممارسة الجنس خلال أشهر العدة، حتى ولو دام زواجها المؤقت بضعة ساعات فقط.. «إذا تمكنت من إقناع رجل بممارسة الجنس بهذه الطريقة، فلن اكسب المزيد من المال فحسب. بل لن أعود مضطرة إلى الامتناع عن ممارسته (أى الجنس) لمدة شهرين» ربما خاب أمرها لعدم وجود إجابة لدى عن هذه المسألة فضحكت «مهواش» باحتشام، واقترحت على بأن «نكتب» إلى أحد آيات الله فى قم، لطرّح السؤال عليه. فاعتذرت بلباقة.

كانت «مهواش» تعرف نساء فى مدينة قم. يمارسن زواج المتعة، وتحسد إحداهن بشكل خاص. وقالت لى: إن هذه المرأة تجاوزت الخمسين من العمر وانقطع الطمث عنها. وبما أنها لم تعد ملزمة بإقامة أشهر العدة، فقد كان باستطاعتها نظريا، عقد زيجات مؤقتة عندما تشاء ويبدو أن الرجال يعلمون بأن هذه المرأة تجاوزت سن الإنجاب، ولذلك يقصدها رجال كثيرون طالبين عقدا مؤقتا معها. لكنها كانت ترفضهم كلهم! وجدت «مهواش» الأمر مثيراً، وتمنت ان تكون مكانها وفى مقابل بعض المال والهدايا، رتبت لى «مهواش» لقاء مع هذه المرأة لكن المرأة كانت مريضة، ورفضت إجراء أى مقابلة معى.

عندما سألتها عن الأساليب التى تتبعها لحماية نفسها من الأمراض التناسلية، وعن مسائل النظافة والصحة، أجابتنى «مهواش»: إنها تتقى بعنايه زوجها المؤقت. لم تكن تعرف من وسائل منع الحمل سوى الواقى الذكري، لكنها لاتحيد قيام شريكها باستعماله لأنه «يحرمنى من اللذة، فضلاً عن أن الزهرة تحتاج إلى المطر».

نقلا عن قانون المتعة - شهلا حائرى

زوجى يرتدى قميص نوم!

فى واحدة من نقاط التصادم العديدة التى كانت تعترض طريق زواجهما سألته: طالما أنك هكذا.. لماذا تزوجتنى؟

فأجاب فى برود: إنك ستار.

وقد كانت هكذا فعلا، مجرد واجهة اجتماعية يخفى وراءها بكل ما فى نفسه من عاهات.. لم يكن يريد أن يعرف أحد حالته.. كان يريد أن يمارس عاداته الخاصة جدا بينه وبين رفاقه دون أن يدري أحد.. يرغب فى أن يعرف الجميع انه رجل سَوِيٌّ.. طبيعى.. متزوج من امرأة.. جميلة.. وثرية.. بينما هو فى الواقع لايقبل التعامل الجسدى إلا مع مثيل له.. مع رجل..

لقد كان شاذا.

ولقد أدركت هذه الحقيقة المرة فى اليوم الأول للزواج.. بعد ساعات من انقائ الاكل فى كنيسة الزيتون.. وبعد حفل صاخب فى فندق ميريديان مصر الجديدة.. وبعد أن جلست طوال أربع ساعات كاملة فى هذا الحفل تتلقى نظرات الحسد والغيرة من عدد هائل من المعارف والأقارب.. كانوا يقولون: إن ربهام عرفت كيف تختار زوجا مميزا.

وقد كان مميزا بالفعل.. انه شاب وسيم مملوء بكل علامات الحيوة، أنيق، شبه مليونير، من عائلة ميسورة، اسمها نصف معروف، تتمتع بسمعة طيبة، وقد وعداها - كما عرف الجميع - برحلة شهر عسل فى باريس.. لكن هذه الرحلة لم تتم أبدا.

فى اليوم الأول كان واضحا معها للغاية، لم يخف شيئا بعد أن سقطت فى بئر خداعه، قال لها بوضوح: إنه لايميل للنساء، وانه مثلها يهوى الرجال، وانه مثلها يفضل ان يرتدى قمصان النوم.. وانه مثلها له زوج خاص به.. وأنه تزوجها فقط لانه لا يريد أن يكتشف أحد قصته.

ولم تسافر إلى باريس..

ولم تعرف طعم الزواج..

لكنها لم تستطع أن تترك البيت حين عرفت الحقيقة..

كانت تخشى الفضيحة، وكانت أمها تطالبها بالصبر، وكانت تقول لها : لا تجعلى الاعداء يشمتون فىنا.

وعلى الرغم من أنها ظلت فى سجن الشذوذ هذا عدة أشهر، إلا أنها لم تستطع التحمل فترة أطول، وانفصلت عنه، وتركت البيت، وبدأ المحامى رحلة طويلة لطلب الطلاق من هذا الزوج الشاذ.

وتحول الزواج إلى فضيحة، بدلا من أن يكون ستارا على مأساة الزوج، وعرف الجميع القصة، ووصلت المحكمة شهادات طبية تؤكد حقيقة الزوج الجنسية، ووصلت شهادات أخرى تؤكد أن الزوجة لم نزل عذراء، ولم تستغرق المحكمة وقتا طويلا كى تصدر حكمها بالطلاق.. ولم يستأنف الزوج الحكم فقد حدثت الأمور التى كان يخشاها، فقبل الأمر الواقع.

وفى دين آخر يعنى مثل هذا الحكم ان من حق الزوجه أن تبدأ حياتها من جديد، دون أن تحصل على إذن من أحد. إلا أنها لم تستطع الزواج مرة أخرى.. لأن الكنيسة رفضت أن تمنحها تصريح الزواج.. قالوا لها : إننا يجب ان نتأكد نحن أيضا من أنه شاذ كما تقولين.. فأظهرت لهم الشهادات الطبية.. لكن علاقاته منعته من الحصول على التصريح.. وفى نفس الجلسة التى حصلت فيها الفنانة هالة صدقى على تصريح الزواج مرة ثانية.. كانت هذه الزوجة تتلقى رفضا لطلبها.

ولم نجد حلاً ببساطة.. إلى أن طبقت نفس السيناريو الذى طبقته احدى صديقاتها. إن الصديقة هى الأخرى صادفت حظا سيئا فى زواجها.. كان زوجها عقيما.. لاينجب.. ودخلت المشكلة العائلية أروقة المحاكم.. ولكنها قبل أن تحصل على حكم الطلاق.. كانت قد تزوجت عرفيا، دون أن تنتظر تصريح الكنيسة.

وقالت لها : لو انتظرت التصريح ستصبحين مثل البيت الوقف.. لايباع ولايُشترى.. ولايُدر دخلا.. والانجيل لا توجد به آية واحدة تقول: إن الزواج العرفى حرام.. وليس لديك واسطة يمكن ان تساعدك فى إصدار تصريح الزواج.. تزوجى عرفيا وأمرك إلى الله.

وقد تزوجت بالفعل بهذه الطريقة..

أصدرت قراراً خاصاً بتطبيق نفسها.. بالحصول على حريتها..

وكان الثمن أن اعتبرتها الكنيسة زانية..

وكانت النتيجة أن مُنعت من دخول الكنائس!

حرام فى حرام !

أحيانا يكون الجهل غطاء للمواظف.

وسيلة لإخفاء تجاوز فرد ما للتقاليد والدين كى يبنى علاقة آئمة.

وحين تزوجت هذه السيدة المسلمة من ذلك الرجل المسيحى قالت: إنها لم تكن تعرف ان هذا حرام. لم تكن تدري أنها تخالف تعاليم الإسلام الذى يسمح بزواج المسلم من مسيحية أو يهودية ولا يسمح أبداً بزواج المسلمة من مسيحية أو يهودى.

لم يكن هناك أى شىء يمكن أن يعوق هذه العلاقة المحرمة.. ليس لها أهل يمكن أن يعترضوا فتنتبه إلى ماتفعل.. ولا صديقة يمكن أن تشير عليها.. ولا حتى جار يتبرم بما يحدث فتأخذ بالها. إنها مقطوعة من شجرة.. مات والداها قبل أن تحصل على شهادة دبلوم التجارة.. وحتى حين حصلت عليها لم تكن قد قرأت كتاباً أو سمعت شيئاً أو دخلت مسجداً حتى تعرف الحلال من الحرام.. فسقطت فى الفخ الأخير.

وقد كانت فى حاجة لأى سند. وقد كان هذا السند هو أول رجل قابلته.. كان قبطياً.. ولكنها تزوجته.. بورقه عرفية.. وقد قالت بعد عشر سنوات من الزواج الداعر لبشينة كامل الإذاعية المعروفة: «تزوجته ولم اكن أدري اننى أقدمت على اقتران خطأ، كان تحدياً أو عنداً، وأنجبت منه ولداً، والآن بدأت أفكر لماذا فعلت ذلك.. واشعر بالندم..

مصيبة كاملة الأركان بنيت على أساس من الجهل.

مصيبه كافية لاشعال فتنة طائفية.. ولإغراق قرية- إن لم تكن دولة- فى الصراع بين أهل دينين.. ولكن أحد لم يعرف.. وبقيت المصيبة من نصيب طفل كان هو ثمرة هذا الزواج الغريب.. لا يعرف ماهو دينه ومن يتبع.. الأم.. أم الأب؟

سألتها بشئنة كامل التى تنشر بعض عمالا تستطيع أن تذيبه فى الراديو فى جريدة الدستور:

اما زلتما تعيشان معا ؟

أجابت: نعم.. ولقد طالبت بأن يسلم أو يتعد عني وعن طفلى.

هل وافق أهلك، وقتها على هذا الزواج ؟

أجابت: ليس لى أهل

ماهو مستوى تعليمك؟

قالت : دبلوم تجارة.

أتعملين؟

أجابت: نعم.. أعمل.

إذن أنت امرأة تدرك ماحولها.

لكنها قاطعت بشئنة كامل وقالت: لم أكن أدري ماذا أفعل، لقد افقت مؤخرًا.

ألم تكونى تعرفين وقتها حرمانية الزواج من مسيحى؟

قالت: لا.. وقتها لم أفكر فى ذلك.

إن المرأة التى تبلغ الآن من العمر ٣٥ عامًا، نموذج واضح للغشاوة التى يضعها القلب فوق العيون وعلى العقل، بحيث لا يدري المرء ماذا يفعل.. وماذا يرتكب من آثام.. إنها أيضا نموذج للسؤال الذى يطرح عند البعض ولا يجد إجابة شافية حول مبررات هذا التحريم.. ونموذج على ما يرتكب خلف ورقة الزواج العرفى من آثام وقضايا.

وهى كذلك دليل جديد على أن المرأة هى الخاسر الأول والذى يكاد يكون وحيدافى مؤسسة الزواج العرفى فى مصر.. مؤسسة الدعارة الحلال.. لأن المجتمع لم يقبل هذه الصيغة من العلاقات الزوجية، ولم يرتضى بها، ولم يوافق عليها، وإن كان يمارسها كن يوم.

هنا يجب أن نقارن بين طبيعة مؤسسة الدعارة الحلال فى مصر ومؤسسة الدعارة الحلال فى إيران..

كلاهما عليه اعتراضات دينية.. لكن الصيغة مقبولة إلى حد ما فى إيران، والخسارة ليست فادحة، لأن هناك إطاراً قانونياً يوافق على أن يضفى الشرعية على ثمار الزواج.. بينما فى مصر لا يوجد أى ترحيب بالزواج العرفى.. حيث يُعامل الأطفال معاملة أبناء الزنا «الولد للفراش».

نعود إلى القصة التى بين أيدينا.

سألت المذيعة السيدة التى تعترف لها:

أليس زوجك مستعداً لأن يشهر إسلامه ؟

أجابت: اننى أدرك الآن خطورة الموقف بالنسبة لابنى.. عندما يكبر ماذا سوف يفعل.. وقد طلبت منه أن يشهر إسلامه.. وذهبت معه إلى شيخ.. أسلم على يده.. وهو يقرأ الآن لابنى القرآن.. ويؤدى المناسك والمشاعر.. ولكنه يخشى أن يشهر إسلامه خوفاً من أهله أن يذبحوه، فهم من الصعيد.

وقالت لها المذيعة: هذه هى نتائج الإقدام على خطوات غير محسوبة، نتيجة الاندفاع وراء عواطفنا، دون أن نأخذ فى الاعتبار مستقبل الأبناء، ماذنب هذا الابن فى أهل غير قادرين على مواجهة عواقب فعلتهم.

وأجابت الزوجة: لقد ندمت فعلاً، ولكن لا أدرى ماذا أفعل ؟

ولكن هل يجدى الآن الندم ؟!



الأرجوحة الدينية

شهادات وفـتـاوى

يمكن اعتبار الصفحات التالية ملحقاً ثانياً لهذا الكتاب، وهي تحتوى على آراء وشهادات وفتاوى توضح حجم التناقض الدينى والقانونى والاجتماعى فى التعامل مع الظاهرة.. ومع هذه المؤسسة البديلة للزواج فى مصر وإيران والسعودية.. وغيرها من الدول.

وكان من الممكن أن تكون هذه الشهادات والفتاوى موجودة داخل صفحات الكتاب، وفى كل فصل خاص بها، لكننى آثرت أن أخصصها هنا حتى لمجسم هذا التناقض الذى يجعل الآراء المتباينة حول الموضوع وكأنها تتقاذفه كالأرجوحة.. مرة فوق.. ومرة تحت.. مرة فى الحلال.. ومرة فى الحرام.

وسوف نلاحظ سويًا أن هذه الآراء لم تقتصر على السنة، وإنما شملت آراء الشيعة، ولم تقف عند رأى الشيوخ ولكنها امتدت إلى كتاب وباحثين تعرضوا للموضوع، كما أنها جمعت من دول ومجتمعات مختلفة.. وقد كان هذا مقصودا.

زواج الإيجار وزواج البيع

ترى الباحثة الإيرانية شهلا حائرى، التى عرضنا لكتابها عن «مؤسسة المتعة» فى إيران فى الفصل الأول أن الزواج الدائم هو عقد بيع، والزواج المؤقت هو عقد إيجار. وتقارن بين النوعين بالتفصيل.

- نوع العقد: فى الدائم «بيع» وفى المؤقت: «إيجار».
- عدد الأزواج: واحد فى كل مرة وفى كلا النوعين.
- عدد الزوجات: فى الدائم «أربع»، وفى المؤقت «بلا حدود».
- تبادل المال: فى الدائم «مهر»، وفى المؤقت «تعويض مالى - أجر».
- موافقة الولي: فى الدائم «ضرورية»، وفى المؤقت «غير ضرورية».
- الإرث: فى الدائم «يحق لهن»، وفى المؤقت «لايحق».
- الفسخ: فى الدائم «بالطلاق»، فى المؤقت «عند انتهاء العقد».
- العدة: «أربعة أشهر وعشرة أيام»، وفى المؤقت «خمس وأربعون يوما».

- الإنفاق المالى على الزوجة: فى الدائم «ضرورى»، وفى الآخر «غير ضرورى».
 - الأبناء: شرعيون فى الدائم، ويمكن للأب أن ينكرهم بقسم اللعن فى المؤقت.
 - قطع الجماع: موافقة الزوجة ضرورية فى الدائم وغير ضرورية فى المؤقت.
 - تجدييد العقد «الزواج من شخص واحد»: لعدد محدد فى الدائم ، ولعدد غير محدد فى المؤقت.
 - إنكار الأبوة: قسم اللعن ضرورى فى الدائم، وغير ضرورى فى المؤقت.
 - الزواج من أتباع الأديان الأخرى: غير مسموح به للنساء فى الحاليتين.
 - حق المرأة فى ترتيب النوم: يحق لها به فى الدائم، ولا يحق لها فى المؤقت.
 - حق المرأة فى الجماع: يحق لها فى الأول ولا يحق لها فى الثانى.
- «المصدر : شهلا حائرى «law OF Desire»

العرفى.. شرعى والمتعة .. قضاء حاجة

يقول الدكتور أحمد شلبى الكاتب الاسلامى وأستاذ التاريخ الاسلامى: هناك فرق بين زواج المتعة والزواج العرفى. العرفى: زواج قد تصحبه توصية الشهود بالكتمان، وبذلك يكون من زواج السر، وربما لاتصحبه توصيه بالكتمان وقد يعلم به الشهود من الأهل والجيران. وهو زواج استكمل الأركان والشروط المعتبرة فى صحة النكاح الحلال، وبه تثبت جميع الحقوق من حق الاتصال، ومن وجوب النفقة على الرجل ووجوب الطاعة على المرأة، ونسب الأولاد من الرجل.

وهو - أى الزواج العرفى - عقد شرعى بدون توثيق، كان معهودا به عند المسلمين إلى عهد قريب، وقد كان الضمير الإيمانى عند الطرفين قاضيا فى الاعتراف به، وفى القيام بالحقوق الشرعية على الوجه الذى يقضى به الشرع، ويتطلبه الإيمان.

أما زواج المتعة، ومنه الزواج إلى أجل، فهو: ان يتفق رجل مع امرأة خالية من الأزواج على أن تقيم معه مدة ما، معينة أو غير معينة، فى مقابل مال معلوم.. ولا يقصد به سوى قضاء الحاجة.

«المصدر - مجلة «المجلة» ٢٠١ يناير ١٩٩٦»

زواج المتعة .. حلال !

زواج المتعة هو زواج تجربة بين طرفين ضاقت بهما السبل نحو تحقيق الزواج الدائم، وهى تجربة تقوم على أساس الوعى والوضوح.

الوعى بعلاقة كل طرف بالآخر وحدود هذه العلاقة.

والوضوح بأهداف هذا الزواج ورسالته.

وقد ينتج عن هذه التجربة الوثام والانسجام بين الطرفين ، فيتجهان نحو الزواج الدائم، وقد يحدث التنافر فيذهب كل منهما إلى حال سبيله.

ومثل هذه التجربة هى أفضل كثيرا من تجربة الزواج الدائم فى زماننا هذا، والتي تقوم على أساس الغموض، وعدم معرفة ووعى كل من الطرفين بالآخر، مما ينتج عنه أن تصبح الزوجة مهددة بالطلاق فى أى وقت وأحيانا ماتقود الخلافات الزوجية إلى قتل الزوج أو الزوجة.

مثل هذه التجربة هى أفضل كثيرا من ذلك الوضع المهيمن الذى تعيشه كثير من النساء السابحات فى بحور الرذيلة ، المتقلبات بين شتى الرجال دون ضابط أو محاذير، وفى هذه التجربة لن تخسر المرأة شيئا، بل سوف تربح علاقة شرعية بزواج قد يبنى معها مستقبلا مشرقا لها فى ظل أسرة مستقرة ثابتة الأركان.

ومن الخير للمرأة أن تخوض هذه التجربة بدلا من انتظار السراب فى ظل ظروف اجتماعية قاسية قد تفرض عليها أن تكون أعزب طوال عمرها، أو تعرضها للانحراف فى طريق الرذيلة.

إن حالة زواج المتعة لايمكن ضمان نجاحها وانضباطها بأحكام الشرع إلا إذا تحلى طرفا الزواج بقدر من الوعى والخلق والتمسك بالقيم حتى يحفظا هذا الزواج ويتعدا عن الوقوع فى المحذور أو استغلال هذا الزواج فى مآرب أخرى.

ومثل هذا الطرح يفرض السؤال التالى: مالذى يضمن انضباط طرفى الزواج بأحكام الشرع ولاينحرفا بالزواج عن قواعده؟! أو السؤال بصيغة أخرى، مالذى يضمن ألا تنحرف المرأة بعد انتهاء فترة الزواج، وتزوج بآخر قبل انقضاء مدة العدة، أو يرتبط رجل بامرأه بعلاقة غير شرعية تحت ستار زواج المتعة؟!

الجواب هو نفس جواب السؤال التالى:

مالذى يضمن ألا تنحرف الزوجة أو الزوج المتزوج زواجا دائما؟

إن الإجابة عن السؤال الأول هى الإجابة عن السؤال الثانى وهى أن سلاح القيم والاخلاق هو الفيصل فى العلاقات الانسانية بصوره خاصة. والضابط هنا ليس هو عقد الزواج المؤقت، وإنما الأمر يعود إلى الخلق والقيم والوازع الدينى.

ومايجب ذكره هنا هو أن الشيعة على الرغم من كونها تتبنى هذا الزواج المؤقت إلا أنها لا تنطبقه إلا فى حالة الضرورة ووفق ضوابط وشروط خاصة.

من كتاب : زواج المتعة حلال

تأليف: صالح الوردانى - ص ٩١، ٩٢

وقد تم الاطلاع على أصل الكتاب قبل نشره.

خطورة الزواج الصيفى

نورد هنا هذه الشهادة، وصاحبها سعودى، لأهميتها القصوى بالنسبة للسعودية التى احترف بعض رجالها هذا النوع من الزواج، وبالنسبة لدول أخرى تقع نساؤها ضحية هذا الزواج.

والشهادة تؤكد على اعتراف سعودى بوجود هذه الظاهرة، وهو ما أكدنا عليه فى أكثر من موضع داخل هذا الكتاب، باعتبار أن الخليجيين وأثرياء النفط هم الذين ساعدوا على انتشار هذه الأنواع من الزواج، وهم الذين أبدعوا اشكالها المختلفة والمؤقتة، اعتماداً على فتاوى أباحت «نكاح الغربية»، واستناداً إلى رؤية اجتماعية ترى أن من حق رجال النفط أن يتمتعوا بالجنس فى إطار يروونه شرعياً.

والآن إلى نص الشهادة التى كانت رداً على سؤال لمواطنة سعودية من مكة المكرمة اسمها هنادى.. قالت لصحيفه عكاظ: أصبح عدد الرجال المتزوجين المسافرين للخارج أكبر من ذى قبل، بحيث يتركون أولادهم هنا يذهبون بحجة الراحة والاستجمام، الأمر الذى يجعلهم يتزوجون هناك.. ألا يمكن الحد من هذه الزيجات الصيفية؟

الإجابة كانت على لسان الدكتور صالح الفوزان.. الذى قال:

أولاً: من حيث المبدأ، السفر فى الاجازة الصيفية مشروع للجميع، ذكورا وإناثا، متى توافرت القدرة المالية على ذلك. وإن كنا نتمنى السفر وقضاء الاجازة داخل المملكة درءا لأى مشكلات اقتصادية وشخصية أو نفسية أو حتى جسدية..

إن قضية الزواج فى الخارج فهى تعبر عن رغبة الرجل المسافر وحده فى تحصيل ذاته من الانحرافات، لكن ذلك يتطوى على العديد من المشكلات على أسرة الزوج، وخاصة الزوجه التى تشعر بالغبن نتيجة تجاهل الزوج لها.. إذا كان من الأولى على هؤلاء اصطحاب زوجاتهم وقضاء وقت الأجازة معا.

وبالنسبة لضوابط الزواج فى الخارج فإن وزارة الداخلية فى المملكة وضعت الضوابط الكفيلة بالحد من الزواج من الخارج وتنظيمه، خصوصا لأولئك الذين يرغبون فى إحضار زوجاتهم، أما من تكون لديهم نية الزواج فى الخارج بدون إحضار الزوجة فلا اعتقد أن الدولة مسئولة عن مثل تلك الحالات التى تعود إلى الرجل نفسه.

يجب أن يدرك هؤلاء الرجال خطورة زواج الاجازة الصيفية، وما يترتب عليه فى قضية المواريث وانتساب الابناء وحاجتهم إلى حنان الآباء الذين يغيبون عن زوجاتهم الاجنبيات فترات طويلة، وقد تشعر المرأة الأجنبية بالظلم نتيجة عودة زوجها إلى المملكة وتركها وحيدة لفترات طويلة. ويجب ان يدرك هؤلاء مشكلة انتماء الابناء وهو مانسمع عنه كثيرا حينما يحدث الطلاق بين الرجل والزوجة الاجنبية حيث يكثُر الخلاف حول: من يبقى معه الاطفال؟ ومن يتحمل مسئوليتهم؟!

عكاظ الأسبوعية

باب : «أسئلة حرجة»

١٣ مايو ١٩٩٦

الزواج فى أجازة

تصلنى كل يوم مشاكل من كل نوع، لكننى ألتقى أربع قصص عن زواج سرى يوميا فى برید برنامج «لو كنت مكانى». وبالتالي فلن هذه ظاهرة حقيقية.. وقد كنت أعلم أننى

أصدم الشعور العام حين أذيع هذه المآسى، واعترف اننى قصدت ذلك حتى يتنبه الآباء إلى هذه الظاهرة الخطيرة .. ويتقربوا من بناتهم أكثر، حتى لا يقعن فى أيدى الأفاقين أو الذين صفوا حسابهم مع الضمير.

إن الحل واضح وسبب الازمة أكثر وضوحا

لنبداً بالسبب، وهو أن هناك أزمة إسكان، ومشكلة اقتصادية، والزواج أصبح مكلفاً، وكذلك الطلاق.. والاب يريد حياة مستقرة مع عريس جاهز بالشقة.. وهذا العريس المطلوب أصبح اليوم عملة نادرة.

والأمثلة عندى كثيرة:

فقد حضرت إلى البرنامج طالبه فى مدرسة معلمات دمياط، واعترفت بأنها تزوجت زواجا سرياً من أفاق أوهمها بأنه خريج جامعة. وبعد الزواج سلبها مصاغها.. ثم بدأ يحرضها على سرقة أهله.. ولقد توسطنا لها عند والدها.. وكان الرجل متفهماً ونيلاً وأصيلاً وحنوناً.. وصفح عن الفتاة.. وتمكننا مع بعض جهات الأمن فى دمياط من الحصول على الطلاق من ذلك الأفاق.

هناك مشكلة «مشهورة» أخرى.. عرضتها فى مجله «أكتوبر».. مشكلة تاجر الخيش فى السبتية الذى تزوج طالبة فى مدرسة تجارية متوسطة.. وظل الزواج سرياً عن الأهل حتى تزوج هذا الرجل من فتاة أخرى زواجا سرياً أيضاً. ولجأت إلينا الفتاة الأولى تستغيث لنسوى لها الأمر مع أهلها.. لكننا لم ننجح للأسف الشديد.. ففى كل مرة لم تكن تسلم الجرة.

مشكلة ثالثة لطبية من المنيا رفض أهلها زواجها من شاب تربطها به معرفة سابقة، لكنها خضعت له تحت اسم الحب، وتزوجت منه فى مكتب مأذون، أحضر شاهدين، وأعطى كلاهما خمسة جنيهات.. ولما علم أهلها بهذا الزواج دفعوا للشباب عشرة آلاف جنيه كى يطلقها.. وبسبب هذه الزيجة تعرضت الطبية المطلقة لأزمة حادة فى زواجها الثانى، لأن الزوج الجديد ظل يعايرها على أنه تستر عليها..

إن الحل واضح كما قلت ، وهو أن ينمى الأهل صداقتهم مع أبنائهم ، خاصة

البنات.. وبالإضافة إلى هذا حل مشاكل الإسكان والأزمة الاقتصادية.. ولو أن هناك قانونا يوجب على المأذون أن يكون حاضرا مع الفتاة أو زوجها أو أبوها أو عمها أو خالها لاختفت ٩٥٪ من حالات مشاكل الزواج السرى.

إن الأزمة الاقتصادية أعطت الزواج أجازة، وتأخر سن الزواج لدرجة مقلقة، لكن الحب والعواطف لم تأخذ هي الأخرى إجازة.. ونتج عن ذلك خضوع بعض البنات لأهواء شباب يأخذونهن إلى المأذون حيث يعقد الزواج السرى.. ويظل كل من الشاب والفتاة - وهما غالبا من طلبة الجامعة أو حديثا التخرج - فى بيت أهله، دون أن يدري الأهل شيئا.

ضياء الدين ببيرس (الراحل)
مذيع برنامج (لو كنت مكانى)

نقلا عن مجلة أكتوبر ٨٨ / ٧ / ٣

الزواج العرفى .. صحيح

الزواج فى الشريعة الاسلامية :عقد قولى يتم بالنطق بالإيجاب والقبول من العاقلين فى مجلس واحد بالالفاظ الدالة عليهما، الصادرة ممن هو أهل للتعاقد شرعا وبحضور شاهدين بالغين مسلمين، وأن يكون الشاهدان سامعين للإيجاب والقبول، فاهمين أن الالفاظ التى قيلت من الطرفين امامهما الفاض عقد زواج. وإذا جرى العقد بأركانه وشروطه المقررة فى الشريعة كان صحيحا مرتبا لكل آثاره.

أما التوثيق بمعنى كتابة العقد وإثباته رسميا لدى الموظف العمومى المختص فهو أمر أوجبه القانون صونا لهذا العقد الخطير بآثاره عن الإنكار والجحود بعد انعقاده سواء من أحد الزوجين أو من غيرهما حسبما هو معمول به فى مصر، حيث نصت المادة ٩٩ من لائحة ترنيب المحاكم الشرعية من المرسوم بقانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٣١ « على عدم سماع دعوى الزوجية أو أحد الحقوق المترتبة عليها للزوجين عند الإنكار إلا بمقتضى وثيقة زواج رسمية».

ومن هنا يتضح أن كلمة الزواج العرفى مراد بها مايقابله الرسمى أى الموثق رسميا

وإذا استوفى عقد الزواج العرفى أركانه وشروطه المقررة شرعا كان صحيحا مرتبا آثاره الشرعية من حل المعاشرة الزوجية وثبوت نسب الأولاد بشروطه والتوارث، دون توقف على التوثيق الرسمى.

إلا أن هذا التوثيق أمر لازم لإثبات الزواج عند الالتجاء إلى القضاء لاسيما إذا أنكره أحد الزوجين أو الورثة من بعدهما. إذ قد استوجب نص القانون المرقوم لسماع دعوى الزوجية عند الإنكار وجود الوثيقة الرسمية فيما عدا النسب وفضلا عن هذا فإن الجهات الرسمية فى مصر لا تقبل عقد الزواج كسند إلا إذا كان موثقا رسميا.

لما كان ذلك فإن الزواج يعقد غير موثق يكون صحيحا إذا استوفى أركانه وشروطه الشرعية وقت انعقاده، لكنه غير معترف به عند التنازع أمام القضاء فى شأن الزواج كما لا تعترف به الجهات الرسمية كسند للزواج وعلى السائلة ان تترث وأن تتبع الطرق الرسمية المقررة المشروعة لصالح طرفى العقد وضمانا للحقوق المترتبة على هذا العقد

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر (الراحل)

مجلة الوطن العربى ٨/ ١٩٨٦/٥

أبو حنيفة ضد العلنية

لا أعترف بكلمة زواج عرفى.

وإنما الزواج نوعان. إما شرعى موثق أو شرعى غير موثق.. والفرق بين الاثنين فقط هو التوثيق أو عدمه.. وكل الشروط التى فى الزواج الأول هى نفسها فى الزواج الثانى ناقصة التوثيق.

وقد لجأت الحكومه إلى توثيق عقود الزواج بسبب دمار أخلاق الناس وضياع الحقوق.. وأيام الرسول (ﷺ) لم يكن هناك توثيق أو مأذون.. لكنه كان الزواج بكل شروطه وحسب القواعد التى قررها الفقهاء من وجوب المهر وحضور شاهدين وأن يسمع الشاهدان الإيجاب والقبول من الطرفين.

مع أن الزواج غير الموثق - العرفى - تجاوزا - جائز شرعا إلا أننا لا ننصح به.. ونطلب من

الأطراف المعنية أن توثق زواجها شرعيا لما يحدث بسببه من المشاكل.. ولأن القانون لا يعتبره زواجا رسميا، وعموما فإنه لا يتم اللجوء إلى هذا النوع من الزواج إلا فى المناطق النائية والصحراوية حيث لا تحدث مشاكل من هذا الزواج.

إننى أرى انه إذا تزوجت المرأة عرفيا خوفا من سقوط معاش زوجها، أرى أنها مذنبه فى حق الدولة من ضياع المال.. لكن زواجها صحيح مادام تم فيه الاتفاق على مهر، وشهد به شاهدان.. وتم قبول وإيجاب من الطرفين.

ونحن فى مصر نتبع مذهب الامام أبى حنيفة.. وجميع المذاهب تشترط فى الزواج العرفى الإشهار إلا الامام أبو حنيفة الذى لا يتضرر من السرية

عبد اللطيف حمزة

مفتى الديار المصرية السابق

روز اليوسف ١٠/١/١٩٨٤

الزواج السرى .. فاسد

الزواج السرى الذى يتم بحضور الرجل والمرأة فقط ليس مشروعاً.. وليس زواجا، لان من شروط صحة الزواج : العلانية وضرب الدفوف والشهود والولى كما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله (ﷺ) : « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل ».. وقوله : « فرق ما بين الحلال والحرام ضرب الدفوف ». وقال : « اعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالدفوف ».

ولاشك أن معنى الزواج لا يستقيم بالسرية لأنه يقوم على المعاشرة الظاهرة، التى يحترمها الجميع وتقطع السنة الناس.. اما هذا النوع من الزواج السرى .. فهو عبث ويفتقد لأهم أسباب وجوده فيكون زواجا فاسدا.

وهو يختلف عن الزواج العرفى، حيث يفترض فيه أنه زواج معلن مستوفى لشروط الصحة، من الشهود والولى والعلانية ولهذا كان الزواج العرفى زواجا صحيحا يترتب عليه حل المعاشرة ويثبت به النسب، غاية ما هنالك انه لا تثبت به الحقوق المالية لآى من الزوجين لأنها لا تثبت إلا بوثيقة الزواج الرسمية.

أما الزواج المؤقت وهو الذى ينشأ بلفظ من الألفاظ التى يصح أن ينعقد بها عقد الزواج على الإشهاد عليه، غاية الأمر أن الصيغة فيه تكون مؤقتة وصورته أن يقول رجل لمن يريد أن يتزوجها على هذا الوجه: تزوجتك لمدة يوم أو شهر أو سنة أو نحو ذلك فإن هذا الشرط يفسد العقد، إذ يخرج عن مقاصد الشرع من الزواج الذى يشترط فيه الدوام والاستمرار وأن يكون كل منهما سكناً للآخر.

أما زواج المتعة فهو عقد لا يرد به إلا مجرد الاستمتاع بفترة منصوص عليها فى العقد دون قصد الاعتبار الأخرى وعقود الزواج التى من أهمها التعامل ودوام العشرة وصورته: أن يقول الرجل للمرأة أعطيك كذا على أن أمتنع بك يوماً أو شهراً أو سنة.. وهذا عقد باطل وإن حضره شهود ولا يترتب عليه أى حكم من أحكام الزواج.

ويأخذ الزواج المؤقت حكم زواج المتعة فى أنه عقد باطل حتى لو عقد بلفظ الزواج وسمى فيه مهر وأشهد عليه لأن العبرة بالمقصود والمعانى

د. عبد الله مبروك التجار

استاذ بكلية الشريعة والقانون - الأزهر

الأهرام ٢٧ / ٥ / ١٩٨٨

عيوب الزواج الدائم

كان منزل آية الله شريعت مدارى مفتوحاً أمام الناس. كان هناك حشد من الرجال من مختلف الفئات والاتجاهات فى الباحة الخارجية للمنزل عندما وصلنا أنا والذى إلى المنزل وجدنا شرطيين عند البوابة الخارجية يبدو أن «السافاك» (الشرطة السرية فى عهد الشاه)، وضعتهم لمراقبة نشاطات آية الله والابلاغ عن هوية زواره، أو لتفادى حصول أى نشاطات معادية للنظام، الأمر الذى كان شائماً جداً خلال صيف ١٩٧٨ قبل اندلاع الثورة بأشهر قليلة. بدا أن الشرطيين غافلان عما يجرى حولهما، وإنهما لا يرغبان فى منع أى كان من دخول المنزل أو الخروج من فضلاً عن انزعاجهما من حرارة الصيف الشديدة. إن فكرة لقاء أعلى مرجع دينى فى إيران آنذاك قد أثارت حماسى وخوفى فى آن معا.

بعد أكثر من ثلاثين دقيقة، أخذنا إلى مسكن آية الله، والذى كان متصلاً بالباحة

الأولى، بواسطة ممر أرضى ضيق ذئى سقف منخفض. دخلنا أولاً إلى باحة ثانية أصغر وأجمل من الأولى، تنوسطها بركة صغيرة تظلّلها أشجار الرمان، وما إن جلسنا فى غرفة الضيوف، حتى دخل علينا آية الله وبعض المقربين منه، كان آية الله شريعت مدارى، رجلاً لطيفاً ودمثاً فى مطلع السبعينيات من العمر، ألقى التحية على وعلى والذى وخلافاً لآية الله بخفى - مرعشى، لم يتجنب النظر إلى مباشرة بدا مرتاحاً وتبسم فى بعض الأحيان، بل إنه تفكه فى موضوع المتعة.

لقد أظهر معرفة عميقة بالجذور الجاهلية لزواج المتعة (الأمر الذى يفتقر إليه معظم الإيرانيين)، وأشار إلى أن «زواج المتعة فى عهد الرسول، كان مختلفاً عما كان يمارس أيام الجاهلية» ثم بدأ بوصف القواعد والإجراءات المعتمدة فى مؤسسة الزواج المؤقت، وعدد بالتفصيل أسباب شرعيتها :

أ- سمح الرسول بعقد زيجات المتعة بشروط سهلة عندما يكون الرجال بعيمين عن عائلاتهم، كى لانتشأ علاقات محرمة بين المقاتلين.

ب- هذه الزيجات لانتزع أخلاق وميادى المجموعة.

ج- تقى من الأمراض.

د - وأخيراً فإنها تشيع حاجات الرجال الجنسية وأدان إقدام الخليفة الثانى عمر بن الخطاب على تحريم زواج المتعة، وأكد أن هذا القرار غير شرعى وغير ملزم.

سألته إذا كان هدف المتعة إشباع الحاجات الجنسية بطريقة شرعية، فلماذا ميّزت الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء طالما أن الجنسين يمتلكان غريزة جنسية؟ لم يجب آية الله على سؤالى مباشرة، لكنه شرح لى بأسلوبه البليغ كيف أن زواج المتعة فى جوهره جيد، وكيف أنه مفيد لأن «أى شىء يسهل حصول عمل مهم «أى إشباع الشهوة الجنسية وتقادى الزنا) هو أمر جيد.

مسألة أن زواج المتعة أمر جيد، ليست موضوع نقاش لكن أى شىء جيد، قد لا يكون مفيداً لجميع الناس فى ظروف معينة». وأضاف بىلاغة : «على سبيل المثال: فإن الزواج الدائم الذى يعتبر مفيداً لجميع المجتمعات، قد لا يكون ممكناً فى حالات معينة ربما يكون الشخص غير راغب فى عقد زواج دائم.

هذا الأمر ليست له أى علاقة بالقانون نفسه، فالقانون يقف بقوة فى ساحته «ثم عطانى أمثلة أخرى مشابهة حول التبادل الاقتصادى والمقايضة اللذين يعتبران «جيدين ن حيث الجوهر» ولكنهما ليسا كذلك فى «جميع الأوقات» ثم أشار إلى زواج المتعة اثلا: «قد يكون هناك شخص ليست لديه حاجات جنسية كبيرة، ولكن قد يكون هناك شخص آخر يحتاج إلى امرأه او اثنتين أو إلى عشرين، وقد تكون هناك نساء مستعدات جارة الرجال فى هذا الأمر. كل هذا ليس له علاقة بضعف القانون»، لقد شدد على أن لقانون جيد ومقبول فزواج المتعة وسيله لمكافحة الفساد والانحطاط الأخلاقيين، ثم شدد جدداً على أنه «طبعاً مهما يكن القانون جيداً ففى بعض الحالات ربما لا يكون مفيداً جميع»

اعترض آية الله شريعت مدارى على نشاطات الأشخاص الذى يستغلون المتعة مارسونها بكثرة، أولئك الذين يستغلون ثراءهم أو موقعهم لتمتع بضع فتيات، ثم جروهن بضعه أيام، وشدد مراراً على طابع «الحاجة الملحة» للمتعة، وعلى أنه لا يجب لجوء إليها، إلا «كدواء» عندما يكون المرء مريضاً أو محتاجاً. كما اعترض أيضاً على جهة النظر القائلة بأن زواج المتعة استغلال للنساء. ودافع عن هذه المؤسسة مؤكداً أنها يدة للنساء بشكل خاص. وختم قائلاً: إنه لولا شريعة الزواج المؤقت، لكانت اضطرت ساء المحتاجات إلى ممارسة الدعارة لإعالة أنفسهن.

اعترضت على قوله بأن القانون واضح ولا يترك أى مجال للتلاعب أو استغلاله. جانبى قائلاً كما ذكرت سابقاً:- السبب يعود إلى طابع «الحاجة الملحة» للمتعة فهو اء وليس طعاماً. لكن بعض الناس افترضوا أنه طعام وهذا خطأ. ولهذا السبب يحمل ا. النوع من الزواج وصمة دائمة. ثم رد على وجهة نظره كاتب روسى (لم يقو على كر اسمه)، ادعى ان المتعة هى دعارة شرعية فأكد آية الله شريعت مدارى أن هذا فهم طىء يعبر عن رأى الأجانب فى المتعة وشدد على أن «المتعة هى نوع من أنواع الزواج، ع مختلف، نوع خفيف، زواج مؤقت».

ورداً على سؤال حول شبكات ترتيب الزيجات ودور «مرتبى الزيجات» قال: «لم الأمر شائعاً فى أيامنا هذه، كما كان سابقاً حتى إذا كان هناك (مرتبو الزيجات) فإنهم

غير مشهورين.. ثم علق على قول كاتب مصرى (لم يذكر اسمه ايضا)، قال: إن فى مدينة مشهد، جامع ترناده النساء، وشيخ يعرفهن ويعرف بعض الرجال الذين يلجأون إليه طلبا لمساعدته، لعقد زواج متعة. على ما يبدو فإن الكاتب المصرى، كان يشير إلى غوهر شاد الذى يحظى بنفس السمعة حتى الآن، استهجن آية الله هذا الوضع مؤكدا أن هذه النشاطات لم تعد تمارس فى مدينتى قم أو مشهد. وختم قائلا: «حتى لو كانت هناك مثل هذه النشاطات، فإنها تمارس على انفراد».

«المصدر: "شهلا حائرى"»

أربعة رجال مع امرأة واحدة

الملا «إكس» رجل أسمر البشرة، فى بدايه الأربعينيات من العمر علمت بواسطة الشائعات التى يتناقلها جيرانه، أنه ذو حظوة عند النساء أى «دو نجوان» محلى نوعا ما. كان مطلقا، واحتفظت زوجته السابقة برعاية ابنهما البالغ من العمر أربعة أعوام. كان يعيش وحيدا فى منزل كبير ذى حديقة فارسية تقليدية تبين لى فيما بعد، أنه من أكثر رجال الدين حيوية.

على غرار رجال الدين الآخرين، كان الملا «إكس» صريحا إلى حد المفاجأة فى الحديث عن الجنس، واعتبره «حقا طبيعيا» مضمونا للرجل كان متحمسا لمشاركة قناعاته معى. أجريت معه مقابلتين: الأولى فى منزله والثانية فى مقر إقامتى وفى المرتين كان والدى حاضرا. حضوره منح بحثى الشرعية، وأظن أنه سمح للملا بالتحدث بصراحة ودونما خجل ولكن لسوء الحظ فشلت محاولتى للقاءه مجددا، بسبب اغتيال الرئيس رجائى وبعض الأحداث السياسية المؤسفة.

بدأ بشرح قواعد زواج المتعة وإجراءاته، وعندما تأكد من حسن معرفتى بها، أجاب بصراحة عن أسئلتى. قال: إن له عشرين عاما من الخبرة فى هذا المجال، ووافق على إخبارى عن تجاربه وتجارب اشخاص آخرين يعرف عنهم أنهم عقدوا زيجات متعة. اعترف الملا «إكس» بأنه يعقد زيجات متعة باستمرار وقال: إن الكثيرين يمارسون هذه العادة، لكن عندما طلبت منه لاحقا، تقديمى إلى بعض الاشخاص الذين يمارسونها رفض وأبدى دهشته قائلا: «ماذا تريدان ان تعرفى من هؤلاء الأشخاص؟ أنا أخبرك بكل

مانحتاجين معرفته لدى عشرون عاما من الخبرة. يغضب الناس إذا قال عنهم أحد: إنهم يمارسون المتعة، ولا يرغبون في اجراء مقابلات.

ردا على سؤال حول الأسباب التي تدفع الناس إلى ممارسه المتعة، كرر امامي المقوله الدينية -الثقافية بأن دافع المرأة مادي، في حين أن دوافع الرجل جنسية، لكنه أشار في مناسبة أخرى إلى أن لبعض النساء رغبات جنسية قد تكون أقوى من رغبات الرجل واعتبر ان هناك علاقة سببية بين المناخ والقوة الجنسية وأكد أن «حجم وقوة» الرغبة والشهوة الجنسية، يرتبطان بالموقع الجغرافي على الكرة الارضية قال: «لأننا (أي الايرانيين) نعيش في مناخ أشد حرارة من الذي يعيش فيه الأوروبيون. فلدينا رغبات وحاجات جنسية أكبر وأقوى» كان يؤمن باختلاف قوة الشهوة الجنسية داخل إيران أيضا. وأضاف «على سبيل المثال ، فإن الرشتين (مكان في شمال ايران). باردون جداً ولذلك لا يهتمون بالجنس كثيراً لكن في مدينة قم (المجاورة للصحراء)، ليس بإمكان أحد تجاهل هذه الحاجة الحيوانية».

يعمل الملا «إكس» مساعداً إدارياً لأحد آيات الله العظمى، ويتولى مسئوليات عديدة بما في ذلك وظيفة المرشد أو الموجه للطالبات الجديديات في المعاهد الدينية في قم انطلاقا من معرفته بمشكلات النساء اللواتي يطلبن مشورته. حدد دوافع المرأة لعقد زواج المتعة على النحو التالي: «اشباع الحاجات الجنسية، الحوز المادي، العقد النفسية، وحسد الآخرين على ثروتهم أو جمالهم. لقد شدد كثير أعلى دور الأهل المحافظين والجهله في خلق او تفاقم مشكلات اولادهم وبناتهم على وجه الخصوص. وأكد أن سلوك بعض الآباء أو الأشقياء يتميز بخشونة لالزوم لها مع بناتهن أو شقيقاتهن ويحرمونهن (وفي بعض الأحيان يحرمون الأبناء أيضا) من الحقوق الفردية وحسب رأيه فإن العازبات هن الأضعف من بين جميع الفئات ويتعرضن لمختلف أنواع القيود والحرمان والذل، على أيدي آبائهن وأقاربهن، لكنه قال: إنه من قبل ثورة ١٩٧٩ لم يكن عدد الفتيات العذارى (بإستثناء الفتيات اللواتي نشأن في ظل زوجه أب) اللواتي يمارسن المتعة يضاهي عدد اللواتي يمارسن من غير العذارى، أثناء اجراء المقابلة، تلقى اتصالات هاتفية من نساء يطلبن مشورته، وحضرت شابة إلى المنزل، لكنه حرصها على أن تخرج بسبب وجودنا.

يستقى الملا «إكس» بعض معلوماته الحميمة والمباشرة، من كونه مرشداً للطلاب في مدينة قم. ووفقا لمعلوماته، كانت هناك خمسمائة طالبة في قم خلال العام ١٩٨١-١٩٨٢

يدرسن على أيدي آيات الله ويؤكد أنه منذ ثوره العام ١٩٧٩، ارتفع عدد العذارى اللواتى يمارسن المتعة، وأن بعضهن يعقد عدة زيجات متعة أثناء دراستهن فى قم، وأضاف: «من أصل خمسمائه طالبة فى قم، عقدت أكثر من مائتين منهن، زواج متعة مع أحد الأساتذة أو مع أحد زملائها من الطلاب» سألته: أين يسكن الزوجان المؤقتان أثناء فترة زواجهما؟ فأجاب: «حيث يستطيعان، وفى منزل الرجل غالباً» على غرار الكثير من رجال الدين الذين أجريت معهم مقابلات، شدد الملا «إكس» على الثواب الدينى لزواج المتعة، وأكد على منافع زواج المتعة، وتفوقه على الشكل الغربى للعلاقات بين الجنسين باسم «الحب الحر» والذي يعتبره معادلاً للزنا».

ثم عرض حالة شابة عقدت زواج متعة مع أحد أساتذتها، من دون علم والديها، كانا يلتقيان فى منزل الملا «إكس» وكلما زارت أهلها فى طهران كانوا يعرضون عليها شابا ملائماً للزواج، لكنها ترفض جميع العروض، فخشى الملا «إكس» على سلامتها فى حال اكتشاف والدها أمر زواجها المؤقت السرى وأضاف «آخر مره طلبا فيها استعمال منزلى، رفضت» وأشار بسبابته إلى عنقه قائلاً «لا أريد مواجهه أب غاضب» وعلى الرغم من تأكيد مراراً أن العديد من هؤلاء النساء يمارسن زواج المتعة مراراً، فإنه رفض الادلاء بأى تفاصيل حول زيجات المتعة بين الأساتذة والطالبات وعندما طلبت منه تقديمى إلى بعض الطالبات تردد قليلاً، ثم قال: إنهن سيفضبن فى حال كشف هوياتهن.

أبدى الكثير من الناس، مثل هذا التردد فى كشف هوية الأشخاص الذين يمارسون المتعة، لكن التردد كان أكبر عندما يتعلق الأمر برجال دين على المستوى النظرى البحث، كانوا يستفيضون فى تأكيد شرعية زواج المتعة والثواب الدينى لممارسيها، لكن عند الانتقال إلى المستوى العملى الفردى كانوا يصبحون مراوغين يترددون فى الحديث عن تجاربهم أو فى تقديمى إلى اشخاص يمارسون المتعة كانوا متكتمين وبدا أنهم يتبنون النظرة الثقافية السلبية إلى زواج المتعة، هذه الازدواجية كانت أشد وضوحاً خلال عملى الميدانى عام ١٩٧٨.

عندما سألت «إكس» عن سبب هذه الازدواجية فى الموقف الاخلاقى من المتعة قال: «هذا يعود إلى سياسات نظام آل بهلوى الذى شجع العلاقات الحرة بين المرأة والرجل واعتبرها تقدمية، لكنه حارب هذه العادة الاسلامية، معتبراً أنها محافظة ومسيئة إلى

النساء» ثم شدد على أن «المشكلة لانكمن فى القوانين الاسلاميه، وانما فى هذه السياسات المنحطة»

صحيح أن نظرة آل بهلوى إلى زواج المتعة، كانت سلبية، على الرغم من أنه لم يقدم على تحريمها، ولكنه الصحيح أيضا هو أنه على الرغم من دعم النظام الاسلامى لهذه العادة، فإنه مايزال الكثيرون يرغبون فى عدم إفتاء أمر ممارستهم زواج المتعة وبصرف النظر عن مدى صحه موقف الملا «إكس» فى إلقاء تبعه الأمر على سياسات نظام آل بهلوى، إلا أنه أخفل التمييز الرئيسى الذى يقوم به بين البعدين الخاص والعام للمتعة، فقد تقلبت السياسات العامة حيال القيمة الأخلاقية والاحترام العام للزواج المؤقت فى ايران ، بحدة بين نظام وآخر.

ونتيجة ذلك انقسم الراى العام حيال مدى ملائمة هذه المؤسسة لأخلاق المجتمع ومدى استقامة الذين يمارسون هذه العادة لذلك فالمشكلة تعود حسب رأيه، إلى اختلاط النطاق الخاص بالعام ، من خلال إعلان وشيوع نبدأ نشاط خاص، فكل شىء يكون على مايرام، طالما بقى زواج المتعة سرياً أو شبه سري، لكن ما إن يصبح النبدأ شائعاً حتى يستعمله الناس لأغراض مشبوهة.

لم يخف الملا «إكس» أمر زيجاته المؤقتة وذكر أنه فى احدى المرات، اقتربت منه امرأه داخل المزار وطلبت منه ان يعجرى لها استخارة قرآنية، ثم طلبت منه عقد زواج متعة لأن الاستخارة اشارت إلى أن قالها سيكون حسناً فى حال عقد زواج متعة، على مايدو، فاستجاب لطلبها وعقد زواج متعة لمدة ساعة واحدة، واتفقا على عشرين تومانا كمهر فى يوم آخر، اقتربت منه امرأه وطلبت منه أن يعقد زواج متعة مع ابنتها العذراء لمدة ليلة واحدة مقابل خمسين تومانا كمهر. يقول الملا «إكس» إنه فى الحالتين كانت المراتان بحاجة إلى المال ويضيف أنه فى المقابل: هناك حالات تبادر المرأة إلى طلب عقد زواج المتعة بسبب إعجابها بالرجل، يقول الملا «إكس» : «تفصح نساء عديدات عن رغبتهن مباشرة أمام الرجل الوسيم الشاب» ويؤكد ان هؤلاء النسوة يلاحقن الرجل إما مباشرة او بطريقة غير مباشرة بواسطة الرسائل أو الوسطاء وخلافا للاعتقاد الشعى الشائع يرى ان هؤلاء الشبان أضعف من النساء إذ من السهل إغرائهم للخروج عن الصراط المستقيم».

أى انه من الصعب على الرجل أن يرفض عروض المرأة وقد وجدت صدى لأرائه هذه خلال المقابلات التى أجريتها مع رجال آخرين.

خلال لقائنا الثانى كاد الملا «إكس» يناقض نفسه تماما، من خلال تأكيديه أن الرجل يقوم غالبا بالخطوة الأولى عندما سألته عما إذا كانت المرأة تبادر ايضا...؟! أجاب: «اولئك النساء اللواتى يأتين ويطلبن إجراء استخارة لهن، هن فى الواقع عاهرات، لكن اللواتى يموهن نشاطاتهن بذريعة ممارسة زواج المتعة على حد تعبيره وبالنسبة إلى هؤلاء النسوة فلا فرق بين رجل وآخر وهن لا يقمن أشهر العدة على النحو المطلوب.. أضاف أيضا: «هذا النوع من زيجات المتعة نجده فى الفنادق والحانات (المحيطة بالمزارات أو الموجوده فى المدن) حيث يعرف صاحب الفندق عدة نساء، يقوم بتقديمهن إلى الزلاء الباحثين عن امرأة». فى المقابل، يؤكد أن هناك نساء يمارسن المتعة «لإرضاء الله فقط ومن أجل نيل الثواب» ويضيف قائلا: «يمارسنها لعصيان أمر عمر (الخليفة الثانى). القاضى بتحريم المتعة ولارضاء الله».

وبتقديره فإن «ثلاثة فى المائة فقط من النساء يمارسن المتعة لإرضاء الله فى حين تتراوح دوافع الأخريات بين القطبين اللذين أشار إليهما.

وردا على سؤال حول فئات الرجال الذين يمارسون المتعة بكثرة أجاب قائلا: «كلهم يمارسونها، كل من معه المال اللازم ولديه الرغبة يمارسها، لكن رجال الدين يتلقون اللوم وحدهم».

سألته عن سبب شيوع الاعتقاد الشعبى بأن رجال الدين يواظبون على عقد زواج المتعة؟

فقال من دون مناقشة السؤال: «ربما يعود السبب إلى أنهم أكثر تدينا وإطلاعا على الشريعة»

سألت الملا «إكس» عما إذا كانت هناك شبكات من الأشخاص الذين يعملون كوسطاء أو «مرتبى زيجات» أى من يعرف الأشخاص على بعضهم؟ على الرغم من اعترافه بأن «مرتبى الزيجات» يعملون كوسطاء فى أغلب الأحيان فإنه تهرب من الاستجابة لطلبى بتقديمى إلى احدهم، لكنه اشار على بزيارة المؤسستين الأكبر شهرة فى ايران أى «مؤسسة الشهيرة ومؤسسة الزواج» كانت هاتان المؤسستان مزدهرتين فى ظل النظام

الاسلامى ولكل منهما فروع فى مختلف المدن الايرانية الرئيسية، أما بالنسبة إلى «مرتبى الزيجات» الذين يعملون بمفردهم فقد قدم لى ملاحظة ذكية قائلا: «إن لكل حلقة او جماعة مرتبى زيجات خاصين أى أن للتجار مرتبى زيجات خاصة بهم وكذلك لرجال الدين والفقراء وغيرهم، لكنه شدد على أن «الفئات الاجتماعية العليا لا تحتاج إلى مرتبى الزيجات، فهؤلاء الأشخاص لا يودعون مرتبى الزيجات أسرارهم».

كرر الملا «إكس» وجهة النظر الشعبية الرسمية حول زواج المتعة مشدداً بصورة خاصة على تلاؤم الزواج المؤقت مع الشريعة الإسلامية وأيديولوجيتها التقدمية «الاسلام اعترف بأهمية الرغبات الجنسية وأوجد زواج المتعة لتلبية هذه الحاجة الحيوانية» كرر تصريحه هذا مرات عدة خلال مقابلتنا مركزاً على عدم قدرة الرجل والمرأة على ضبط انفسهما فى حضور الآخر أكثر من ذلك، أكد أن لدى الإسلام أجوبه على جميع المشكلات الانسانية، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وشدد على أن «الإسلام اوجد أفضل طريقة لتلبية الرغبات الجنسية» ولتدعيم موقفه هذاشرح كيف يستطيع أربعة رجال عقد زيجات متعة متتالية مع امرأة واحدة فى فترة زمنية قصيرة نسبياً.

«المصدر : شهلا حائرى»

توثيق الزواج العرفى

أصبح الزواج (العرفى) سىء السمعة!! بل وصل سوء السمعة إلى حد تحريمه كما جاء على السنة الكثيرين من المتحدثين فى أجهزة الإعلام، حتى وقر فى أذهان الكثيرين أيضاً، من الشباب، أنه زواج آثم.. ومعهم!!

ولست أعرف، كيف يمكن - بهذه البساطة - تحريم ما أحله الله؟! وكيف يمكن خلع صفة الحلال على ما يقرره المشرعون البشر، وصفة الحرام على ما أحله الله؟! ولا أعرف، منذ بدء الإسلام، متى كان من شروط الزواج، مأذون ودفاتر وتوقيعات وخاتم التاج والنسر والصقر، والغراب بالمرّة!!

ولست أعرف إطلاقاً، كيف يكون الزواج العرفى منظوياً على مخاطر، ويكون الزواج على يد (الحكومة) منظوياً على سعادة لا حدود لها؟! أعرف فقط أن التفاهم والتوافق والحب بين رجل وامرأة بشهادة شهود، هو المحور الشرعى والحقيقى للزواج، كما شرعه الله. أما العرفى والرسمى والبين بين، فإن هى إلا أسماء سميتوها!!

فأين الحقيقة؟! الحقيقة هي ضالة المؤمن، يبحث عنها حتى يجدها، ولا ادعى أنني أقول حقيقة مطلقة، إنما أستمد تصوري للحقيقة من القرآن والسنة والتاريخ.. وللمعترضين أن يتفضلوا.. فنحن نريد أن نوضح وألا نهم على الشباب أمرا من أمور دينهم وديناهم!!
والحقيقة التي لا تقبل الجدل، هي أن (المأذون) اختراع من اختراعات القرن العشرين، لم يكن موجودا قبل ذلك!!

إن الركن الحقيقي للزواج، هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط أى أن عقد الزواج - كسائر العقود - يتطلب إيجابا وقبولا بين الطرفين، دون اشتراط كتابته.

وشروط الكتابة جاء في القرآن الكريم، خاصا بالديون ﴿.. إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..﴾.. لكنه لم يرد بشأن الزواج، إنما اشترط أن يكون الإيجاب والقبول، بالفاظ تؤدى الى المعنى الذى يقصده الطرفان. ويقول الفقيه الشيخ سيد سابق فى المجلد الثانى من موسوعته الكبرى (فقه السنة): إن شروط عقد الزواج هى الشروط التى تتوقف عليها صحته، بحيث إذا وجدت، يعتبر عقد الزواج موجودا شرعا، وثبت له جميع الأحكام والحقوق المترتبة عليه. وهذه الشروط تنحصر فى شرطين:

الشرط الأول: حل المرأة للزوج بالرجل. أى ألا تكون محرمة عليه.

الشرط الثانى: الإشهاد على الزواج.

وقد ذهب جمهور الفقهاء، إلى أن الزواج لا ينعقد إلا بينة، ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضورا حالة العقد. وفى صفحة ٥٦ من هذا المجلد، قال الشيخ سيد سابق: إن مذهب مالك وأصحابه، هو أن الشهادة على النكاح ليست بفرض ويكفى فى ذلك، شهرته والإعلان به، وقال الشيخ فى نفس الصفحة: «وإذا شهد الشهود وأوصاهم المتعاقدان بكتمان العقد وعدم إذاعته، كان العقد صحيحا»، وقال يزيد بن هارون: أمر الله تعالى بالإشهاد فى البيع دون النكاح، (فاشترط أصحاب الرأى الشهادة للنكاح، ولم يشترطوها للبيع)، وهناك آراء متباينة ومختلفة حول هذا الموضوع، لكنى أميل إلى ضرورة الشهادة وعدم التوصية بكتمانها، حتى تتحقق الحكمة من الإشهاد، وهى الإعلان للكافة.

ولقد كان الزواج منذ بدء الإسلام، غير خاضع لشروط الكتابة ولا لشروط الشهر الرسمى بالتوثيق حتى تم إصدار لائحته المحاكم الشرعية فى عامى ١٨٩٧، ١٩١٠، وجاء فيهما «.. أن لولى الأمر أن يمنع قضاة عن سماع بعض الدعاوى، وأن يقيد

السماع بما يراه من القيود تبعا لأحوال الزمان وحاجة الناس، وصيانة للحقوق من العبث والضياع.. إلا أن الحوادث قد دلت على أن عقد الزواج - وهو أساس رابطة الأسرة - لا يزال في حاجة إلى الصيانة والاحتياط في أمره. فقد يتفق اثنان على الزواج بدون وثيقة، ثم يجعده أحدهما ويعجز الآخر عن إثباته أمام القضاء.

وقد يدعى الزوجية، بعض ذوى الأغراض، زورا وبهتانا أو نكابة وتشهيراً أو ابتغاء غرض آخر، اعتماداً على سهولة إثباتها، خصوصاً أن الفقه يجيز الشهادة بالتسامع في الزواج.. وما كان لشيء من ذلك أن يقع، لو أثبت هذا العقد دائماً بوثيقة رسمية، كما في عقود الرهن وحجج الأوقاف، وهى أقل شأنًا منه وهو أعظم خطراً منها. فحملًا للناس على ذلك، وإظهاراً لشرف هذا العقد، وحفظاً من الجحود والإنكار، ومنعاً لهذه المفسدات العديدة، واحتراماً لروابط الأسرة، نصت الفقرة الرابعة فى المادة (٩٩) من لائحة الاجراءات الشرعية الصادرة بالمرسوم رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ على أنه «... لا تسمع عند الإنكار، دعوى الزوجية أو الإقرار بها، إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية، فى الحوادث الواقعة من أول أغسطس سنة ١٩٣١ م.

إن مسألة الزواج العرفى إذن، لا تندرج تحت باب الحرام أو الحلال. إنما تندرج - وعلى وجه الدقة - تحت باب (صيانة الحقوق) وفرق كبير جداً بين الحرام وبين التفريط فى الحقوق. أى أن الزواج العرفى الذى أخذ اسماً مقابلًا للزواج الرسمى، كان هو (الزواج) دون وصف أو تخصيص. فهو بأركانه وشروطه، الأصل الشرعى، للعلاقة بين الرجل والمرأة.

ومثل هذا الزواج ليس حراماً على الإطلاق، ولا أعرف كيف هان على من يتنادون بتحريمه أن يعدلوا وأن يغيروا فيما أحله الله. وكيف غاب عنهم أن الرسول تزوج به وكذلك الصحابة والخلفاء وسائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها حتى القرن العشرين!!

أريد أن أقول: إن أمانة الكلمة تقتضى أن يبين المتكلمون فوائد التوثيق لعقد الزواج، ومضاره فى العقد العرفى. وكل نفس بما كسبت رهينة!! بل إنه إذا كان شهر الزواج بعقد رسمى، قد تقرر لدفع مفسدات واضحة لا ننكرها، فإن الزواج العرفى فى حالات نعرفها جميعاً، مطلوب أيضاً، لدفع مفسدات واضحة لا ننكرها. بل كثيراً ما يكون الزواج العرفى حلاً مثالياً لمشكلة ما.

وأريد أن أسأل: هل من الأفضل أن تشيع العلاقات غير المشروعة والمحرفة دينيا، أم نعالج ذلك بالزواج العرفي إذا كانت له أسبابه؟! كل ما هو مطلوب وضروري، في تصوري، أن يضع الطرفان في اعتبارهما، عنصر الأمان لمستقبل كل منهما. إن الفتاة عليها أن تعلم أنها إن تزوجت عرفيا، فلن تستطيع أن تطلب نفقة زوجية، ولا نفقة عدة ولا نفقة متعة، والرجل عليه أن يعلم أن الزواج العرفي، لن يتيح له طلب زوجته في الطاعة ولا مقاضاتها أمام المحاكم، إنما الحق الوحيد المتاح أمام الزوجين هو حق التذاعى لإثبات النسب. فالمسألة هنا لاتتعلق بشخصين فقط، تراضيا على زواج عرفي، إنما تتعلق بحق إنسان آخر لم يكن طرفا في هذا التعاقد وهو الأبناء. ومن أجل ذلك، ارتأى الشرع - على حق - أن هؤلاء الأبناء لايمكن أن يكونوا فى حكم اللقطاء، أو فى حكم المولودين سفاحا.. إنما هم أبناء لشخصين، تزوجا زواجا شرعيا، وإن لم يكن قانونيا وعلى النحو الذى رسمه القانون.

لقد تغير الزمان فى شكله وفى جوهره.. تغيرت مضامين الأشياء جميعا، حتى لقد أصبح الكثير من القيم والمفاهيم عكسى ما كان!! لكن سنة الله فى خلقه أن زمانا لايفضل زمانا آخر، وأن الشر والخير، ندان موجودان منذ خلق آدم وحواء.. ومنذ قتل قابيل أخاه هابيل والمدهش أننا فى زماننا هذا، نؤكد - ونظن - أن الزمن الماضى، كان الأحسن وأن زماننا هو الأسوأ، ولكن الأكثر إدهاشا واستغرابا، أن لكل زمان ساخطين عليه، متباكين على الأيام الخوالى!! وعبر كل التاريخ، نجد التغنى بالماضى ولعن الحاضر والتشاؤم من المستقبل. ونظرة بسيطة - مثلا - الى الأفلام السينمائية القديمة التى أنتجت منذ خمسين سنة، نجد من يقول من الممثلين (فين أيام زمان.. الدنيا بمقاش فيها أمان)!!

ونحن نقول عن زمان هؤلاء الممثلين منذ خمسين سنة نفس العبارة، وأن زمانهم كان أحسن من زماننا! وفى كل رجوع تاريخي للخلف، سنجد هذا الصراخ وتلك الشكوى. لذلك فإن توثيق عقد الزواج، لحماية الفتاة مثلا، لم يعد هو العاصم من الزلل والواقى من الفضل!! لم يعد (القانون) صاحب سطوة، ولا قوة، ولاردع. فكثيرا ما تنتهك هذه العقود الرسمية الموثقة أبشع انتهاك وكثيرا ماتنتهك حقوق المرأة أبشع انتهاك! وليس أدل على ذلك من أن امثل هذا العقد قد تحول - بغرابة - الى وثيقة سجن للمرأة، دونها خطر القنات، لا تستطيع منها فكاكا ولا فرارا إلا بشق الأنفس.. وكأن (الرجل)

المشرع قد وضع صيغته الرسمية، لا ليحمى المرأة، ولكن ليصدر عليها حكماً ظالماً بالبقاء
فى بيت زوجية، تراه سجنًا أو ليمانًا أو أن الموت أفضل منه!!

أريد أن أقول: إن العقد (الرسمى) لم يحم المرأة.. إنما وفر الحماية للرجل..
وانقلب مفهوم الزواج من السكن والمودة والرحمة، الى «التأديب والتهديب
والإصلاح»، شعار السجون والمعتقلات!! وإلا فبماذا نفسر، استخدام (الوثيقة) من قبل
الرجل، لجرجرة المرأة الى بيت الزوجية، أو لحرمانها من حقوقها المالية لمجرد أنها لم تعد
تطبق العيش معه؟! لصالح من إذن هذه الوثيقة؟!.. ثم بماذا نفسر، عذاب المرأة
وانسحاقها وبهدلتها فى المحاكم، للحصول على إذن بالتحرر من هذه الوثيقة(!!؟)

إن الحصول على (عفو) عن السجين، أسهل ألف مرة، من حصول المرأة على حكم
بالطلاق.. أو التحرير!! فهل كانت وثيقة الزواج- حقًا وصدقًا- حاميا للمرأة، مانعا من
الإضرار بها، أم أنها استبدلت ضررا بضرر وعذابا بعذاب؟!!

إن أمور الزواج ليست فى بساطة التفكير (الرجالى) فقط.. وليس من العدل ولا من
الإنسانية، أن يفرد الرجل بتقنين حقوق وواجبات المرأة الزوجة!! فمادمننا نشرع لنحمى
المرأة، أليس من الفطنة وحسن الإدراك أن نشاركنا المرأة بالرأى؟!!

إن الذين يحرمون ما أحله الله، من زواج بالتراضى والشهود، لا يدركون، أنهم فى
واقع الأمر، يكبلون المرأة بالحديد ويلوحون لها بالنار!!

ويا أيها العقد (الموثق).. كم بك ترتكب الآثام!!

المصدر : د. محمد إسماعيل على

الأمرام ٩٦/٩/٢١

هنا إنتهى هذا الفصل، وانتهت معه الفتاوى والآراء المتأرجحة بين التحريم والإباحة..
وهى نهاية معبرة تمامًا عن موضوع الكتاب بأكمله، حيث نجد المؤسسة البديلة للزواج من
يساندها وتجد من يحاربها.. وحيث سيبقى الأمر معلقًا فترة طويلة.. إلى أن تحسم
المجتمعات الإسلامية موقفها من الدعارة الحلال..

تم بحمد الله

المحتوى

- * مقدمة: بين الدعارة الحلال والدعارة المقدسة ٧
- * الفصل الأول : المتعة تحت المنبر ١٩
- * الفصل الثانى : حريم الخليفة ٤٥
- * الفصل الثالث : الخليفة الشرعية ٦٥
- * الفصل الرابع : الإفراج الجنسى ٧٥
- * الفصل الخامس : عقود الزنا ٨٧
- * الفصل السادس : نهاية الصيام الجنسى ١٢٩
- * الفصل السابع : فى فراش الدعارة الحلال ١٣٥
- * الفصل الثامن : الأرجوحة الدينية ١٦١